عِبَادَاتُ القُلُوبِ

فِي ضَوْءِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولي

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

رقم الإيداع: ٢٩٦٥٦ / ٢٠٢١ م

الترقيم الدولي: ٣-٢٦٣-٩٩٧-٩٧٧-٩٧٨

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

عِبَادَاتُ الْقُلُوبِ

فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

للفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولي

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الجزء الثاني

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السابعة والثلاثون

عبادة العفو

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه العفو.

الثاني : منزلة العفو.

الثالث : أنواع العفو.

الرابع : صور من عفو النبي ﷺ.

الخامس : الأسباب المعينة على العفو.

السادس : ثمرات العفو عن الناس.

العبادة السابعة والثلاثون

عبادة العفو

١ - فقه العفو

العفو: هو المحو والطمس للذنب حتى لا يبقى له أثر.

العفو: هو ترك المؤاخذة على الذنب، والتجاوز عن المذنب، وترك المعاقبة على الذنب، ابتغاء مرضات الله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى:٤٠].

والفرق بين العفو والمغفرة:

أن العفو هو محو الذنب بالكلية، والمغفرة هي الستر والتغطية، ومنه المغفر الذي يستر رأس الإنسان في الحرب، والمغفرة هي الستر والتغطية للذنوب والمعاصي، والتجاوز عنها، وعدم المعاقبة عليها، فالعفو أبلغ من المغفرة.

والعفو والصفح من مكارم الأخلاق،و جميل الصفات، التي يتحلى بها الإنسان بين الناس، ويحصل ذلك للعبد بقوة الصبر، وكظم الغيظ، واحتساب الأجر، والعلم بعواقب الانتقام. ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

والفرق بين العفو والصفح:

أن العفو هو التجاوز عن الذنب، وترك الانتقام والعقاب، وإسقاط اللوم في الظاهر، وبقاء أثر الذنب في النفس .

أما الصفح ففيه معنى العفو وزيادة، وهي ترك لوم المذنب، وترك عتابه وتأنيبه على الذنب، ومحو أثره من النفس، والتجاوز عن الخطأ ظاهرًا وباطنًا، وكأن شيئًا لم يكن، فالصفح أبلغ وأعم من العفو :﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور:٢٢].

والعفو هو التجاوز عن المذنب، وترك عقوبة المذنب، والصفح كذلك مع ترك التأنيب والعتاب واللوم :﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة:١٣].

والعفو من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء اللهالعفو، الغفور، الغفار، الرحمن، الرحيم، المحسن، الكريم .

فمن عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، تعبد لله بها، وتخلق بين الناس بها: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، واللهتواب يحب التوبة، وأهل التوبة، والله كريم يحب الكرم، وأهل الكرم، والله رحمن يحب الرحمة، وأهل الرحمة :﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

والعفو والصفح، والسماحة والرحمة، من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، التي تجذب قلوب الناس إليهم، وتثمر محبة الناس لهم، وقبول دعوتهم، والإيمان بهم وتصديقهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ونبي الله يوسف ﷺ حسده إخوته، فألقوه في البئر للتخلص منه، ليخلو لهم وجه أبيهم، فعفا عنهم، فكان ذلك سببًا في توبتهم، و رجوعهم إلى ربهم:

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩١-٩٢].

والعفو من صفات المؤمنين المتقين: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾
[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

والمقصود من العفو هو الإصلاح، فإذا لم يتحقق الإصلاح مع تكرار العفو، وتمادى المسيء في إساءته، وزاد شره وفساده وأذاه، فهنا يجب الأخذ بالحق، والمطالبة بعقوبة هذا المسيء، قطعا لدابر الشر والفساد، لأن الإصلاح واجب، والعفو مندوب، فإذا كان في العفو فوات الإصلاح، عدلنا عن العفو المستحب إلى الإصلاح الواجب: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠].

والعفو سبحانه هو الذي أمر بالقصاص الذي يحقق المصلحة بقوله ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[البقرة:١٧٩].

وهو الذي رغب في العفو الذي يحقق المصلحة بقوله :﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف:١٩٩].

وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين من العفو والصفح،فقال سبحانه :﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[البقرة:١٠٩].

وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن:١٤].

٢ - منزلة العفو

العفو عن الناس من أعظم العبادات القلبية التي تكون بين العبد وغيره من الناس الذين ظلموه، أو أساؤوا إليه .

والعفو يثمر للعبد عفو الله عنه، ومحبة الله له، ومغفرة الله له، ومحبة الناس له: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والعفوُ صفة عظيمة تقلب العداوة إلى ولاية وصداقة، ومحبة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

والعفو اسم من أسماء الرب عز وجل ،والعفو صفة من صفاته العظيمة .

ومن تخلق بالعفو فقد تعبد لله باسم من أسمائه، وصفة من صفاته : ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء:١٤٩].

والعفو من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، ومن تخلق به فقد تشبه بالأنبياء في صفاتهم واقتدى بهم في حسن أخلاقهم : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩].

و العفو وصية رب العالمين لأنبيائه ورسله والمؤمنين كما قال سبحانه : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩].

ورغب الله ﷻ عباده بالعفو، لأنه يثمر المودة والمحبة، ولما فيه من عظيم الأجر والثواب فقال سبحانه : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى:٤٠].

والعفو سبب عزة العبد في الدنيا والآخرة.

عن أبي هُريرة : أَنَّ رسولَ اللهِّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِّ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ» أخرجه مسلم (١).

والعفو شعار الصالحين الأتقياء، لأن التنازل عن الحق بالعفو إرضاء لله عز وجل وإيثار لما يحبه الرب على ما تحبه النفس: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾[التوبة:٦٢].

والعفو خلق عظيم يثمر مودة الآخرين، لأنه ينفذ إلى شغاف القلوب، فلا يملكون أمامه إلا إبداء نظرة إجلال وإكبار لمن تخلق به، والثناء عليه بين الناس والدعاء له: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والانتصار للنفس ممن ظلمها حق، ولكن العفو أحسن منه إن تحققت به مصلحة: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى:٤٠].

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، وتجاوز عن سيئاتنا، يا أرحم الراحمين .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨) .

٣- أنواع العفو

العفو نوعان:

الأول: عفو الله عز وجل عن عباده، وهو من أعظم صفات الرب.

ويكون هذا العفو بترك مؤاخذة العصاة على ذنوبهم، وعدم محاسبتهم عليها، ومحوها عنهم بالكلية: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النساء:١٤٩].

ويحصل عفو الله عن عباده بأمور هي:

طلب العفو من الله عز وجل، والتوبة إليه من الذنوب.

فالتوبة تجب ماقبلها، واستغفار الله عز وجل من الذنوب، وعفو العبد عن الناس، رجاء أن يعفو الله عنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٨﴾ [التحريم:٨].

وعفو الله ﷻ من كمال رحمته بعباده، وإحسانه إليهم.

قال النبي ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه (١).

الثاني: العفو بين الناس.

والعفو عبادة قلبية، وخلق محمود يحبه الله، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالتخلق به بقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

وأوصى النبي ﷺ زوجته أم المؤمنين عائشة أن تقول: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عفوٌّ تحبُّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٨) ومسلم برقم (٤٩).

العفوَ فاعفُ عنِّي» أخرجه أحمد والترمذي[1].

والعفو من أعظم صفات المؤمنين المتقين التي ينالون بها من ربهم المغفرة والجنة: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فيا عبد الله تعبد لله بهذا الخلق العظيم، وتخلق به بين الناس، ليعظم أجرك، ويحبك ربك، ويحبك الناس وتملك قلوبهم بعفوك وصفحك عمن ظلمك: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾[الأعراف:١٩٩].

والعفو خلق عظيم، وهو من أعظم صفات الرب، وقد ندب الله رسله وأولياءه إليه، لما يثمره من عظيم المحبة والمودة، وعظيم الأجر والثواب: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾[الشورى:٤٠].

وقال الله عز وجل: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٥٣٨٤) والترمذي برقم (٣٥١٣) .

٤ – صور من عفو النبي ﷺ

قال الله تعالى :﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨].

وعن عائشة رضي اللهَّ عنها أنها قالت للنبيِّ ﷺ:«هَلْ أَتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَومِكِ، وكَان أَشدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يوْم العقَبَةِ، إِذْ عرَضتُ نَفسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ ابنِ عبْدِ كُلال، فلَمْ يجُبنِى إِلى مَا أَردْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ عَلى وَجْهِي، فلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنا بقرنِ الثَّعالِبِ، فَرفَعْتُ رأْسِي، فَإِذا أَنَا بِسحابَةٍ قَد أَظلَّتني، فنظَرتُ فَإِذا فِيها جِبريلُ عليه السلام، فناداني فَقَالَ: إِنَّ اللهَّ تَعالَى قَد سَمِع قَولَ قومِك لَكَ، وَما رَدُّوا عَلَيكَ، وَقد بعث إِلَيك ملَكَ الجبالِ لِتأْمُرهُ بمَا شِئْتَ فِيهم، فَنَادَاني ملَكُ الجِبَالِ، فَسلَّمَ عَليَّ ثُمَّ قَالَ: يَا محُمَّدُ إِنَّ اللهَّ قَد سمعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ، وأَنا مَلَكُ الجِبالِ، وقَدْ بعَثني رَبيِّ إِلَيْكَ لِتأْمُرَني بِأَمْرِكَ، فَمَا شئتَ: إِنْ شئْتَ: أَطْبَقْتُ عَليهمُ الأَخْشَبَيْن"فقال النبي ﷺ:بلْ أَرْجُو أَنْ يخْرِجَ اللهَّ مِنْ أَصْلابِهِم منْ يعْبُدُ اللهَّ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»متفق عليه (١).

وعن أَنس رضي اللهَّ عنه قَالَ:«كُنتُ أَمْشِي مَعَ رسول اللهَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم وَعَلَيْهِ بُردٌ نَجْرَانيٌّ غلِيظُ الحَاشِيةِ، فأَدركَهُ أَعْرَابيٌّ، فَجبذهُ بِردَائِهِ جبْذَة شَديدَةً، فَنظرتُ إِلَى صَفْحَةِ عاتِقِ النَّبيِّ ﷺ، وقَد أَثَّرت بها حَاشِيةُ الرِّداءِ مِنْ شِدَّةِ جَبذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا محُمَّدُ مُرْ لي مِن مالِ اللهَّ الَّذِي عِندَكَ. فالتَفَتَ إِلَيْه، فضحِكَ، ثُمَّ أَمر لَهُ بعَطَاءٍ»متفق عليه (٢).

وعنْ جَابِرٍ رضي الله عنهأَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبيِّ ﷺ قِبَلَ نَجدٍ فَلَمَّا قَفَل رَسُول اللهَّ ﷺ قَفَل مَعهُمْ، فأَدْركتْهُمُ الْقَائلَةُ في وادٍ كَثِيرِ الْعضاهِ، فَنَزَلَ رسولُ اللهَّ ﷺ، وتَفرَّقَ النَّاسُ يسْتظلُّونَ بالشَّجرِ، ونَزَلَ رسولُ اللهَّ ﷺ تَحْتَ سمُرةٍ، فَعلَّقَ بِهَا سيْفَه، ونِمْنا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) ومسلم برقم (١٧٩٥) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٤٩) ومسلم برقم (١٠٥٧) .

نوْمةً، فَإِذَا رسولُ اللهَّ ﷺ يدْعونَا، وإِذَا عِنْدَهُ أعْرابيٌّ فقَالَ: إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَليَّ سيْفي وأَنَا نَائِمٌ، فاسْتيقَظتُ وَهُو في يدِهِ صَلْتاً، قالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ منِّي؟ قُلْتُ: اللهَّ – ثَلاثاً وَلمَ ْيُعاقِبْهُ وَجلَسَ» متفق عليه [(١)].

وحكى النبيﷺ عن نبي من الأنبياء ضربه قومه وهو يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» متفق عليه [(٢)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ ، فَأَكَلَ مِنْهَا ، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ : أَلاَ نَقْتُلُهَا ، قَالَ : لاَ ، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لهَوَاتِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ» متفق عليه [(٣)].

وكل حياة النبي ﷺ مملوءة بالعفو،والصبر، والحلم، والسماحة، والرحمة، والبر، والإحسان فصلوات الله وسلامه عليه .

ولهذا أثنى عليه ربه بقوله :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤].

اللهم ارزقنا حسن الاقتداء به، في أقواله، وأعماله، وأخلاقه، وآدابه :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٥) ومسلم برقم (٨٤٣) .

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٧) ومسلم برقم (١٧٩٢) .

(٣)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦١٧) ومسلم برقم (٢١٩٠) .

٥- الأسباب المعينة على العفو عن الناس

الأول : العلم بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، ونعوته الجميلة، وأحكامه المجيدة .

فمن عرف ربه بالعفو عن العباد عفا عن الناس، وتعبد لله بهذا الخلق العظيم : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

الثاني : العلم بأخلاق النبي ﷺ،وحسن أقواله، وأفعاله، وأخلاقه، وآدابه: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

الثالث : العلم بفضائل العفو والصفح، والرحمة والإحسان.

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فمن عرف ذلك سارع إلى العفو والإحسان إلى الخلق :﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [البقرة:١٩٥].

الرابع : الصبر على أذى الخلق، والإعراض عن جهل الجاهلين، وسفه السفهاء، ابتغاء مرضاة الله : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣ ﴾ [الشورى:٤٣].

الخامس : تغليب العفو والصفح على الانتقام والانتصار على من أساء إليك:

فمن أقدره الله على من ظلمه، فليجعل العفو عنه شكرا لربه الذي أقدره عليه: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

السادس : التحلي بمكارم الأخلاق، والترفع عن مجازاة المسيء، فالمؤمن يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه:

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾[الأعراف:١٩٩].

السابع : التلطف بالمسيء، والإحسان إليه، والصبر على أذاه، وكسب مودته، واتقاء شره بالعفو عنه : ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾[فصلت:٣٤-٣٥].

الثامن: الإكثار من ذكر الله ﷻ، والعلم بأن من عفا عفا الله عنه، وتذكر حسن ثواب العفو، وحب الله لمن عفا وأحسن إلى خلقه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾[الشورى:٤٠].

التاسع : قطع دابر الخصام، بالسكوت، والإعراض، والصبر، والعفو .

فمن سكت عن جاهل أوسعه جوابًا، وأوجعه عقابًا :﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾[فصلت:٣٤-٣٥].

العاشر: تذكر حلم الله على العصاة، و إمهاله لهم حين يعصونه، ومن علم ذلك صبر على جهل الجاهلين، وعفا عن ظلمهم، رجاء أن يعفو الله عنه : ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ ﴾[النور:٢٢].

٦ - ثمرات العفو عن الناس

من أعظم ثمرات العفو عن الناس:

الأولى: العفو سبب لنيل عفو الله ﷻ، ونيل مغفرته ورضوانه.
﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾[النور:٢٢].
وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن: ١٤].

الثانية: العفو عبادة لله عز وجل، وإحسان إلى المسيء، وسبب لحب الله لمن عفا: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾[المائدة:١٣].

الثالثة: العفو سبب لتحقيق صفة التقوى لله ﷻ.
﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾ [البقرة: ٢٣٧].

الرابعة: العفو من صفات المؤمنين المتقين الذين وعدهم الله بالمغفرة والجنة.
﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الخامسة: العفو يثمر المحبة بين الناس، وتآلف قلوبهم، واجتماع كلمتهم.

السادسة: العفو إحسان إلى المسيء ورحمة به، وتقدير لجانب ضعفه البشري، وغرس للمحبة والمودة في قلبه.

السابعة: العفو امتثال لأمر الله بالعفو، فمن عفا عفا الله عنه، وغفر الله له:
﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾[النور:٢٢].

الثامنة: العفو من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، ومن عفا عن غيره ممن سبه أو ظلمه فقد تشبه بالأنبياء بصفاتهم كما قال الله عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

التاسعة: العفو من أعظم صفات الله عز وجل، فمن عفا فقد تعبد لله باسمه العفو: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾[الأعراف: ١٨٠].

العاشرة: إن من عفا عن غيره نال أعظم الثواب من ربه: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾[الشورى: ٤٠].

الحادية عشرة: العفو عن الناس سبب لنيل العزة في الدنيا والآخرة.

قَالَ رسولَ اللهِ ﷺ: «مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا» أخرجه مسلم (١)

الثانية عشرة: العفو سبب لطمأنينة القلب، وراحة البال، ومحبة الناس له، ودعائهم له، وحسن الثناء عليه.

الثالثة عشرة: العفو عمن يستحق العفو يقلب العداوة إلى صداقة، ويقلب البغض إلى محبة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾[فصلت: ٣٤-٣٥].

الرابعة عشرة: أن الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عن غيره من الناس، عفا الله عنه في الدنيا والآخرة، وزاد أجره.

﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾ [الشورى: ٤٠].

الخامسة عشرة: أن العفو عن الناس من صفات الأقوياء الصابرين، الذين قدموا ما يحب الله على ما تحبه النفس، واستعصوا على حظوظ النفس ورغباتها.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

قَالَ رَسُولَ الله ﷺقَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ؛ إِنَّمَا الشَدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»متفق عليه [١] .

فهنيئا لأهل العفو، والصفح، والإكرام، والإحسان، والرحمة،والصبر، بالتعبد لله بهذه الصفات العظيمة، ونيل مغفرة الله، ودخول جنته، وكسب مودة الخلق: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى: ٤٠].

اللّهم اهدِنا فيمَن هَديْت، و عافِنا فيمَن عافيْت،وتَولّنا فيمَن تَولّيْت، وقِنا برحمتك شَرَّ ما قَضَيت ، فإنك تَقضي ولا يُقضى عليك .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا .

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٣) ومسلم برقم (٢٦٠٩) .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثامنة والثلاثون

عبادة الاستغفار

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأوَّل: فقه الاستغفار.

الثَّاني: فضائل الاستغفار.

الثَّالث: استغفار الأنبياء والرُّسل.

الرَّابع: صيغ الاستغفار في القرآن والسُّنَّة.

الخامس: الأسباب المعينة على التَّوبة والاستغفار.

السَّادس: ثمرات الاستغفار.

٣٨- عبادة الاستغفار

العبادة الثامنة والثلاثون

فقه الاستغفار

استغفار الله ﷻ عبادةٌ قلبيَّةٌ بين العبد وربِّه، فالعبد يستغفر ربَّه من ذنبه، والرَّبُّ كريمٌ غفورٌ رحيمٌ، يغفر الذَّنب، ويستر العبد: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

والمغفرة: هي وقاية شرِّ الذُّنوب والمعاصي، مع سترها على العبد.

والله حييٌ ستِّيرٌ يستر على مَن يغفر له، وعلى مَن لا يغفر له، لأنَّه ستِّيرٌ يحبُّ السَّتر، والستر جزءٌ من المغفرة، وكم ستر الله ﷻ على أقوامٍ لا يتوبون ولا يستغفرون، ويمهلهم برحمته، ويُملي لهم إمَّا لأجل أن يتوبوا ويستغفروا ربَّهم من ذنوبهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وإمَّا يمهلهم ربُّهم استدراجاً لهم، لصدِّهم عن الحقِّ، وإعراضهم عنه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال الله ﷻ: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤-٤٥].

والفرصة سانحةٌ لهؤلاء وهؤلاء، ليتوبوا إلى ربِّهم: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة: ٣٩].

والله وحده هو العليم بما عملوا، وبما سيعملون، وبما سينتهي إليه أمرهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

والمداومة على الاستغفار مغفرةٌ للذُّنوب، وتكفيرٌ للسَّيِّئات: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء: ١١٠].

والاستغفار دواءٌ ناجعٌ يطهِّر القلوب من الذُّنوب والخطايا، ويُزيل الدَّرن منها، ويملؤها بحبِّ الله، وحبِّ عبادته، لهذا أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالاستغفار بقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

وأمر النبي ﷺ المؤمنين بالاستغفار بقوله: «يا أيُّها الناسُ، تُوبُوا إلى الله واستغفِروه؛ فإنِّي أستغفر الله وأتوب في كل يوم مِئَةَ مرَّةٍ» أخرجه(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» أخرجه البخاري (٢).

والاستغفار هو طلب المغفرة مِن الله ﷻ بمحو الذُّنوب، وستر العيوب، والله كريم لا يردُّ سائلاً، ولا يخيِّب مؤمِّلاً، ولكن لا بدَّ أن يصحب الاستغفارَ الإقلاعُ عن الذُّنوب والمعاصي، ولزوم الطَّاعات، لأنَّ الاستغفار ندمٌ ينقل العبد مِن الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى المقام الأعلى.

وكلَّما زاد العبد علماً بالله ازداد حبًّا له، وثناءً عليه، وشكراً له، واستغفاراً له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

فأبلغ الثَّناء أن تقول: لا إله إلَّا الله، و أبلغ الدُّعاء أن تقول: أستغفر الله.

فأكثِر يا عبد الله مِن هذا وهذا، لأنَّ التَّوحيد يمحو الشِّرك، والاستغفار يمحو شعب الشِّرك مِن البدع و المعاصي، والتوحيد يُذهِب أصلَ الشِّرك، والاستغفار يمحوفروعه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

والاستغفار عبادةٌ عظيمةٌ، فمَن استغفر الله صادقاً محا الله عنه الشِّرك الأكبر، والكبائر والصَّغائر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

ولأهمِّيَّة التَّوبة والاستغفار في حياة المسلم أمر الله رسوله ﷺ بكثرة التوبة والاستغفار بقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقال الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر:١-٣].

وقال الله ﷻ للنَّبيِّ ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء:١٠٦].

ورغب الله جميع عباده بالاستغفار، وأمرهم بطلب المغفرة مِن ربِّهم فقال: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ﴾ [البقرة:٢٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة:١٩٩].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت:٦].

ورغب الغفور الرحيم كلَّ مَن أسرف على نفسه بالمعاصي بالاستغفار والتَّوبة إلى ربه فقال: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

وأمر الله رسوله ﷺ أن يخبر المؤمنين بسعة مغفرة ربِّهم ورحمته بقوله: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

وقال الله ﷻ: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسيِّ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِؤُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» أخرجه مسلم (١).

والله ﷻ غفورٌ غفَّارٌ يغفر الذُّنوب جميعاً مهما كبرت، ومهما عظمت، ومهما تكرَّرت: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ، فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ، أَوْ أَصَبْتُ، آخَرَ فَاغْفِرْهُ، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ، ذَنْبًا قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ، أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ، آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ» متفق عليه (٢).

ومغفرة الله ﷻ للذُّنوب مِن مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومِن لوازم الإيمان بأسماء الله الغفور والغفَّار، فمَن علم أنَّ ربَّه غفورٌ استغفره، ومَن علم أنَّ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧) ومسلم برقم (٢٧٥٨).

الله غفَّارٌ استغفره مِن جميع الذُّنوب والمعاصي: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢].

وقال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» أخرجه مسلم [1].

والله ﷻ غفورٌ رحيمٌ يغفر لكلِّ مَن استغفره وتاب إليه من عباده كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

وذنوب العباد ومعاصيهم عظيمة وكثيرة، لا يغفرها إلَّا الله الغفور الرَّحيم وحده لا شريك له: ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

وقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

والاستغفار عبادةٌ بين المؤمن وربِّه، فلا يُقبل إلَّا من المؤمنين كما في دعاء الخليل ﷺ لربِّه بقوله عن الأصنام: ﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٧-٨٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

والاستغفار عبادةٌ قلبيَّةٌ بين العبد وبين ربِّه، تظهر على اللِّسان دعاءً وسؤالاً، وإعلاناً واعتذاراً، وفي القلب ندماً وخوفاً: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء: ١١٠].

والاستغفار يرفع البلاء والعذاب عن الأمَّة : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنفال:٣٣].

والاستغفار مِن أعظم أسباب جلب الرَّحمة كما قال صالحٌ ﷺ لقومه: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[النمل:٤٦].

والفرق بين العفو والمغفرة:

أنَّ العفو أبلغ مِن المغفرة، لأنَّ العفو محو الذَّنب، والمغفرة ستر الذَّنب .

فالعفو عبارةٌ عن إزالة آثار الذُّنوب بالكلِّيَّة، ومحوها مِن ديوان الكرام الكاتبين، وعدم المؤاخذة عليها.

والمغفرة هي: أن يستر الله على المذنب جرمه صوناً له من عذاب الخجل والفضيحة يوم القيامة، وإسقاط العقاب عنه، فالعفو محوٌ وطمسٌ للذُّنوب، والمغفرة سترٌ وتغطيةٌ للذُّنوب، والمحو أبلغ مِن السَّتر، وقد جمع الله بينهما في قوله سبحانه عن الضُّعفاء: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[النساء:٩٩].

فالله ﷻ هو العفوُّ الذي يعفو عن الذُّنوب، ويمحوها بالكلِّيَّة، ويسترها عن المذنبين، صيانةً لهم من الخجل والفضيحة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ ﴾[النجم:٣٢].

وقال ﷻ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾[النصر:٣].

٢ - فضائل الاستغفار

الأولى: الاستغفار استجابةٌ لأمر الله بالاستغفار، وهو مِن أعظم العبادات الَّتي تغسل الذُّنوب فيما بين العبد وربِّه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

الثَّانية: الاستغفار عبادةٌ تجلب الخيرات والبركات، وتدفع البلايا والمصائب، والاستغفار سببٌ لنزول الغيث من السَّماء، والإمداد بالأموال والبنين، وبركة النَّبات والأشجار والثِّمار كما قال نوحٌ لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾[نوح: ١٠ - ١٢].

الثَّالثة: الاستغفار سببٌ لزيادة القوَّة في الأبدان، لما فيه مِن غسل الذُّنوب، فيخفُّ البدن وينشط، كما قال هودٌ ﷺ لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[هود:٥٢].

الرَّابعة: المداومة على الاستغفار سببٌ للفلاح والفوز في الدُّنيا والآخرة.

قال الله عزَّ وجلَّ في الحديث القدسيِّ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» أخرجه مسلم [١].

وقال النبي ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا» أخرجه ابن ماجة[٢].

الخامسة: الاستغفار عبادةٌ تدفع العقوبة والعذاب، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٣٠٩٣).

السَّادسة: الاستغفار وسيلةٌ لتدارك التَّقصير، وجبرٌ لتقصير العبد في شكر نعم الرَّبِّ، وجبرٌ للتَّقصير الَّذي يحصل في الطَّاعات والعبادات الكبار، كالصَّلاة والزكاة، والصوم والحجِّ وختام المجالس وغيرها.

فكانَ ﷺإِذَا انْصَرَفَ مِن صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا.أخرجه مسلم (١).

وشرع الله الاستغفار بعد الفراغ من الحجِّ فقال: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾[البقرة:١٩٩].

وكان النَّبيُّ ﷺاذا جلس مجلساً ختمه بقوله: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» أخرجهالترمذيوأحمد(٢).

السَّابعة: الاستغفار سببٌ للمغفرة والرَّحمة، وتبديل السَّيِّئات بالحسنات: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأعراف:١٥٣].

وقال اللهﻷ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان:٦٨-٧٠].

الثَّامنة: الاستغفار عبادة الأتقياء في الأسحار، وتوبة المذنبين في اللَّيل والنَّهار، واعتذار أهل الكبائر والصَّغائر بين يدي الملك العزيز الجبَّار: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾[النصر:٣].

وقال اللهﻷ: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الذاريات:١٨].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٥٩١).

(٢)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٣) وأحمد برقم (١٠٤١٥).

التَّاسعة: الاستغفار سببٌ للمتاع الحسن في الدُّنيا والآخرة، كما قال هودٌ ﷺ لقومه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود:٣].

العاشرة: الاستغفار سببٌ لنزول الرَّحمة على المؤمنين كما قال صالحٌ ﷺ لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل:٤٦].

والاستغفار عبادةٌ عظيمةٌ مشروعةٌ في كلِّ وقتٍ، وهناك أوقاتٌ أرجى مِن أوقاتٍ، وأحوالٌ أبلغ مِن أحوالٍ، ومِن ذلك .

الأول: الاستغفار عقب الذُّنوب مباشرةً : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

وقال آدم ﷺ بعد الأكل مِن الشَّجرة الَّتي نهاه الله عن أكلها: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

الثَّاني: الاستغفار عقب الطَّاعات لشهود العبد تقصيرَه في الطَّاعة كما أمر الله عباده بالاستغفار بعد الفراغ من الصَّلاة والحجِّ كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة:١٩٩].

وكان ﷺ يقول بعد السَّلام: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ» ثلاثاً، أخرجه مسلم (١).

وكان ﷺ يختم مجالس الذِّكر والوعظ بالاستغفار فيقول: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» أخرجهاحمدوالترمذي(٢).

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٥٩١) .

(٢)صحيح: أخرجه احمد برقم (١٠٤١٥) والترمذي برقم (٣٤٣٣) .

الثَّالث: في الأذكار اليوميَّة الرَّاتبة كأدعية الاستفتاح في الصَّلاة، وأدعية الرُّكوع والسُّجود، وما بين السَّجدتين ونحو ذلك .

أمَّا الأوقات والمواطن الَّتي يُستجَاب فيها الاستغفار ففي وقت السَّحر كما قال سبحانه: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات:١٨].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ مُثنياً على المستغفرين: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧﴾ [آل عمران:١٧].

ويتأكَّد الاستغفار عند الخسوف والكسوف، وعند التَّقلُّب في الفراش ليلاً، وعند القيام في اللَّيل للتَّهجُّد، وعند الفراغ مِن الوضوء، ونحو ذلك من المواطن والحالات : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر:٣].

٣- استغفار الأنبياء والرُّسل

الأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام أعلم الخلْقِ بربِّهم، وأحسنهم عبوديَّةً له، وأعظمهم شكراً له، وأكثرهم استغفاراً له .

والاستغفار والتَّوبة مِن أعظم عبادات الأنبياء والمرسلين، فآدم وزوجه لمَّا خالفا أمرَ الله بادرا إلى الاستغفار والتَّوبة والنَّدم: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

ونوحٌ ﷺ لمَّا سأل الله أن ينجِّي ابنَه عدَّ هذا ذنباً يُوجِب الاستغفار: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود:٤٧].

ومِن دعاء نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨].

وإبراهيم ﷺ يقول راجياً مغفرة مولاه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء:٧٥-٨٢].

ومِن دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم:٤١].

وموسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص:١٦].

ويونس ﷺ ينادي ربَّه في الظُّلمات: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وقال سبحانه في شأن داود ﷺ: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص:٢٤].

وسليمان ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص:٣٥].

ويعقوب ﷺ عندما جاء أبناؤه يطلبون المغفرة: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف:٩٧-٩٨].

وأمر الله رسوله محمداً ﷺ بالاستغفار فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وأمره في ختام دعوته أن يُكثِر مِن الاستغفار فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر:١-٣].

ونبيُّنا محمدٌ ﷺ كان يقول: ((وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً))، أخرجه البخاري (١).

وأمر الله المؤمنين كالأنبياء بالاستغفار فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت:٦].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

٤- صيغ الاستغفار في القرآن والسُّنَّة

صيغ الاستغفار في كتاب الله ﷻ كثيرةٌ ومنها: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف:٢٣].

وقول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران:١٤٧].

وقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عمران:١٦].

وقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩﴾ [المؤمنون:١٠٩].

وقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم:٨].

وقوله سبحانه: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران:١٩٣-١٩٤].

وقوله سبحانه عن دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم:٤١].

قوله ﷻ عن دعاء نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ [نوح:٢٨].

وغير ذلك من الأدعية الواردة في كتاب الله ﷻ.

أمَّا صيغ الاستغفار في السُّنَّة النَّبويَّة فمنها سيِّد الاستغفار.

عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ

يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ» أخرجه البخاري (١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضِي اللهَّ عَنْهُما قَال: إن كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُول اللهَّ ﷺ في المجلِس الْواحِدِ مِائَةَ مرَّةٍ: «ربِّ اغْفِرْ لِي، وتُبْ عليَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ الرَّحِيمُ» أخرجه أبو داودوالترمذي (٢).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ» أخرجه أبو داود والترمذي(٣).

وقال أبو بكرٍ الصِّدِّيقِ: يا رَسولَ اللهَّ، عَلِّمني دُعاءً أدعُو بِهِ في صَلاتي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم» متفق عليه (٤).

وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يدعو بهذا الدُّعاء: «اللَّهمَّ اغفِرْ لي خطيئَتي وجَهلي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي وعَمْدِي، وهَزْلي وجِدِّي، وكلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه (٥).

والله عَجَّلَّ غفورٌ رحيمٌ يغفر للمستغفرين، ويتوب على التَّائبين: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [غافر: ٣].

والمؤمن يتعبَّد لربِّه فيما بينه وبينه بعبادة الاستغفار، لأنَّه يعلم أنه لا يغفر الذُّنوب إلَّا الله وحده، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

(٢) صحيح/ أخرجه ابو داودبرقم (١٥١٦) والترمذي برقم (٣٤٣٤).

(٣) صحيح/ أخرجه ابو داودبرقم (١٥١٧) والترمذي برقم (٣٥١٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٩) ومسلم برقم (٢٧١٩).

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥﴾[آل عمران:١٣٥].

ويتعبَّد المؤمن لله كذلك فيما بينه وبين غيره بصفة المغفرة والصَّفح لمن أخطأ عليه، أو أساء إليه، أو اعتدى عليه، لينال بذلك مغفرة ربِّه، ومحبَّة النَّاس له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن:١٤].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ٤٣﴾[الشورى:٤٣].

فاستغفِر يا عبد الله ربَّك الغفور الغفَّار، يغفر لك ذنوبك مهما كَبُرت وعَظُمت، ومهما تكررت وكَثُرت، واغفر للنَّاس زلَّاتهم، واصفح عن سيِّئاتهم، يغفر الله لك، ويحبُّك الله، ويحبُّك النَّاس، ويعظم أجرك، ويسعد قلبك، ويصحَّ بدنك .

ولأهمِّيَّة الاستغفار جعل الله الملائكة في السَّماء يستغفرون لمن في الأرض: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ٧﴾[غافر:٧].

وقال الله ﷻ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾[الشورى:٥].

والمؤمن الصادق يدعو لنفسه وللمؤمنين بالمغفرة كما في دعاء نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ٢٨﴾[نوح:٢٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر:١٠].

٥- الأسباب المعينة على التَّوبة والاستغفار

الأوَّل: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمَن عرف ربَّه بالعفو عفا عن النَّاس، ومَن عرف ربَّه بالغفران للذُّنوب استغفره، وصفح عن غيره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثَّاني: إخلاص العمل لله عَزَّ وَجَلَّ

فمَن أخلص لله العمل يسَّر له الخير، وصرف عنه الشَّرَّ، كما قال الله في شأن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف:٢٤].

الثَّالث: العلم بعظمة الله عَزَّ وَجَلَّ، والعلم بخطورة مخالفة أمره

فالمؤمن لا ينظر إلى حجم المعصية، ولكن ينظر إلى عظمة من يعصيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

الرَّابع: استشعار خطورة الذُّنوب والمعاصي، وعواقبها الوخيمة في الدُّنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء:١٢٣].

الخامس: مجاهدة النَّفس، لتقوم بفعل الأوامر، واجتناب النَّواهي، حبًّا لله، ورغبةً فيما عنده من الثَّواب، وخوفاً من العقاب: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

السَّادس: العلم بفضائل التَّوبة والاستغفار، فمَن عرف ذلك سارع إلى التَّوبة إلى الله، وأكثر مِن الاستغفار: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ ﴾[النساء:١١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿ ۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾[الزمر:٥٣].

السَّابع : تذكر الموت، وأهوال يوم القيامة، فمَن ذكر ذلك أكثر مِن التَّوبة والاستغفار مِن ذنوبه وسارع إلى كلِّ طاعةٍ.

قال النبي ﷺ: «أكثِروا ذِكرَ هادمَ اللَّذاتِ» أخرجه الترمذي(١).

الثَّامن: خشية الله ﷻ، والخوف منه، فمَن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وأكثر مِن التَّوبة والاستغفار من ذنوبه :﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾[فاطر:٢٨].

التَّاسع: تذكر رحمة الله الَّتي وسعت كلَّ شيءٍ، ومغفرته الَّتي وسعت كلَّ شيءٍ، فمَن عرف ذلك أقبل على طاعة مولاه، واجتنب معصيته، واستغفر مِن ذنبه : ﴿ ۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾[الزمر:٥٣].

العاشر: تذكُّر عذاب النَّار يوم القيامة، وشدَّة سعيرها، وضيقها، وزقُّومها، وشدَّة حرارة مائها، وأهوالها، فمَن ذكر ذلك تاب إلى ربِّه، واستغفر من ذنوبه :﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾ [البقرة:٢٨١].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

الحادي عشر: تذكر النَّعيم المقيم في الجنَّة، فالعبد إذا تذكَّر الجنَّة ونعيمها، وثمارها وحورها، وأنهارها وقصورها، ودرجاتها وسعتها، أقبل على الطَّاعات،وابتعد عن المعاصي، وأكثر من التَّوبة والاستغفار من الذنوب: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[البقرة:٢٥].

الثَّاني عشر: المواظبة على الفرائض خاصَّةً الصَّلوات الخمس، والحرص على النَّوافل من الصَّلاة والصِّيام والصَّدقات، فالفرائض والنَّوافل تذكِّر العبدَ بربِّه،وتجدِّد إيمانه، وتزيد حسناته، فيكون قلبه معلَّقاً بالله ﷻ،دائم التَّوبة والاستغفار: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري [1].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

الثَّالث عشر: الإكثار مِن تلاوة القرآن، والمحافظة على الأذكار، والإكثار من الاستغفار، فذلك صارفٌ للعبد عن الذُّنوب والمعاصي: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

الرَّابع عشر: الاطِّلاع على سيرة الأنبياء والمرسلين، وما هم عليه مِن كثرة الذِّكر والتَّوبة والاستغفار: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

الخامس عشر: مصاحبة الصَّالحين، ومجالسة التَّائبين، والبعد عن قرناء السُّوء، ومواطن الغفلة والمعاصي، فالمرء على دين خليله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

السَّادس عشر: الدُّعاء والتَّضرُّع إلى الله، وسؤاله الثَّبات على الطَّاعات، والبعد عن المعاصي، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

ولقد كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ من قول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» أخرجه الترمذي(١).

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠) واحمد برقم (١٣٦٩٦).

٦ - ثمرات الاستغفار

الاستغفار عبادةٌ مِن عبادات القلوب العظيمة، والاستغفار سيِّد الأذكار والأدعية: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

ومِن ثمرات الاستغفار:

أنَّه يطرد الشَّيطان، ويرضي الرَّحمن، ويُزيل الهمَّ والغمَّ، وينوِّر الوجه، ويجذب السُّرور إلى القلب، ويصحِّح البدن.

ويُورث الاستغفار محبَّة الله للعبد، ومحبَّة العبد للرَّبِّ، ولذَّة القرب منه، ويُورِث ذِكرَ الله كثيراً، ويحُيي القلب.

ويُزيل الاستغفار الوحشة بين العبد وربِّه، ويجلب الرِّزق، ويرفع الدَّرجات، ويحطُّ السَّيِّئات، ويرفع البلاء، ويغسل الذُّنوب: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

والاستغفار مِن أعظم أسباب البركات والخيرات: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

والاستغفار من أعظم أسباب المغفرة ودخول الجنة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

(١٣٤) وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن
يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم
مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ
ٱلۡعَٰمِلِينَ (١٣٦)﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٢٣)﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٤٧)﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة التاسعة والثلاثون

عبادة الاستعاذة بالله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الاستعاذة بالله عز وجل

الثاني: أقسام الاستعاذة.

الثالث: صيغ الاستعاذة.

الرابع: الأمور التي يستعاذ بالله منها.

الخامس: ما يُستعاذ به.

السادس: الأسباب المعينة على الاستعاذة بالله.

العبادة التاسعة والثلاثون

عبادة الاستعاذة بالله عز وجل

١ - فقه الاستعاذة عز وجل

الاستعاذة باللههي الالتجاء إلى الله، والاعتصام والتحصن بالله، والفزع إليه من كل ما يخافه العبد: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦].

والاستعاذة بالله ﷻ عبادة من أجلّ العبادات، وطاعة من أزكى الطاعات، لأنها تتعلق بتوحيد رب الأرض والسموات، لما فيها من الالتجاء إلى الله، والاستجارة به، والاعتصام به من كل ذي شر: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١].

والاستعاذة عبادة لا تصرف إلا لله وحده، لأنه رب الناس، وملك الناس، وإله الناس الذي لا تجوز الاستعاذة إلا به وحده؛ لأنه وحده الذي يعين المستعيذين، ويعصمهم من الشرور، ويمنعهم من شر من أراد بهم سوءًا: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١-٥]

فاستعذ بالله القادر على كل شيء: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١-٦].

والاستعاذة بالله عز وجلعبادة قلبية من أعظم العبادات، وهي تستلزم كثيراً من العبادات القلبية،والقولية،والعملية .

منها: افتقار العبد إلى ربه، وإظهار حاجته إليه، وإقرار العبد بضعفه وعجزه، وإظهار ذله لربه العزيز الجبار.

ومنها:أنها تحمل العبد على الاستقامة على أوامر الله، وحفظ لسانه وجوارحهمما يغضب الله، لأنه يخشى أن يخذله ربه بسبب معاصيه وذنوبه.

ومنها:أن المستعيذ تقوم بقلبه أعمال جليلة يحبها الله عز وجل؛ من الصدق والإخلاص، والمحبة والتوكل، والافتقار، والإنابة إلى الله:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

ومنها: عمران قلب العبد بخشية الله، وصدق الإنابة إليه؛ لمعرفته بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

وتحقيق الاستعاذة بالله يكون بأمرين :

الأول:التجاء العبد إلى الله عز وجل، وطلب إعانته بصدق وإخلاص، معتقدًا أن النفع والضر بيد الله وحده، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

الثاني:إتباع أمر الله فيما أمره به، ليعيذه مما يضره بفعل الأسباب التي أمره الله بها، والانتهاء عما نهى الله عنه، فمن جمع بين هذين الأمرين كان مستعيذًا بالله

حقًا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

والاستعاذة بالله جل جلاله عبادة من عبادات القلوب: فمن استعاذ بالله صادقًا أعاده، ومن استغفر الله غفر له، ومن تاب إلى الله تاب الله عليه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ اللهَّ قالَ: «مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ» أخرجه البخاري [1].

ومن استعاذ بغير الله فقد أشرك، ولم تزده استعاذته إلا رهقًا ووبالًا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦].

والاستعاذة بغير الله شرك بالله، وهي مردودة غير مقبولة: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

وقال النبي ﷺ: «من أحدَث في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» متفق عليه [2].

واستعاذة المحسنين هي أعلى درجات الاستعاذة وأفضلها وأحسنها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

وهؤلاء هم الذين أوجب الله على نفسه أن يعيذهم إذا استعاذوا به، كما قال ﷻ في الحديث القدسي: «ولَئِنِ اسْتَعاذَني لَأُعِيذَنَّهُ» أخرجها البخاري (١).

وهؤلاء هم أولياء الله الذين آمنوا بالله واتقوه، وأحسنوا الظن به، وعبدوه كأنهم يرونه، بكمال الحب والتعظيم والذلّ له: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

والله ﷻ حكيم عليم يبتلي عباده ببعض ما يُستعاذ منه، ليلجئوا إليه، ويخلصوا له العبادة وحده، فمن أحسنَ الاستعاذة بالله أعاذه الله واصطفاه وأكرمه، ومن استعاذ بغيره خذله الله من جهته: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦].

وقال الله ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢].

الاستعاذة طلب العون من الله لدفع ما يخافه الإنسان، ويخشى ضرره على نفسه.

والاستعاذة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله: الملك، القويّ، القادر، القاهر، القهّار، المستعان.

فالله وحده هو الملك القويّ القادر الذي يعيذُ من استعاذ به، والتجأ إليه، واستعان به، وامتنع به، وهو القاهر القهّار الذي يكفي عبده شر ما استعاذ منه؛ فاستعذ بمن هذه أسماؤه وصفاته: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١-٥]

واستعذ بالله العظيم من شر الشيطان وشركه يُعيذك منه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١-٦].

والله سبحانه هو الرب المستعان الذي يعين كل من استعان به، ويعيذ كل من استعاذ به: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢].

والاستعاذة بالله مأمور بها عند قراءة القرآن كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

والاستعاذة مشروعة قبل قراءة الفاتحة في الصلاة، وكان النبي ﷺ يقولها سرًا هي والبسملة قبل الفاتحة، فتُشرع الاستعاذة في كل ركعات الصلاة قبل الفاتحة، لأن الاستعاذة بالله مشروعة قبل قراءة القرآن عمومًا: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٨-٩٩].

وتُشرع الاستعاذة عند دخول الخلاء، فكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يقولُ إذَا دَخَلَ الخَلاء: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الخُبْثِ والخَبَائِثِ» متفق عليه (١).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٢) ومسلم برقم (٣٧٥).

وكانَ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ، ويقولُ: «إنَّ أَبَاكُما كانَ يُعَوِّذُ بهَا إسْمَاعِيلَ وإسْحَاقَ: «أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِن كُلِّ شيطَانٍ وهَامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ". أخرجه البخاري (١).

وكان ﷺ يستعيذ بالله من الشيطان في صلاة الليل فيقول: «أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، مِن همزِهِ، ونفخِهِ، ونفثِهِ» أخرجه أحمد والترمذي(٢).

والناس متفاوتون في الاستعاذة:

فالمؤمنون يستعيذون بالله من الشيطان الرجيم، فيحفظهم الله من كيده، ومكره، وشرّه، فلا يكون له تحكمٌ ولا طاعةٌ ولا سلطانٌ على المؤمنين، لاستعاذتهم بالله منه، إنما سلطانه على الذين يتوَلوْنه ويطيعونه من الكفار، فينقادون لأمر الشيطان من دون الله، ويشركون به مع الله في الاستسلام له، والانقياد له: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[النحل:٩٨-١٠٠].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٧١).

(٢) صحيح: أخرجه احمد برقم (٣٨٣٠) وابن ماجة برقم (٨٠٨).

٢ - أقسام الاستعاذة

تنقسم الاستعاذة بالله إلى قسمين:

الأول: استعاذة العبادة:

وهي التي يقوم في قلب صاحبها أعمالٌ تعبُديّة لله المستعاذ به، من الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، والاستعانة والتوكل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وهي تستلزم افتقار المستعيذ إلى من استعاذ به، وهو الله ﷻ.

فهي عبادة عظيمة يجب إفراد الله بها، ومَن صرفها لغير الله فقد أشرك مع الله في عبادته: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

الثاني: استعاذة التّسبُب:

وهي ما يفعله المستعيذ من الأسباب المشروعة التي يعتصم بها من شر ما يخافه، من غير أن يقوم في قلبه أعمال تعبدية للمستعاذ به، كما يستعيذ الإنسان بعصبته وقومه وإخوته من شر من يريد به شرًا.

فهذه الاستعاذة ليست بشرك، لأنها من الأسباب المشروعة المأمور بها، كما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة: ٢].

وقال النبي ﷺ: «المؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا» متفق عليه (١).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦) ومسلم برقم (٢٥٨٥).

٣- صيغ الاستعاذة

صيغ الاستعاذة بالله الثابتة في السنّة أربع،. وللمؤمن أن يختار منها ما يشاء :

الأولى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

الثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

الثالثة: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.

الرابعة: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه .

وجميع هذه الصيغ الأربع ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وآكدها الأولى وهي الموافقة لقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل:٩٨].

ومن صيغ الاستعاذة الواردة في القرآن الكريم: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

أما مواضع الاستعاذة من الشيطان فمنها:

الأول: الاستعاذة بالله عز وجل عند دخول الخلاء فيقول العبد: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِنَ الخُبْثِ والخَبَائِثِ» متفق عليه (١).

الثاني: الاستعاذة بالله من الشيطان عند الغضب: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت:٣٦].

الثالث: الاستعاذة بالله من الشيطان عند نزول منزل أو وادٍ.

الرابع: الاستعاذة بالله من الشيطان عند نهيق الحمار.

الخامس: الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القرآن، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل:٩٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٢) ومسلم برقم (٣٧٥).

٤ - الأمور التي يُستعاذ بالله منها

احدها: يُستعاذ بالله العظيم من سخطه وغضبه، وعقابه ونقمته، وزوال نعمته .

كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أعُوذُ برِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كما أثْنَيْتَ علَى نَفْسِكْ» أخرجه مسلم [١].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» أخرجه مسلم [٢].

وقال النبي ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّات مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ» أخرجهابو داود والترمذي [٣].

الثاني: يستعاذ بالله من الشيطان ومن همزه ونفخه، ونفثه، وشركه وتخبطه، ووسوسته: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

وقال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

وكان النبي ﷺ يقول: «أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، مِن همزِهِ ونفخِهِ ونفثِهِ» أخرجه أحمد وابن ماجة [٤].

الثالث: الاستعاذة بالله من الكفر والشرك، والنفاق والرياء والفسوق، ومن دعاء النبي ﷺ: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِك منَ العَجزِ والكسَلِ والبخلِ والهرَمِ والقسوةِ والغفلةِ والذِّلَّةِ والمسكَنةِ وأعوذُ بِك منَ الفقرِ والكفرِ والشِّركِ والنِّفاقِ والسُّمعةِ والرِّياءِ وأعوذُ بِك منَ الصَّممِ والبَكَمِ والجنونِ والبَرَصِ والجذامِ وسيِّءِ الأسقامِ» متفق عليه [٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

(٣) **صحيح: أخرجه** ابو داود برقم (٣٨٩٣) والترمذي برقم (٣٥٢٨) .

(٤) **صحيح: أخرجه** احمد برقم (٣٨٣٠) وابن ماجة برقم (٨٠٨) .

(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٧) ومسلم برقم (٢٧٠٦).

وقال النبيﷺ :«اللهم إني أعوذُ بك أن أشرِكَ بك و أنا أعلمُ، و أستغفِرُك لما لا أَعلمُ»أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١).

الرابع :الاستعاذة بالله من الضلال .

قال النبي ﷺ:«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا»أخرجه مسلم (٢).

الخامس:الاستعاذة بالله من عذاب النار وعذاب القبر، ومن دعاء النبي ﷺ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» متفق عليه (٣).

السادس:الاستعاذة بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ومن دعاء النبي ﷺ : «اللهم إني أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا وَالمَمَاتِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» اخرجه البخاري (٤).

وقال النبي ﷺ:«اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِن عَذابِ النَّارِ، وفِتْنَةِ النَّارِ، وفِتْنَةِ القَبْرِ، وعَذابِ القَبْرِ، وشَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ، ومِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ» متفق عليه (٥).

السابع:الاستعاذة بالله من شر الناس، ومن الظلم والخيانة، ومن جار السوء وصديق السوء، ومن المتكبرين، وأصحاب الأهواء، ومن شر السحرة وأهل الحسد:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق:١ –٥]

---

(١) **صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧١٦) وأبو يعلى برقم (٥٨).**

(٢)**أخرجه** مسلم برقم (٢٧٢٢) .

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٣٧) ومسلم برقم (٥٨٨).

(٤)أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٩).

(٥)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٣٢) ومسلم برقم (٥٨٩).

ومن دعاء النبي ﷺ :«اللهم إني أعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة»أخرجه ابو داود والنسائي(١).

وقال النبي ﷺ:«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ المُقَامَةِ؛ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ»أخرجه النسائي(٢).

وقال النبي ﷺ:«اللهم أعوذُ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ»أخرجه أحمد والترمذي(٣).

الثامن:الاستعاذة بالله من الجبن والعجز، والكسل والهرم، والبخل والقسوة، والغفلة والذِّلة، والأخلاق السيئة .

قال النبي ﷺ:«اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ، والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ»أخرجهالبخاري (٤).

وكان ﷺ يقول:«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ والأَدْواء»أخرجه الترمذي وابن ماجة(٥).

التاسع:الاستعاذة بالله من الجوع والفقر، والمصائب.

ومن دعاء النبي ﷺ:«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ»أخرجه أبو داود النسائي(٦).

وقال النبي ﷺ :«تعُوذُوا بالله مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»متفق عليه (٧).

---

(١) **صحيح: أخرجه** ابو داودبرقم (١٥٤٧) والنسائي برقم (٥٤٨٣) .

(٢)**صحيح: أخرجه** النسائي برقم (٥٥١٧) والبخاري في الأدب برقم (١١٧) .

(٣) **صحيح: أخرجه** احمد برقم (٢٦٦١٦) والترمذي برقم (٣٤٢٧) .

(٤)**أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٩)** .

(٥) **صحيح: أخرجه** الترمذي برقم (٣٥٩١) وابن حبان برقم (٩٦٠) .

(٦) **صحيح: أخرجه** ابو داودبرقم (١٥٤٧) والنسائي برقم (٥٤٨٣).

(٧) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٦١٦) ومسلم برقم (٢٧٠٧).

وقال النبي ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ» أخرجهالبخاري [١].

وقال النبي ﷺ: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من غلبةِ الدَّينِ، و غَلَبَةِ العدِّو، و شماتَةِ الأعداء» أخرجه أحمد والنسائي [٢].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ وَالحَرْقِ، والهَرَمِ» أخرجه ابو داود والنسائي [٣].

العاشر :الاستعاذة بالله من عمل الإنسان، وما تكسبه جوارحه .

قال النبي ﷺ :«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» أخرجه مسلم[٤].

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي» أخرجه الترمذي والنسائي[٥].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٣٧١) .

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٦٦١٨) والنسائي برقم (٥٤٧٥).

(٣)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٣) والنسائي برقم (٥٥٣١).

(٤)أخرجه مسلم برقم (٢٧١٦) .

(٥)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢) والنسائي برقم (٥٤٤٤) .

٥ - ما يُستعاذ به

يستعيذ المؤمن بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، وبكلمات الله التامات، وبرضاه، وبمعافاته، وقد كان رسول الله ﷺ يقول: «أعوذُ بالله العظيمِ، وبوجهه الكريم، وسلطانِه القديمِ، من الشيطانِ الرجيم» أخرجه ابو داود(١).

ومن أفضل ما يُستعاذ به سورة الفلق كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ١-٥]

وسورة الناس، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١-٦].

فسورة الفلق أمان من الشرور الخارجية التي تصيب الإنسان؛ وسورة الناس أمان من الشرور الداخلية وهي وسوسة الشيطان للإنسان .

ومن أفضل ما يستعاذ منه عند السفر أن يقول المسلم إذا نزل بمكان: " أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّات مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ أَنْ يَحْضُرُونِ". أخرجه أبو داودوالترمذي(٢).

وقال النبي ﷺ: «أعوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ، الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وبَرَأَ وذَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، ومِنْ شَرِّ الطَوارِقِ إلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَارَحْمنُ» أخرجه أحمد (٣).

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٤٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٣٨٩٣) والترمذي برقم (٣٥٢٨).

(٣) صحيح: أخرجه احمد برقم (١٥٤٦١).

٦- الأسباب المعينة على الاستعاذة بالله عز وجل

الأول:العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف ربه حقًا آمن به وكبره وعظمه، وتوكل عليه، والتجأ إليه، وفرّ إليه من غيره واعتصم به دون سواه:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد:١٩].

وقال الله ﷻ:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨ ﴾ [المائدة:٩٨].

الثاني: العلم بضعف العبد وعجزه عن حماية نفسه، وجهله بما يضره مما حوله، ومن علم ذلك لجأ إلى ربه الذي بيده ملكوت كل شيء، واستعاذ به من كل ما سواه:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ ﴾[النساء:٢٨].

الثالث:العلم بأن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان ممزوجة بالخير والشر، وبالأمن والخوف، وبالمحبوب و المكروه، ومن عرف ذلك لجأ إلى ربه ليعيذه مما يكره:﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

الرابع:قوة التوكل على الله: فمن عرف الله حقًا توكل عليه وحده، ورفع إليه حوائجه وحده، واعتصم به وحده :﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾[الطلاق:٢-٣].

الخامس:المحافظة على الفرائض في أوقاتها، والمحافظة على النوافل بأنواعها، وكل ذلك سبب لمحبة الله للعبد، وإجابة دعائه وحفظه مما يضره.

قال النبي ﷺ :«إنَّ اللهَّ قالَ: مَن عادَى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ

الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَألَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» أخرجها البخاري [1].

السادس: الإكثار من ذكر الله عز وجل، فمن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وأناب إليه والتجأ إليه من كل ما يخاف منه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨-٩].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت.

اللهم وجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الأربعون

عبادة الطمأنينة

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه الطمأنينة.

الثاني : درجات الطمأنينة.

الثالث : الأسباب المعينة على الطمأنينة.

الرابع : ثمرات الطمأنينة.

العبادة الأربعون

عبادة الطمأنينة

١ - فقه الطمأنينة

الطمأنينة : هي الراحة والسكون، والهدوء والثبات وعدم القلق .

الطمأنينة : هي السكون بعد الانزعاج، والراحة بعد القلق.

والنفس المطمئنةهي التي اطمأنت إلى ربها بالتوحيد والإيمان والاستقامة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

والطمأنينة من أعظم عبادات القلوب، ومن أعظم نعم الله على عباده، يكرم الله بها من يعلم أنه يزكو بها، ويشكر الله عليها، والله أعلم حيث يجعله رسالته وهدايته :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

والطمأنينة أعم من السكينة، وهي نهاية السكينة، والطمأنينة لا تفارق صاحبها، أما السكينة فتكون حينًا بعد حين .

وحقيقة الطمأنينة أن يطمئن قلب المؤمن في باب معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه، و أخبرت به عنه رسله، فيتلقاه بالقبول والتسليم والتصديق، والإذعان، وانشراح الصدر، وفرح القلب، ويصير ذلك كنزول الماء العذب على القلب الملتهب بالعطش، فيفرح به، ويطمئن إليه، ويسكن إليه، بل يصير ذلك لقلبه بمنزله رؤية الشمس في وسط النهار، فلو خالفه أهل الأرض جميعا لم يلتفت إلى خلافهم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ

ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد:٢٨].

وأعظم الخلق طمأنينة هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لأنهم أعرف الخلق بالله وأسمائه وصفاته و أفعاله، و محمد ﷺ هو أعظم الناس طمأنينة، فهو مطمئن بالله وحده، وجميع أهل الأرض يخالفونه، فصبر حتى أظهر الله دينه، ونصر رسوله وأولياءه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة:٣٣].

وقال الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم:٦٠].

وكلما زاد علم العبد بأسماء الله وصفاته وأفعاله زاد إيمانه بالله، وزادت طمأنينته به، وقوى توكله عليه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

هذه الطمأنينة هي أصل أصول الإيمان التي قام عليها بناؤه، وشيدت أركانه.

ثم يطمئن قلب العبد إلى إخبار الله عما يكون بعد الموت من أمور البرزخ، وما يكون بعده من أهوال يوم القيامة، حتى كأنه يشاهد ذلك كله بعينه، لا يشك فيه أبدا، و هذا حقيقة الإيمان باليوم الأخر: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ﴾[النساء:٨٧].

وكذلك يطمئن قلب العبد إلى أقدار الله عز وجل، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما قدره الله كله خير ورحمة، سواء كان محبوبًا او مكروها: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١].

ويطمئن قلبه كذلك إلى وعد الله ووعيده، فيسارع إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، ويحذر كل ما يسخطه الله ويكرهه: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ

يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧١-٧٢].

وقال الله ﷻ عن الكفار والمنافقين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

فأهل الطمأنينة هم المؤمنون حقا بالله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فهم أكثر الناس طمأنينة وسكينة، وأحسنهم عبادة، وأقواهم توكلا، وأعظمهم ثوابا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وأولئك هم الكفار الذين خسروا الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس:٧-٨].

والطمأنينة عبادة قلبية يكرم الله بها من شاء من أوليائه، لينقله من علم اليقين إلى حق اليقين، ليعبد ربه كأنه يراه، بكمال الحب والتعظيم والذل له، و يقف بين يديه كأنه يراه بصفات جلاله، وصفات جماله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة:٢٦٠].

والطمأنينة عبادة تقوى بقوة المجاهدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ

ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

والفرق بين الطمأنينة والسعادة:

أن الطمأنينة أعم من السعادة، لأن السعادة ترتبط بالمسرات، وهي مؤقتة، أما الطمأنينة فترتبط بالقناعات، وهي دائمة، والسعادة غاية كل إنسان في هذه الحياة، والطمأنينة هي العامل الأكبر والأهم في تحصيل تلك السعادة.

والطمأنينة تأتي بعد الأمن ، لأنه في حال الحرب والخوف لا طمأنينة ولا أمن: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ [النحل:١١٢].

أما الفرق بين الطمأنينة والخشوع ، فالطمأنينة تحصل باستقرار الأعضاء وسكونها في كل ركن من أركان الصلاة، وهي ركن من أركان الصلاة .

أما الخشوع فهو حضور القلب في الصلاة، والطمأنينة أثر من آثار الخشوع في الصلاة : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ [المؤمنون:١ -٣].

وأعظم ما تطمئن به القلوب هي الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله، لأنها رسائل من الله ﷻ إلى عباده، ليعرفهم بربهم، وما يحب وما يكره، وتخفف عنهم البلاء والمصائب، وتطمئن قلوبهم بما يسرهم : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وأعظم الكتب السماوية التي تملأ القلب بالسكينة والطمأنينة هو القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ

﴿ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد:٢٨].

ومن الأفعال التي تثمر الطمأنينة في القلوب عبادة الله ﷻ، ومن أعظمها الصلاة، لما فيها من حسن مناجاة الرب، والانكسار بين يديه، والأُنس به، وبث الشكوى إليه، والخضوع له، والثناء عليه، والخشوع بين يديه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

الطمأنينة هي سكون القلب وثباته، وعدم قلقه وخوفه واضطرابه.

قَالَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك،فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ»أخرجهالنسائي والترمذي[١] .

فالصدق يطمئن له قلب السامع، ويسكن إليه، والكذب يوجب له قلقًا واضطرابًا، وارتيابًا وخوفا.

قال النبي ﷺ:«البرُّ ما سَكَنَتْ إليهِ النَّفْسُ، واطْمَأَنَّ إليهِ القلبُ»أخرجه أحمد والطبراني[٢].

و جعل الله ﷻ الطمأنينة في قلوب أوليائه، وجعل المدحة والبشارة بدخول الجنة لأهل الطمأنينة :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وأخبر سبحانه أن النفوس المطمئنة هي التي ترجع إلى ربها مكرمة راضية مرضية، لأنها اطمأنت في الدنيا بذكر ربها، وشكره، وحسن عبادته :﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

---

(١)صحيح: أخرجه النسائي برقم (٥٧١١) والترمذي برقم (٢٥١٨) .

(٢)صحيح: أخرجه احمد برقم (١٧٧٧٧) والطبراني برقم (٥٨٥) .

والإيمان بالله ﷻ وتقواه هو أعظم أسباب السعادة، وطمأنينة النفس، وراحة البال، وهو الدافع القوي للتغلب على جميع المخاوف والهموم، وإزاحة القلق والاضطراب، والفوز بأعظم الثواب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت:٣٠-٣٢].

والإنسان بدون الإيمان والتقوى، يكون فريسة للأوهام والشكوك التي تحجبه عن الرؤية الصحيحة، وتضيق عليه حياته، حتى يتمنى التخلص من هذا الضيق ولو بإنهاء حياته، ظنًا منه أن الموت راحة له: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

وقال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾[الشعراء:٢١٣].

فأهل الطمأنينة هم أهل التوحيد والإيمان والتقوى، وأهل الشقاء والاضطراب هم أهل الكفر والشرك والمعاصي: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[آل عمران:١٦٢-١٦٣].

والطمأنينة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم وآثار الإيمان بأسماء الله الملك، العزيز، الجبار، القوي، القادر، القهار، وأمثالها من أسماء وصفات الجلال، وكذلك هي من لوازم الإيمان بأسماء الله الرحمن، الرحيم، العفو، الغفور، الغني، الكريم، وأمثالها من أسماء وصفات الجمال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ

﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

ومن عرف ربه الملك العزيز الجبار آمن به، وذل له، وخضع له، و امتثل أمره، واجتنب نهيه، واطمأن قلبه، وسكنت نفسه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ [فاطر:١٣-١٤].

ومن عرف ربه بالقوة والقدرة والقهر آمن به، ولجأ إليه، واستعان به، وخضع له، و توكل عليه، وامتلأ قلبه بالطمأنينة والسكينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ (٢٨)﴾ [الرعد:٢٨].

وكذلك الطمأنينة من آثار الإيمان بأسماء الله الرحمن الرحيم، الغني الكريم، فمن عرف ربه بالرحمة والغنى والكرم اطمأن إليه، وطمع في ثوابه، ووقف ببابه، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٥)﴾ [غافر:٦٥].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب الذي تطمئن إليه القلوب، وتعبده وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

٢ - درجات الطمأنينة

الطمأنينة على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: طمأنينة القلب بذكر الله عز وجل، وهي على ثلاث درجات:

الأولى: طمأنينة الخائف إلى الرجاء، فالعبد إذا طال عليه الخوف، وأراد الله ﷻ أن يريحه ويؤمنه، أنزل على قلبه الطمأنينة والسكينة، فاستراح قلبه إلى الرجاء، واطمأن به، وسكن لهيب خوفه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

الثانية: طمأنينة الضجر إلى الحكم، فمن أصابه الضجر من قوة التكاليف، وأعباء الأمر وأثقاله، خاصة من يبلغ دين الله للأمة، ومن يجاهد أعداء الله ورسوله، فهؤلاء لابد أن يدركهم الضجر والضعف، ويضعف صبرهم، فإذا أراد الله أن يريح هؤلاء أنزل على قلوبهم السكينة، فاطمأنوا إلى حكمه الديني الشرعي، وحكمه القدري الكوني، ولا طمأنينة للقلب إلا بمشاهدة هذين الحكمين.

فالعبد إذا اطمأن إلى حكم الله الشرعي، علم أن دين الله هو الحق، وهو الصراط المستقيم، والله ناصره، وناصر أهله، فاستراحت نفسه، واطمأن قلبه بذلك: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وإذا اطمأن المؤمن إلى حكم الله الكوني، علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وإن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ماشاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا، وأن ما قدره الله خير، فلا وجه للجزع والقلق: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن: ١١].

وقال الله ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة:٥١].

الثالثة: طمأنينة العبد المبتلى إلى عظيم المثوبة من الله عز وجل:

فالمبتلى إذا قويت مشاهدته لعظيم الأجر والثواب، سكن قلبه، واطمأن بمشاهدة العوض: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

الدرجة الثانية: طمأنينة الروح في حال القسط إلى الكشف، وفي حال الشوق إلى العِدة، وفي حال التفرقة إلى الجمع.

فتطمئن الروح في حال قسطها إلى كشف الحقيقة، ولا تلتفت إلى ما وراءها.

فالمؤمن لا يرجو بإيمانه وتقواه إلا رضوان الله عز وجل، والفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾[البينة:٧-٨].

أما الشوق إلى العِدة، فالروح تظهر اشتياقها إلى ما وعدت به، وشوقت إليه من جنات النعيم، ورضوان رب العالمين ورؤية وجهه الكريم، فطمأنينة الروح سكونها إلى وعد اللقاء، وعلمها بحصول الموعود به من ربها: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧٢].

وأما الشوق إلى الجمع بعد التفرقة، فهو أن تسكن الروح وتطمئن إلى ما اعتادته من الجمع، بإخلاص العمل لله وحده، والمسارعة إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، وعدم الانشغال بما سِوى ذلك، فتطمئن النفس بذلك كما يطمئن الجائع إلى ما عنده من الطعام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد:٢٨].

الدرجة الثالثة: طمأنينة شهود الذات الإلهية إلى اللطف، فمن رأى ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى، ورأى صفات جلاله وكماله، فلولا طمأنينة القلب إلى لطف الله ورحمته، لمحقه هذا الشهود، وأفناه جملة، فقد خر موسى صعقا لما تجلى ربه للجبل، وتدكدك الجبل، وساخ في الأرض، من تجليه عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وشهود سبق الرحمة الإلهية للعبد قبل خلقه، وقبل عمله، يطمئن قلبه، ويجعله يسكن إلى مولاه، ويسارع إلى فعل ما يحبه ويرضاه، شكرًا لمولاه على ما خصه به من هذا التكريم العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

والعبد إذا أوصله الله للطمأنينة والسكينة، وأوصله إلى هذه الدرجات العالية، فليحمد ربه على نعمه الظاهرة والباطنة، ويسارع إلى ما يحبه الله ويرضاه، لينال رضوان ربه، ويفوز بجنته: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

فسارع يا عبد الله إلى ما يحب ربك ويرضاه، فهذا جزاء الشكر على الهداية والطمأنينة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

٣- الأسباب المعينة على الطمأنينة

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

فالعبد إذا عرف ربه حقاً آمن به، واطمأن بذكره، وسكن إلى أقداره الكونية، وأحكامه الشرعية، وصدق بوعده ووعيده: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله، واطمأننتم به، وعبدتموه وحده لا شريك له.

الثاني: قراءة كتاب الله عز وجل، وتدبر آياته، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

وقال ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام:١٥٥].

الثالث: الاطلاع على سيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من الطمأنينة والسكينة، وصدق الإيمان بالله، وحسن التوكل عليه، والثقة بوعده ووعيده: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

الرابع: معرفة ضعف الإنسان وعجزه عن تدبير أموره، وحاجته إلى ربه في كل حال، ليطمئن قلبه، وتسكن نفسه، ويزول عنه الخوف والقلق: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

الخامس: دعاء الله عز وجل أن يثبته على دينه، ويرزقه الطمأنينة بذكر الله، والتسليم لأمره: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة:١٨٦].

السادس: المحافظة على الفرائض، والمداومة على النوافل في أوقاتها، وبذلك يطمئن قلب العبد، ويحبه ربه، ويستجيب دعاءه، ويفوز بمعية الله ونصرته: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

وقال رسول الله ﷺ: إن الله قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري [1].

السابع: الإكثار من ذكر الله عز وجل، والمحافظة على أذكار الصباح والمساء، فمن أكثر من ذكر الله اطمأن إليه، وأحبه، وأطاعه، ولم يعصه، وفوض أموره إليه، وتوكل عليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

و قال الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨-٩].

الثامن: لزوم البيئة الصالحة، وحضور مجالس العلم والذكر والوعظ، واجتناب مجالس اللهو والغفلة، فمن لزم ذلك زاد حبه لربه، وتعظيمه له، واطمأن قلبه لأقداره وأحكامه، ووعده ووعيده: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

فلحصول الطمأنينة نجلس في مجالس الهداية والذكر والوعظ، وللثبات عليها ننقطع عن مجالس الغفلة واللهو والمعاصي.

التاسع: الإكثار من الاستغفار والتوبة من الذنوب والمعاصي، والتخلص من المظالم وحقوق العباد، فأعظم ما يقلق المؤمن ذنوبه، والحقوق التي عليه، فإذا تاب من ذنوبه، وادى ما عليه من الحقوق، وتخلص من المظالم، اطمأنت نفسه، وسكن قلبه، وصار أكثر طمأنينة وسكينة، وراحة وسعادة: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[النور:٣١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود:٩٠].

استغفروه من الذنوب، ثم توبوا إليه، وارجعوا إليه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

العاشر: الإيمان بالقضاء والقدر.

فإذا علم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ماشاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا، وأن ما اختاره الله له كله خير ورحمة، زاد إيمانه بربه، واطمأن قلبه بذكره: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة:٥١].

الحادي عشر: اليقين بأن الله عز وجل كتب آجال العباد وأرزاقهم، فلن يتأخر عن أحد رزقه، ولن يتأخر أحد عن أجله: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود:٦].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:١١].

الثاني عشر: الإقبال على أعمال الآخرة، وعدم الانشغال بالدنيا، فالأعمال الصالحة تثمر كل خير وفلاح، وطمأنينة وراحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

والانشغال بالدنيا هو سبب الشقاء والتعب، والهم والحزن، كما قال الله عن الكفار: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة:٥٥].

الثالث عشر : قراءة آيات السكينة والطمأنينة وتدبرها ،وخاصة عند الخوف والقلق، والانزعاج والاضطراب، والهلع والتوتر، لأن هذه الآيات تثمر طمأنينة القلب وسكونه إلى ربه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤﴾ [الفتح:٤].

وقال الله عز وجل :﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٩﴾ [الفتح:١٨-١٩].

وقال الله ﷻ: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٢٦﴾ [الفتح:٢٦].

وقال الله ﷻ: ﴿۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾ [الأنعام:١٣].

وغير ذلك من آيات الطمأنينة والسكينة التي جاءت في القرآن الكريم.

٤ - ثمرات الطمأنينة

الطمأنينة هي راحة القلب وسكونه، وفرحه وأُنسه بربه، ومن ثمرات الطمأنينة:

الأولى: طمأنينة القلب سعادة حاضرة، وسعادة آجلة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

الثانية: طمأنينة القلب تثمر أنواعًا من العبودية القلبية والقولية والعملية، من حب الله، والثناء عليه، والإكثار من ذكره وشكره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثالثة: طمأنينة القلب ثمرة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فمن عرف ربه حقا آمن به، وسكن إليه، واطمأن بذكره، وسلم لأمره، وأخبت إليه، وهذه أعظم أنواع العبودية: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

الرابعة: طمأنينة القلب تثمر قرب العبد من ربه، والقيام بين يديه مكبرًا له، شاكراً له، محبًا له، قانتاً له، خاشعًا له، سائلًا له، مستغفرًا له، راجيًا له، خائفًا منه: ﴿أَمَّنۡ

﴿هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر:٩].

الخامسة: إذا اطمأن القلب إلى ربه العظيم أكثر من ذكره، وشكره، وأحسن عبادته، وأنس بمناجاته، واستوحش من غيره، وسجد لعظمته، وتصاغر لكبريائه، فرضي الله عنه، وأكرمه بأحسن ثوابه: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[السجدة:١٥-١٧].

السادسة: مصدر طمأنينة الخلق في الدنيا والآخرة هو الإيمان بالله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما أخبر الله عز وجل بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾[الرعد:٢٨-٢٩].

فهذه النفوس المؤمنة عرفت أن مفتاح السعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة هو بالإيمان بالله وتقواه، فسكنت إلى ربها واطمأنت إليه وامتثلت أوامره، وآثرته على غيره، ففازت برضوان الله وجنته: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾[الفجر:٢٧-٣٠].

والعالم اليوم كله يعيش في اضطراب، وخوف، وقلق، وعذاب، ولن ينجيهم من ذلك كله إلا الإيمان بالله عز وجل، والعمل بشرعه، واتباع رسوله محمد ﷺ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[طه:١٢٣-١٢٦].

وقال الله ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء:٢٢].

مذمومًا لا حامد لك، ومخذولًا لا ناصر لك .

وقال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

اللهم يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ هب لنا نَفوسًا مطمئنةً تُؤْمِنُ بلِقائِكَ، وتَرْضَى بقضائِكَ، وتَقْنَعُ بعَطائِكَ، وتَشكُر نعماءك، وتَصبرُ على بلائك .

اللهم ارزقنا نفوسا مطمئنة تصدق أخبارك، وتمتثل أوامرك، وتجتنب نواهيك، وتصدق بوعدك ووعيدك، وترجو رحمتك، وتخشى عذابك .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

[آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

[الفرقان:٧٤].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الحادية والأربعون

عبادة الحكمة

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الحكمة.

الثاني:فقه حكمة الله عز وجل.

الثالث:أنواع الحكمة.

الرابع :درجات الحكمة.

الخامس: الأسباب المعينة على الحكمة.

السادس:ثمرات الحكمة.

العبادة الحادية والأربعون

عبادة الحكمة

١ - فقه الحكمة

الحكمة مأخوذة من الإحكام؛ لأنها تمنع صاحبها عن فعل ما لا ينبغي، من قولٍ أو فعلٍ أو خُلقٍ، وهي ضد السفه.

الحكمة: هي وضع الشيء في موضعه الحق.

الحكمة: هي فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، بالقدر الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي.

والحكمة أفضل ما أُعطي العبد في الدنيا، والرحمة أفضل ما أعطي العبد في الدنيا والآخرة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة:٢٦٩].

ومن عُرِفَ بالحكمة لحَظَتْهُ العيون بالوقار والهيبة، والاحترام والإكرام.

وكلمةٌ طيبةٌ من أخيك خيرٌ لك من مال يعطيك، لأن المال يطغيكْ، والكلمة الطيبة تهديكْ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

فشتان بين الحكمة والسفه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت:٣٤-٣٥].

الحكمة: هي العلم بالحق على وجهه وحكمته، والعلم بالأحكام الشرعية، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام.

الحكمة: هي كل ما أوصلك إلى الفضائل، ومنعك من الجهل، وزجرك عن المعاصي والقبائح، وهي أعظم ما أكرم الله به عباده: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[الجمعة: ٢].

وقال النبي ﷺ: "لا حَسَدَ إِلاَّ في اثنتينِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَه عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاه اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُها". متفق عليه (١).

وأركان الحكمة ثلاثة:

العلم .. والحلم .. والصبر.

فمن اجتمعت له هذه الثلاث صار حكيماً: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[النساء: ١١٣].

والحكمة: هبةٌ من الله يُكرم الله بها من يُحبه، ومن يعلم فيه حُسنَ استعمالها فيما يُحب، فالمال هبة الله لمن يشاء، والعلم هبة من الله، والحكمة هبة من الله، والقوة هبة من الله، والذكاء هبة من الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل: ٥٣].

الحكمة: هي العلم النافع الذي يوافق الحق، ويوجه المؤمن لفعل الخير، ويمنعه من عمل الشر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر: ١٧-١٨].

فالحكمة ضابطةٌ مانعة؛ تسير بالعبد نحو الفضائل والمحاسن، وتمنعه من الرذائل والقبائح.

الحكمة: هي العلم النافع المقرون بالعمل الصالح، وإصابة الحق في القول والعمل، والفقه في الدين، ومعرفة أسرار الأحكام، ووضع الشيء في موضعه الحق؛ فأهل الحكمة هم الذين عرفوا الحقَّ واتبعوه، وأهل السَّفه هم الذين

---

(١) متفق عليه، اخرجه البخاري برقم (٧٣) ومسلم برقم (٨١٦).

عرفوا الحق ثم أعرضوا عنه :﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾[الرعد:١٩].

أهل الحكمة هم الذين قدموا ما يحب الرب على ما تحب النفس، فأنفقوا أجود أموالهم وأطيبها في سبيل الله، وصرفوا أوقاتهم للقيام بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله :﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وأهل الجهل والسَّفه هم الذين قدموا ما تُحبُّ النفس من الشهوات على ما يُحبه الرب من الأقوال والأعمال الصالحة، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، ورأوا أنَّ الإنفاق في سبيل الله نوع من الإسراف والتبذير، وأن البخل بالمال هو الحكمة، وأن صرف الأموال والأوقات في قضاء شهوات النفس هو الأَوْلى : ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾[النساء:٣٧].

وقال الله عز جل :﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩].

والحكيم والحَكَمُ من أسماء الله الحسنى؛ والحكمة من صفاته العلا .

فالله هو الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها بحكمته؛ الحكيم الذي أتقن صُنعَ كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبيره وتصريفه :﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

هو الحكيم الحكم الذي أَحْكَمَ المخلوقات والأمور، ومنعها من الخروج عن حكمته: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣﴾ [الأنعام: ٨٣].

هو الحكيم الذي أظهر كمال حكمته في مخلوقاته وأفعاله، وآياته وأحكامه، وأثنى على نفسه بكمال حكمته في خلقه وأمره: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة: ١].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران: ٦].

والحكمة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى التي يجب على المؤمنين أن يتعبدوا الله بها، ويتخلقوا بها على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالله مؤمنٌ يحب الإيمان، وأهل الإيمان، شكورٌ، يحب الشكر وأهل الشكر، توابٌ يحب التوبة، وأهل التوبة، رحيمٌ يحب الرحمة، وأهل الرحمة، حكيمٌ يحب الحكمة، وأهل الحكمة: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة من لوازم وآثار الإيمان بأسماء الله: الحكيم، والحكَم.

فمن عرف أن ربه حكيم، وأن أفعاله وأحكامه كلها حكمة؛ سارع إلى التَّعبد لله بالحكمة في أقواله وأفعاله، ودعوته ومواعظه، وتعليمه وتعلّمه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

وقَدَّمَ ما يحبه الله على ما تحبه نفسه، وقدَّمَ أعمال الآخرة على أعمال الدنيا، وقدَّمَ الأحسن على الحسن، وقدَّمَ الفرض على النفل، وقدَّمَ علم القرآن والسنّة على ما سواهما من العلوم، وقدَّمَ الفقه في الدين والعمل به على شهوات النفس ومحبوباتها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾[آل عمران: ١٤-١٥].

فكن يا عبد الحكيم حكيمًا في أقوالك، حكيمًا في أفعالك، حكيمًا في دعوتك إلى الله، حكيمًا في معاملاتك مع الناس، حكيمًا في تعليم الناس، تحب لإخوانك ما تحبه لنفسك، وتُقدّم مصلحة الدين على مصلحة الدنيا، وتؤثر الآخرة على الدنيا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة: ٧١].

الحكمة: وضع الشيء في موضعه الحق، والنظر في الأمور بفكرٍ ثاقب، وعقلٍ راجح، يُميِّز بين المصالح والمفاسد، وما يحبه الله وما تحبه النفس.

والحكمة نورٌ يقذفه الله في قلب العبد يُميّز به بين الحق والباطل، والضار والنافع، والهدى والضلال، ويُبصر به مراتب الأعمال حسنها وأحسنها.

وكلما كان العبد أكثر علماً وصلاحًا وتزكيةً لنفسه بالأعمال الصالحة كان حظه من نور الحكمة أقوى، وتفرسه في الأمور أدق، واختياره أحسن: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[الجمعة: ٤].

والله كريم يتفضل على عباده الصالحين بأنوار الحكمة التي هي حُسن الإصابة في القول والعمل، والفقه في الدين، والتدبر لكتاب الله عز وجل، ومعرفة أسرار

الأحكام، والعمل بطاعة الله، واجتناب معاصيه، والخوف من الله، والطمع في ثوابه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وقد أعطى الله الأنبياء والرسل أعظم حظٍ من الحكمة، ونوّر بها قلوبهم، وجمّل بها أخلاقهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

وقال الله عز وجل عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء:١١٣].

ولأتباع الأنبياء من المؤمنين حظٌ من الحكمة بحسب إيمانهم، وتقواهم، وصلاحهم، وزكاة نفوسهم: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

وقال النبي ﷺ: "مَن يُرِدِ اللهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين". متفق عليه [١].

وقال النبي ﷺ: "خَيْرُكُمْ مَن تَعلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ". أخرجه البخاري [٢].

والحكمة نعمةٌ ربانية؛ وتكمُل وتزيد بالعلم والعمل والمجاهدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقد نوَّر الله عز وجل بالحكمة قلوبَ كثيرٍ من عباده المؤمنين، ففاضت ينابيع تلك الحكمة على ألسنتهم حِكمًا عظيمة، ووصايا نافعة، ومن هؤلاء لقمان الحكيم الذي أوصى ابنه بأعظم الوصايا، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ

---

(١) متفق عليه، اخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان:١٢-١٣].

وقال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[لقمان:١٦-١٩].

وكلما امتلأ قلب المؤمن بنور القرآن أثمرَ حُسْنَ التقوى لله عز وجل، فأكرمه الله بزيادة نور الإيمان، وجعل له واعظًا يوجهه إلى الخير، ويُلهمه الرُّشد والصواب: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾[النور:٣٥].

وقال النبي ﷺ: " لقَدْ كانَ فِيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فإنْ يَكُ في أُمَّتي مِنْهُم أحَدٌ، فإنَّه عُمَرُ". متفق عليه (١).

والمُحدَّث: هو المُلهم المُخاطب في سرِّه بما يوافق الحق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[الحديد:٢٨].

وقال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَتَّقُوا ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[الأنفال:٢٩].

ومن الحكمة قوة الفِراسة في الرجال والنساء والأحوال.

قوال عمرو بن أبي قيس:" اتَّقوا فِراسةَ المؤمنِ، فإنَّهُ ينظرُ بنورِ اللهَّ". أخرجه الترمذي(٢).

---

(١) متفق عليه، اخرجه البخاري برقم (٣٤٦٩) ومسلم برقم (٢٣٩٨).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣١٢٧).

٢- فقه حِكمةِ الله عز وجل

الله عز وجل هو الحكيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

هو الحكيم في خلقه،الحكيم في أمره، الحكيم في تدبيره وتصريفه، الحكيم الذي أحكم الأمور، وأحكم صنع المخلوقات: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد:١].

هو الحكيم في أقواله وأفعاله، الحكيم الحاكم الذي قهر جميع المخلوقات على مُراده، فدان المُلكُ والملكوت كله لحِكمِه العدلْ، وأمرِه الفصلْ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر:٤-٥].

وهو سبحانه أحكم الحاكمين؛ الحكيم الذي كل أقواله وأفعاله، وأقداره وأحكامه، في منتهى الحُسنِ والجمالِ والحِكمة: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠].

وهو سبحانه الحكيم الحَكَم الذي حكم المُلْكَ والملكوت، الحاكم الذي نفذَ حُكمه في جميع مخلوقاته، لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:٢٦-٢٧].

وهو سبحانه الحكيم الحكم الذي لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران:١٨].

وأجرى سبحانه حُكمه وحكمته في مُلكِه وملكوته، وجميع مخلوقاته: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ومن حكمة أحكم الحاكمين أنه خلق جميع المخلوقات، وأحكم صنعها، وحكم حركاتها وسكناتها، ومنافعها ومضارّها، وبقاءها وفناءها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

وهو الحكيم الذي أجرى في ملكه حُكمِه الكوني، وحُكمِه الشرعي، وحُكمِه الجزائي: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

ومن آثار حكمة الحكيم جل جلاله في ملكه وملكوته ما أظهره في جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فما أَظْهرَ حكمة الله في آياته ومخلوقاته، وأفعاله وتدبيره: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ

خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ
أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ
ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾
[الروم:١٩-٢٦].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ
فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ
ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾
[لقمان:١٠-١١].

والحكيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له، وأن يُطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يكفر: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

٣- أنواع الحكمة

الحكمة نوعان:

الأولى: حكمةٌ علميةٌ نظريةٌ:

وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة أسرارها، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقًا وأمرًا، وقدرًا وشرعًا، وهي أعظم ما أعطى الله أنبياءه ورسله وأولياءه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾ [البقرة:٢٦٩].

الثانية: حكمةٌ عمليةٌ:

وهي وضع الشيء في موضعه الحق؛ مثل وضع الكلام المناسب، للشخص المناسب، في الوقت المناسب، بالقدر المناسب: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [النحل:١٢٥].

والحكمة تُطلق على عدة معان:

الأول: الحكمة بمعنى سُنَّة النبي ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)﴾ [الجمعة:٢].

الثاني: الحكمة بمعنى النبوة، كما قال سبحانه عن سليمان ﷺ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠)﴾ [ص:٢٠].

الثالث: الحكمة بمعنى الفقه في الشرع، كما قال سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾ [البقرة:٢٦٩].

الرابع: الحكمة بمعنى الفهم للشريعة، وكمال العقل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢)﴾ [لقمان:١٢].

الخامس: الحكمة بمعنى العِظَة، كما قال سبحانه: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾[القمر:٥].

وحقيقة الحكمة هي العلم الإلهي، المثمر لأنواع العمل الصالح، كما أمر الله ورسوله به، ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، والإصابة في القول والعمل، ووضع الشيء في موضعه الحق، وتقديم الأحسن على الحسن.

والحكمة من حيث اكتسابها تنقسم إلى قسمين:

الأول: حكمةٌ فطريةٌ ربانية:

يؤتيها الله من شاء من عباده، وهذه لا يدَ للعباد فيها، لأنها بيد الله وحده: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٦٩﴾[البقرة:٢٦٩].

الثاني: حكمةٌ مكتسبةٌ، يكتسبها المؤمن بفعل أسبابها، وترك موانعها، فيسهُل انقيادها له، وتجري على ألفاظه التي ينطق بها، وأفعاله التي يفعلها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾[العنكبوت:٦٩].

ومن طُرق اكتساب الحكمة:

التفقه في الدين، ومجالسة أهل الصلاح والحكمة، والإكثار من ذكر الله، وتدبر كتابه، وأداء العبادات كما ورد شرعًا، وتحري أكل الحلال، ومشورة إخوانه المؤمنين في أموره، وطلب الحكمة من ربه الحكيم جل جلاله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾[الكهف:٢٨].

فاسأل ربك الحكيم أن يرزقك الحكمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة:١٨٦].

٤ - درجات الحكمة

الحكمة على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقه، ولا تُعَدِّيه حدَّه، ولا تعجِّله عن وقته، ولا تؤخِّره عن وقته: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

فالحكمة فعلُ ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، بالقدر الذي ينبغي.

الثانية : أن تشهد نظر الله في وعده ووعيده، وتعرف عدله في حكمه وأمره، وتلحَظ بُرَّه في منعه وعطائه .

فتعرف الحكمة في الوعد والوعيد، فتشهد إحسان الله وعدله في وعده ووعيده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

وقال عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام:١٦٠].

وتعرف عدل الله في أحكامه الشرعية، وأحكامه الكونية الجارية على الخلائق، فإنها أحسن الأحكام والأقدار، لا ظُلم فيها، ولا حَيْفَ، ولا جَوْر؛ فكلها حكمة ورحمة، وعدلٌ وإحسان .

وكذلك تعرف برَّ الله في منعه وعطائه؛ فهو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه الحق، لكمال علمه بما يُصلِحُ أحوال عباده، فالله حكيمٌ عليم ما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليُعطي، وما قبض إلا ليَبسط: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء:٣٠].

الثالثة: أن تبلغ في استدلالك أعلى درجات العلم، وهي البصيرة التي يرى بها القلب حقائق العلم، كما يرى البصر حقائق الأشياء المحسوسة .

فترى الخلائق وتتجاوزهم إلى الخالق، وترى الصور وتتجاوزها إلى المصوّر، وترى الأرزاق وتتجاوزها إلى الرزاق، فتفعل ما يحبه الله ويرضاه، وتجتنب ما يكرهه ويسخطه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

وترى الدنيا وتتجاوزها إلى الآخرة، وترى الأموال والأشياء وتتجاوزها إلى الإيمان والأعمال الصالحة،وترى السنة الكونية وتتجاوزها إلى القدرة الإلهية: ﴿إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[البقرة:١٦٤].

وتتجاوز الحسن إلى الأحسن: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس:٢٦].

٥ - الأسباب المعينة على تحصيل الحكمة

الأول : النظر والتفكر في عظمة مخلوقات الله، فمن تفكَّر في ذلك رأى عظمة هذه المخلوقات، وإحكام خلقها من ربها الحكيم، وإتقان صنعها؛ فزاد إيمانه بربه، وملأ الله قلبه نورًا يميز به بين الحق والباطل، وبين الخالق والمخلوق، وبين ما يجب تقديمه، وما يجب تأخيره : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقال الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨)﴾ [ق: ٦-٨].

الثاني: تدبر آيات الله القرآنية، ومعرفة أسرار الأحكام الكونية، وأسرار الأحكام الشرعية، وأسرار الأحكام الجزائية، فمن تدبر ذلك عرف حكمة رَبِّ العالمين في خلقه وأمره، وقضائه وقدره، ودينه وشرعه، ووعده ووعيده : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)﴾ [ص: ٢٩].

الثالث: معرفة سيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من الرحمة واللطف واللين، والحكمة، وحسن السيرة والسريرة : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ [الأحزاب: ٢١].

الرابع: المحافظة على الفرائض، والمداومة على أداء النوافل في أوقاتها، فذلك يملأ قلب المؤمن بنور الحكمة، ويثمر محبة العبد للرب، وحب مناجاته :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾[الحديد:٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: " إنَّ اللهَ قالَ: مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ". أخرجه البخاري (١).

الخامس: دعاء الله عز وجل أن يرزقه الحكمة، وحُسنُ الإصابة في القول والعمل، فالله كريمٌ لا يردُّ سائلًا، ولا يخيّبُ مؤملًا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ [غافر:٦٠].

السادس: الإكثار من ذكر الله عز وجل، وتلاوة وتدبر كتابه، فمن أكثر من ذكر الله امتلأ قلبه بنور الإيمان، وأحبَّ ربه، وأطاعه ولم يعصه: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ ﴾[المزمل:٨-٩].

السابع: الإكثار من الاستغفار والتوبة من الذنوب والمعاصي، والمبادرة إلى التخلُّص من المظالم، وحقوق العباد، فمن فعل ذلك صار أهلاً للطمأنينة والسكينة، وإكرام الله له بالحكمة والرحمة والمغفرة: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾[النور:٣١].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

وقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[آل عمران:٧٣-٧٤].

الثامن: لزوم البيئة الإيمانية، والمداومة على حضور مجالس الذكر والوعظ، ومجالسة أهل العلم والحكمة، والانقطاع عن جو الغفلة، فمن لزم ذلك؛ أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فنطق بالحق، وعَمِلَ به، ودعا إليه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].

٦ - ثمرات الحكمة

من أعظم ثمرات الحكمة:

الأولى: الحكمة من أعظم نعم الله على عباده، لما فيها من مجامع المنافع والخيرات والبركات، كما قال سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

الثانية: الحكمة من أعظم صفات الرب؛ ومن اتَّصف بالحكمة فقد تعبد لله بهذه الصفة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

الثالثة: الحكمة من أعظم صفات الأنبياء والرسل، ومن تحلى بالحكمة فقد تشبَّه بهم، وسارع إلى هديهم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:١٦٤].

الرابعة: الحكمة صفة عظيمة، وخلّة كريمة، تزيد الشريف شرفًا، وترفع العبد المملوك ليكون ملكًا: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة:٤].

الخامسة: الحكمة نعمة من الله يُكرمُ بها من شاء من عباده ممن يعلم أنه يزكو بها، ويعمل بها، ويعلِّمها، ويشكر ربه عليها: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

السادسة: أن الحكمة زينة المؤمن، تقوى بالمجاهدة والصبر، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها، وعند من رآها طلبها: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

السابعة: أن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب من أصفيائه وأوليائه :﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾[الزمر:١٧-١٨].

الثامنة: أن الحكمة تثمر أنواع العبودية التي يحبها الله؛ من الإيمان والتقوى، وأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق :﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾[فاطر:٢٨].

التاسعة : أن الحكمة تُساسُ بها الأمور، وتحُلّ بها المعضلات، وتُفصل بها الخصومات، وتُنال بها أعلى الدرجات، كما قال سبحانه عن داودﷺ : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠)﴾[ص:٢٠].

العاشرة: أن كمال العبد متوقف على الحكمة؛ فكمال الإنسان بتكميل قوتيه العلمية والعملية .

فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق، وتكميل قوته العملية بفعل الخير، وترك الشر، والإصابة في القول والعمل، ووضع الشيء في موضعه الحق، وهذه هي الحكمة التي أكرم الله بها من شاء من أوليائه:﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾[البقرة:٢٦٩].

الحادية عشرة: أن الحكمة هي أحسن ما يتعلمه المؤمن، كما دعا النبيﷺ لابن عباس رضي الله عنه بقوله: " اللهم علمه الحكمة ". أخرجه البخاري (١).

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٧٥٦) .

الثانية عشرة: أن الحكمة تملأُ قلب المؤمن بمعرفة أسرار الأحكام، وهي مثمرةٌ للقُرب من الله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتعلق بالله دون سواه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

الثالثة عشرة: الحكمة سمة من سمات الأنبياء والصالحين، وعلامة من علامات العلماء الربانيين، ومزية للدعاة الصادقين: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾[الجمعة:٤].

الرابعة عشرة: أن الحكمة تدعو صاحبها للعمل على وفق الشرع، فيصيب في القول والعمل، ويسير على هدى وبصيرة؛ لأن الحكمة تأمر بفعل ما يُحمَد، وتنهى عن كل ما يُذَمّ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال:٢-٤].

فاجتهد يا عبد الحكيم في طلب الحكمة، فتعرُّفُها حقٌ واجبٌ على أولي الألباب، وادع إلى ربك الكريم أن يرزقك الحكمة، فإنه جواد كريم: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾[البقرة:٢٦٩].

واصرف جميع أوقاتك وأموالك وأنفاسك في مرضات من أنعم عليك بالحكمة والتوفيق لهداه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وأحكِمْ جميع أمورك فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين خلق الله، وسارع إلى الخيرات وسابق إلى الفضائل والطاعات تسبق إلى أعالي الجنات: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ

﴿مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[الحديد:٢١].

يا عبد الحكيم إذا حكمت بين الناس فاحكم بالحق والعدل، وإياك والجور والظلم: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾[ص:٢٦].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، واصرف عنا شر ما قضيت، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم يا أرحم الراحمين،ويا أحكم الحاكمين، هب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران:٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف:٢٣].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثانية والأربعون

عبادة اللطف

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه اللطف بالخلق .

الثاني : فقه لطف الله ﷻ بالخلق .

الثالث : الأسباب المعينة على اللطف .

الرابع : التعبد لله ﷻ بصفة اللطف.

العبادة الثانية والأربعون

عبادة اللطف

١ - فقه اللطف بالخلق

اللطف هو اللين والرفق في المعاملات، والتُّؤَدَة وعدم العجلة، والسماحة والبِشْر، وحسن الخطاب، ولُطف القَول والعمل والخلق.

واللطف عبادة بين العبد وغيره من الخلق، والله لطيف يحب من عباده أن يتصفوا بصفاته على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وعبادات القلوب تنقسم إلى قسمين:

الأول: عبادات بين العبد وربه كالأذكار والأدعية، والصلاة والصوم وأمثالها.

الثاني: عبادات بين العبد وغيره من الخلق كالرحمة والعفو، والحِلم واللطف، والبر والإحسان وأمثالها.

وهذه وتلك كلاهما من العبادات القلبية المأمور بها شرعا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فلابد من الإحسان في عبادة الله، والإحسان في معاملة الخلق، فالدين ركنان، عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، كما قال الله عز وجل: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال رجلٌ: يا رسولَ الله إنَّ فلانةَ فذكَرَ من كثرةِ صلاتِها وصدقتِها وصيامِها غيرَ أنَّها تُؤْذِي جيرانَها بلسانها قال: " هيَ في النارِ "، قال: يا رسولَ الله فإنَّ فلانةَ فذكَرَ من قلَّةِ صيامِها وصلاتِها وأنَّها تصَّدَّقُ بالأثوارِ من

الأقِطِ ولا تُؤْذِي بلسانها جيرانها، قال: «هي في الجنةِ»أخرجه أحمد والبزار(١).

وسر السعادة والراحة والطمأنينة يَكْمُن في اللطف بالناس، ولين الجانب لهم، والرفق بهم، والرحمة لهم: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور: ٢٢].

واللُّطف بالخلق، والرحمة لهم، واللين لهم، والرفق بهم، من أعظم صفات الأنبياء والرسل،وبذلك ألان الله لهم قلوب الخلق فأحبوهم، وآمنوا بما جاؤوا به، واستجابوا لأمرهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران: ١٥٩].

وقال الله ﷻ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف: ١٩٩].

واللطف، واللين، والرفق بالناس، عبادات بين العبد والخَلق،وليس أنفع للقلب من معاملة الناس باللطف واللين، والرِّفق والعفو، والحِلم والصبر، والبر والإحسان: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فالناس إما أجنبي فتكسب محبته ومودته،وإما صديق وحبيب فتستديم مودته ومحبته،وإما عدو ومُبغض فتطفئ بلطفك جمرة غضبه، وتستكفي أذاه وشره: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[فصلت: ٣٤-٣٦].

إن من اللُّطف بالناس، وكسب مودتهم، أن تصل من قطعك، وتُعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتُحسن إلى من أساء إليك، ابتغاء مرضاة الله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (٩٦٧٥) والبزار برقم (٩٧١٣).

﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩].
وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ المؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه (١).
إن من اللُّطف بالناس أن تُسلم على من عرفت ومن لم تعرف، وترد التحية بأحسن منها: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾[النساء:٨٦].
ومِن اللطف بالناس أن تُقابل القاسي باللين، والشديد بالرحمة، والسفيه بالحلم، والجاهل بالصبر، والمسيء بالإحسان، والفقير بالعطاء، والغني بالثناء، والصديق بأحسن الأخلاق، والعدو بالعفو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن:١٤].
ومِن اللطف بالناس أن تُقابل باللين واللطف، والمحبة والرحمة، كل من يُكِنُّ لك المحبة والتقدير، ويقضي حوائجك، ويدفع عنك الأذى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾[الرحمن:٦٠].
إن من أحسن الأخلاق أن تبتسم في وجه أخيك إذا لَقيته، ولا تُعبِّس في وجهه، ولا تتكبر عليه، أو تُعرض عنه.
ومن مكارم الأخلاق أن تحُب لأخيك ما تحُب لنفسك، وتفرحَ بخبر سار حَصل له، أو خبر ضار اندفع عنه.
قال النبي ﷺ: «مَثَلُ المؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه (٢).
ومِن مكارم الأخلاق أن من تَفنن في القُرب منك، والإحسان إليك، أَن تَقترب منه وتَشكره، ولا تبتعد عنه أو تَصُدَّ عنه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

ومِن مكارم الأخلاق أن من ذكرك بين الناس بخير، أن تذكره بينهم بخير، وتُثني عليه، ولا تُشوه صورته بذِكر عيوبه بينهم، وستر حسناته عنهم.

ومِن اللطف بالناس أن تقضي حاجة العاجز، وتُعين الضعيف، وترحم المسكين،وتحُسن إلى المُسيء وتعلم الجاهل، وتهدي الضال، وتحَلُم على السفيه، وتصبر على من آذاك، وتمُدَّ يدك بالمعروف، وتبسط لسانك بالنصيحة، وتُؤْثِر غيرك على نفسك، وتصل رحمك، وتحُسن إلى الناس حسب استطاعتك: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾[النساء:٣٦].

واعلم يا عبد اللطيف أن اللُّطْفَ وفِعل الخير يثمر لك كل سعادة وخير في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾[المزمل:٢٠].

فكن لطيفا في معاملاتك، لطيفا في دعوتك، لطيفا في تعليمك، لطيفا في إحسانك، لطيفا في بيعك وشرائك، لطيفا مع أهلك، لطيفا مع أرحامك، لطيفا مع جيرانك، لطيفا مع إخوانك، لطيفا مع المؤمنين، لطيفا مع الكافرين، لطيفا مع المعرضين، لطيفا مع المعاندين: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩].

فالله لطيف بعباده، وقد أمرك باللطف مع الخلق، فتعبد لله باللطف حيثما كنت تُسعد قلبك، وتُرضي ربك، وتفوز بجنته، وتنال أعظم ثوابه، وتكسب مودة الناس، وتظفر منهم بقَبول نصحك، وطاعة أمرك: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فأحسن اللطف بالخلق، والرفق بهم: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ

أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

وَاللُّطْف من أعظم العبادات القلبية التي تكون بين العبد والخلق .

واللطف خُلُق كريم أكرم الله به جميع الأنبياء والمرسلين، وزين الله به أولياءه المؤمنين، وعباده الصادقين :﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

واللطف من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله اللطيف، الرءوف، الرحمن الرحيم، المحسن، الكريم، العفو، الحليم.

فالمؤمن إذا عرف ربه بصفات الرحمة والرأفة واللطف رَحِم الناس، وأحسن إليهم، ولَطُف بهم: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ -١٠٣] .

وإذا عرف العبد ربه المُحسن الكريم سارع إلى التعبد لله بصفة الإحسان إلى الناس، وأكرمهم بما يقدر عليه، وأكرمهم بما يستطيع من هدية أو كلمة طيبة.

وإذا عرف ربه بالعفو والصفح والحِلم عفا عن الناس، وصفح عن زلاتهم، وحَلُم على السفيه منهم، ابتغاء وجه الله، ففاز بمغفرة الله له، ودخوله جنته : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فكن يا عبد اللطيف لطيفا بنفسك، أعطها حظها مما أباح الله لها، واحملها بلُطف على امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا

﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس:٧-١٠].

وَكُنْ لطيفا بأهلك، حَبِّبْهُم إلى ربهم، وعَرِّفْهُم بنِعمه وإحسانه ليُحبوه، وعرفهم بعظمته ليُعظموه، وخُذ بأيديهم بلطف إلى محاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم:٦].

وقال النبي ﷺ: «خيرُكُمْ خيرُكُمْ لأهلِهِ وأنا خيرُكُمْ لأهلِي». أخرجه الترمذي وابن ماجة[١]

وكن لطيفا بجيرانك، أكرمهم بما تستطيع، وابتسم في وجوههم، وانصحهم بلُطف ولين، ورحمة وشفقة.

قال النبي ﷺ: «ما زالَ جِبريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظننتُ أنَّهُ يورِّثُهُ» متفق عليه [٢].

وقال النبي ﷺ: «مَن كان يؤمِنُ بالله و اليومِ الآخرِ، فليُكْرِمْ جارَه» متفق عليه [٣].

وكن لطيفا بكل الخلق، ابتغاء مرضات الله، عَرِّفْهُم بربهم ليُحبوه، ويُؤمنوا به ويعبدوه وحده لا شريك له، وانصحْ لهم بلطفٍ ورِفقٍ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[النحل:١٢٥].

وَالْطُفْ بما تملك من البهائم والحيوانات، وتفقد طعامها وشرابها وسكنها، فإن الله سائلٌ كُلَّ راع عما استرعاه.

قال النبي ﷺ: «في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ» متفق عليه [٤].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَّ كتَبَ الإحْسَانَ على كُلِّ شيءٍ، فَإذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبحَ، وَلْيُحِدَّ أحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» أخرجه مسلم [٥].

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥) وابن ماجة برقم (١٩٧٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٤) ومسلم برقم (٢٦٢٤).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٩) ومسلم برقم (٤٨).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٣) ومسلم برقم (٢٢٤٤).

(٥)أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥) .

٢ - فقه لطف الله ﷻ

اللطيف اسم من أسماء الله الحسنى، واللطف صفة من صفاته جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

الله ﷻ لطيف بعباده، لطيف بجميع خلقه،خلقهم في أحسنِ تقويم، وأكرمهم بالسمع والبصر والعقل، وأعطاهم القُدْرَة على التفكير، ومَنَحَهُم القُدرة على التَّصَوُّر والتخيُّل، وأكرمهم بالعقول التي تستقبل الوحي، وتُمَيِّز بين البدائل، وفطرهم على معرفة ما ينفعهم وما يضرهم : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:٧٨].

الله لطيف بعباده، سخر لهم ما في السماوات والأرض، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، وأمدهم بأنواع الأرزاق، وأوصل لكل مخلوق رزقه، سواءً كان في البر أو البحر أو الجو : ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦].

الله لطيف بعباده، سخر لهم ما في السماوات والأرض تسخيرين:

تسخير تعريف، ليؤمنوا بالله ويُوحدوه، وتسخير تكريم، ليشكروه على عظيم نعمه وإحسانه : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠].

وموجِب تسخير التعريف أن يُؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له،وموجب تسخير التكريم أن يشكروه على نِعمه التي لا تُعَد ولا تُحصى،وهذا مقصود

الرب من خلقه : ﴿مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[النساء:١٤٧].

الله لطيف بعباده، خلق الخَلْق في الدنيا ليَعرفوه، ويؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له، ويشكروه على نِعمه التي لا تُعَد ولا تُحصى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ليعرفوا صراطه المستقيم المُوَصل إليه، وإلى رضوانه وجنته، وحذرهم من كل ما سواه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

الله خلق الخلق ليعبدوه وحده، وتكفل بأرزاقهم وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

الله لطيفٌ بعباده، عرَّفَ خلقه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، ليعبدوه وحده لا شريك له، ويكبروه ويعظموه، ويحبوه ويُمجدوه، ويحمدوه ويشكروه ويسألوه ويستغفروه، ويخافوه ويرجوه وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

الله لطيفٌ بعباده، بيَّن لهم الطريق المُوَصِّل إليه، وهو دينه الحق الذي أكرم الله به عِباده، ليَسعدوا في الدنيا والآخرة : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟

﴿ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾
[الأنعام:١٥٣].

الله لطيفٌ بعباده، بَيَّن لهم ما لهم بعد القدوم عليه في الآخرة،فأعد الجنة لمن آمن به وأطاعه، وأعد النار لمن كفر به وعصاه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة:٧٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٦٨﴾[التوبة:٦٨].

الله ﷻ هو الرب اللطيف الذي أكرم بني آدم بأنواع التكريم وفضلهم على سائر المخلوقات بأحسن الفضائل: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾
[الإسراء:٧٠].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا ملكه وسلطانه، وهذه قوته وجبروته، وهذه نعمه وإحسانه، وهذا لطفه وبره، وهذه رحمته ورأفته، هو الرب الذي يستحق أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويعبد وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

ولطف الله وبِره وإحسانه إلى خلقه عمَّ به جميع خلقه، من آمن به ومن كفر به، ومن أطاعه ومن عصاه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ١٩﴾[الشورى:١٩].

فلا إله إلا الله ما أعظم لطفه وبره بخلقه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨﴾
[الذاريات:٥٦-٥٨].

والرب العظيم الذي هذا كرمه وإحسانه، وهذا لطفه وبره، هو الرب العظيم الذي يجب أن يعبده الناس وحده لا شريك له :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة:٢١-٢٢].

ونَفْعُ العبادة عائدٌ على العباد،والله غنيٌ عن العباد وعباداتهم، لأنه هو الغني عن كل ما سواه من جميع الخلق، وجميع الخلق فُقراء إليه في خلقهم وأرزاقهم، وهدايتهم وبقائهم : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[فاطر:١٥].

وقال سبحانه :﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت:٦].

الله لطيف خبير، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾[آل عمران:٥-٦].

الله لطيفٌ بعباده، أكرمهم بالنعم التي لا تعد ولا تحصى،وهو اللطيف الكريم، الذي يضاعف حسناتهم، ويغفر ذنوبهم، ويكفر عنهم سيئاتهم، ويقبل من محْسِنهم، ويعفو عن مُسيئهم، ويحْلُم على سفيههم، ويصبر على أذاهم :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء:٤٠].

الله لطيفٌ بعباده، لا يُعجزه شيءٌ، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يقف له شيء. ولا يغيب عنه شيء :﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾[الزمر:٤].

هو اللطيف القادر على كل شيء، يُخرج الخير من داخل الشر، ويُخرج اليُسر من جوف العسر، ويُخرج النصر من باطن الهزيمة، ويخرج الأمن من داخل الخوف، ويخرج العزة من باطن الذلة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١].

والله سبحانه هو اللطيف الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا والخبايا، فلا يخفى عليه شيء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس: ٦١].

هو سبحانه اللطيف بخلقه، الذي يُقيِّض لهم أسباب الصلاح والبِر والخير، ويَلطف بهم في أمورهم من حيث لا يشعرون، ويَعصمهم من الشرور من حيث لا يعلمون، ويَقْسم أرزاقهم بينهم بحسب علمه بمصالحهم: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ۝١٩﴾ [الشورى: ١٩].

ومِن لُطفه بعباده المؤمنين أن أعطاهم فوق الكِفاية: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

وكَلَّفهُم بأوامره دون الطاقة، كما قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٣- الأسباب المعينة على اللطف

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف الله بالرحمة رحم خلقه، ومن عرف الله بالإحسان أحسن إلى خلقه، ومن عرف الله باللُّطف لَطُفَ بعباده، ومن عرف الله بالعفو عفا عن عباده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: العلم بفضائل اللطف والرفق بالناس، فمن عرف ثواب ذلك سارع إلى إدخال السرور على الناس، ورحمهم، ولَطُفَ بهم، وحَلُمَ على جاهلهم، وعفا عن مُسيئهم، وأحسن إليهم بأنواع الإحسان: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثالث: الاطلاع على سيرة الأنبياء والمُرسلين لمعرفة صفاتهم وأخلاقهم، ورحمتهم للناس، ولُطفهم بهم، واللِّين لهم، والصبر على جفوتهم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم:٤١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم:٥٦].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم:٥٤].

الرابع: دعاء الله ﷻ أن يرزقه مكارم الأخلاق، ورحمة الناس، واللطف بهم، والشفقة عليهم، واللين لهم، فالله لا يرد سائلاً، ولا يخيب مؤملاً: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

الخامس : الإكثار من تلاوة القرآن، وتدبر آياته، وما فيه من رحمة الخلق، والإحسان إليهم، والصبر على أذاهم، والحِلم على سُفهائهم، والرفق بهم، والشفقة عليهم، واللين واللطف بهم، كما قال سبحانه : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف:١٩٩].

السادس: لزوم البيئة الإيمانية الصالحة التي تُذكِر العبد بربه، ومعرفة الواجب عليه من الحقوق للآخرين، من الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الناس بالقول والفعل، واجتناب مجالس اللهو والغفلة: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].

السابع : حضور مجالس الذكر والوعظ، ومجالسة العلماء الربانين، أهل الأخلاق الكريمة، والصفات النبيلة، فالصاحب ساحب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة:١١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾[التوبة:٧١].

٤ - التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ بصفة اللطف

الهدف الأول من طلب العلم الإلهي هو معرفة الرب الذي يستحق العبادة بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

والهدف الثاني هو التعبد لله بهذه الأسماء بعد معرفتها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

فنعلم أن الله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان؛ وأن الله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، ونتصف بصفة الإحسان.

ونعلم أن الله كريم يحب الكرم، وأهل الكرم، ونتصف بصفة الكرم.

ونعلم أن الله لطيف يحب اللطف بالخلق، وأهل اللطف، ونتصف بصفة اللطف، لأنها من صفات الرب وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

ومن وَفقه الله لمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، والتعبد لله بموجبها، امتلأ قلبه بالإيمان، وعبد ربه بصفة الإحسان، ونال رضا ربه، وفاز بجنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وإذا عَرف العبد أن ربه له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة التي يحُبُه عباده من أجلها، سارع إلى التعبد لله بها، ليحبه ربه ويُرضى عنه عباده.

وإذا علم المؤمن أن ربه لطيفٌ خبير بكل صغيرة وكبيرة، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وراقب ربه في حركاته وسكناته :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

وكل شيء مكشوف للطيف الخبير :﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[سبأ:٣].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك:١٣-١٤].

فاعرف يا عبد اللطيف ربك اللطيف، وتعبد لله بأسمائه وصفاته على شاكلة العبودية، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، لتفوز برضاه، وتسعد بعطاياه.

وكن واثقًا بربك الكريم، ومولاك الرحيم، الذي جميع النعم منه :﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[الحجر:٩٨-٩٩].

وكن يا عبد اللطيف بالليل مع اللطيف، واسأله أن يلطف بك في جميع أحوالك، وتلطف بالمسلمين جميعاً، وفي النهار تَلَّطَف مع الناس، والْطُف بهم، وأحسن إليهم :﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وكن في الليل مع الرحمن، واسأله أن يرحمك، ويرحم إخوانك المؤمنين، وفي النهار كن رحيماً يرحم خلق الله، ويحسن إليهم بالقول والفعل .

وكن في الليل مع الكريم، وأسأله أن يرزقك من فضله، وفي النهار كن كريمًا بمالك ووقتك وأخلاقك وهكذا: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

واعلم يا عبد اللطيف أنك كما تحب أن يلطف الله بك في جميع أمورك، فَالْطُف أنت بإخوانك المؤمنين، وخالقهم بخُلُقٍ حسن، وأوصل بِرَّك وإحسانك إلى غيرك بحسب قدرتك ؛ واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، تفوز بمحبة الله لك، وتسعد بمحبة الناس لك : ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

يا عبد اللطيف كن لطيفًا مع جميع الناس، وَسَعْهُم بحُسْن خلقك، وادْعُهُم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واصبر على آذاهم وإعراضهم،يحبك الله، وتكسب محبة الناس ومودتهم، وتزول عنك أذيتهم، ويقبلون قولك، ويطيعون أمرك : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

واشْغِل يا عبد اللطيف قلبك ولسانك وجوارحك بذكر وشكر من لُطْفُه بك ظاهرٌ غير خفي، وبِره بك واصل إليك في حال سرائك وضرائك، وحال طاعتك ومعصيتك : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾[المزمل:٨-٩].

وأنفقيا عبد الكريم مما رزقك الله من علم ومال، وبر وإحسان، وتلطَّف في إيصال بِرِّك إلى الناس بألطفِ المآخذ، وأحسن المذاهب، بلا منّة ولا أذى، ولا كبر ولا احتقار، ولا شماتةً ولا تعيير: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾[البقرة:٢٦٢-٢٦٣].

وتلطف يا عبد الحليم في السؤال إذا سألت، وتلطف في الجواب إذا أجبت. فالكلمة الطيبة صدقة، تثمر المحبة والمودة، والتراحم والتقارب: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

وإذا عرفت يا عبد اللطيف أن ربك هو اللطيف الحق، فليكن حظك من هذا الاسم الكريم أن تكون لطيفًا في مصالحك بالمبادرة إلى كل عمل صالح، والتحلي بكل خُلقٍ جميلٍ كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء:٩٠].

وكن لطيفًا بالخلق كلهم على اختلاف طبقاتهم وحاجاتهم.

إن رأيت كافرًا فادعه إلى الله بلطفٍ ولين، وإن رأيت جاهلاً فعلمه بلطف، وإن رأيت عاجزًا فخذ بيده بلطف، وإن رأيت فقيرًا فاقض حاجته بلطف، وإن علمت سنةً فانشرها بلطف، وإن علمت بدعةً فأزلها بلطف، وإن علمت حسنةً من غيرك

فاشكرها، وإن علمت سيئة من غيرك فاسترها :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾[الأعراف:١٩٩].

وتذكر يا عبد اللطيف لُطْفَ الله،وتذكر يا عبد اللطيف لطف رب الناس بالناس،وتذكر أَلْطَفَ الناس بالناس، وأرحم الناس بالناس، وأعبد الناس لرب الناس، محمداًﷺالذي أثنى عليه ربه لكمال خُلُقِه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ ﴾[القلم:٤].

فاهتد بهديه، وتخلق بأخلاقه، وتأدب بآدابه، وتمسك بدينه، تَكُنْ في الجنة رفيقه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١].

وتقرب يا عبد اللطيف إلى ربك بكل ما يحبه ويرضاه، واجتنب كل ما تخافه وتخشاه، تنل من ربك أعظم ما تتمناه :﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ٦٦ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ٧٠ ﴾[النساء:٦٦-٧٠].

وَأَحْسِنْ إلى الناس جميعًا فيما استطعت، واصبر في سبيل ذلك على أذاهم، وعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، ولاطفهم بما تستطيع من القول والفعل والخُلق:﴿وَأَنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥ ﴾[البقرة:١٩٥].

وكل ذلك عبادة يحبها الله، وكل امرئ حسيب نفسه ورهين عمله :﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وعليك بأحسن الأعمال تعبدًا لله مع الخالق، وتعبدًا لله مع المخلوق : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة:٧١].

اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُك إيمانًا كاملًا، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا.

اللَّهُمَّ يا حَيُّ يا قَيّومُ الطف بنا في جميع أحوالنا، واجعلنا خير عبادك لعبادك في اللطف بهم، والرحمة لهم، يا ذا الجلال والإكرام.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثالثة والأربعون

عبادة الرفق

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه الرفق بالخلق.

الثاني : فقه رفق الله ﷻ.

الثالث : ميادين الرفق.

الرابع : الأسباب الباعثة على الرفق.

الخامس : التعبد لله ﷻ بصفة الرفق.

العبادة الثالثة والأربعون

عبادة الرفق بالخلق

١ - فقه الرفق بالخلق

الرفق : هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل والأيسر والأحسن من الأمور، وهو ضد العنف والشدة والغلظة.

الرفق : هو لين الجانب، واللطف في أخذ الأمور بأحسن الوجوه وأيسرها، وأسهلها وأفضلها.

الرفق : عبادة قلبية بين العبد وغيره من الخلق، وأحسن الناس من لزم الرفق في كل الأمور، مع كل الناس.

والله عز وجل رفيق يحب الرفق في الأمور كلها، ومن رفق بخلق الله رفق الله به، ومن رحم الخلق رحمه رب الخلق،ومن أحسن إلى الخلق أحسن إليه رب الخلق، ومن عفا عن الخلق عفا الله عنه، ومن ستر الناس ستره رب الناس، ومن أكرم الناس أكرمه رب الناس، ومن نفع الناس نفعه الله، ومن عامل الخلق بصفة عامله الله بتلك الصفة في الدنيا والآخرة.

فالله يكون للعبد حسب ما يكون العبد لخلقه :﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠].

والرفق من أحسن الصفات التي يحبها الله عز وجل .

قال النبي ﷺ "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ". متفق عليه (١)

والرفق مقرون بالرحمة، فمن رحم الناس ورفق بهم، ولطف بهم :﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾
[آل عمران:١٥٩].

فالإنسان إذا تعامل مع الناس بالشدة والعنف حرم الخير وخسر محبة الله، ومحبة الناس، وإذا تعامل مع الناس بالرفق واللين، والرحمة والأناة، وسعة الصدر، حصل على خير كثير، وأجر كبير: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾
[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وليس الرفق أن تأتي للناس على ما يحبون ويشتهون ويريدون، ولو خالف ذلك أمر الله ورسوله، بل الرفق المشروع أن تسير بالناس حسب أمر الله ورسوله ﷺ، وتسلك أسهل الطرق، وأرفق الطرق بالناس، ولا تشق عليهم، ولا تحملهم ما لا يطيقون ونحو ذلك مما يخالف أمر الله ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ))أخرجه مسلم[1].

فالرفق بالناس، والرفق في الأمور، واللين واللطف، والتيسير والتسهيل، من أعظم العبادات القلبية مع الناس، لما تثمره من محبة الله للعبد، ومحبة الناس للعبد، وسماعهم لنصحه، وطاعتهم لأمره.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ، فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ))أخرجه أحمد والترمذي[2].

والله سبحانه رفيق بعباده، يحب الرفق، وأهل الرفق، ويعطي على الرفق عطاءً لا

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨).

(٢)صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٧٥٩٣) والترمذي برقم (٢٠١٣).

يعطيه على شيء آخر من الأعمال .

و الله سبحانه هو الرفيق بخلقه، اللطيف بهم، الرحيم بهم، المحسن إليهم .

والرفق صفة من صفاته ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾[البقرة:١٤٣].

وعن عائشة رضي الله عنها: أَن النبيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللهَّ رَفِيقٌ يحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ)) متفق عليه (١).

والرفق من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله الرفيق واللطيف، والرحمن والرحيم، والرءوف والغفور، والعفو والحليم، والكريم والمحسن :﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾[البقرة:١٤٣].

فالمؤمن إذا علم أن ربه رفيق بعباده رفق بهم، وإذا عرف أن ربه لطيف رحيم رءوف بعباده لطف بهم، ورفق بهم، ورأف بهم، ورحمهم، وأشفق عليهم .

وإذا عرف أن رب العباد عفو حليم، ومحسن كريم، عفا عن الناس، وحلم على السفيه، وصبر على جهل الجاهل، وأحسن إلى غيره بما يستطيع، وأكرم غيره بالقول والفعل والمال حسب قدرته :﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وهذا هو التعبد لله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، على شاكلة العبودية.

والله عز وجل يحب أسماءه وصفاته، وأحب عباده إليه من اتصف بصفاته على شاكلة العبودية، فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله شكور يحب الشكر وأهل الشكر، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، والله رفيق يحب الرفق وأهل الرفق وهكذا : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أرحم الناس بالناس، وأرفق الناس

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

بالناس، وألطف الناس بالناس، اختارهم الله واصطفاهم بالنبوة، ومكارم الأخلاق: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)﴾[التوبة:١٢٨].

وعلى المسلم أن يتعبد لله بالإيمان بهم، والاقتداء بأقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠)﴾[الأنعام:٩٠].

فكن يا عبد الرفيق رفيقًا بنفسك، أعطها حظها مما أباح الله لها، وخذها برفق إلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾[الأعراف:٣١-٣٢].

وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧)﴾[الحج:٧٧].

وكن رفيقًا بأهلك، وأقاربك، وجيرانك، وأصدقائك، وأعدائك، رفيقًا في دعوتك، رفيقًا في تعليمك شرع ربك، رفيقًا في تجارتك، رفيقًا في معاملاتك، رفيقًا بالصغير، رفيقًا بالكبير، رفيقًا بالعاجز، رفيقًا بالمريض، رفيقًا بقاطع الأرحام، رفيقًا بمانع الحقوق، رفيقًا بأهل الكبائر والصغائر: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)﴾[فصلت:٣٤-٣٦].

وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ)) متفق عليه [1].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

٢ - فقه رفق الله ﷻ

الله عز وجل هو الرب الرفيق الرءوف الرحيم بعباده، الرفيق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا والأفعال الجميلة، والأقدار الحكيمة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

هو سبحانه الرب الرفيق بعباده، الرفيق الذي يسهل أمورهم، وييسر أسباب الخير لهم، ويدفع عنهم أسباب الشر برفق: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

هو جل جلاله الرب الرفيق الحق بأقواله وأفعاله، وفي قضائه وقدره، الرفيق في أوامره وأحكامه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣].

هو سبحانه الرفيق الحليم، الذي لا يعجل بعقوبة العصاة، ليتوب من سبقت له العناية بالسعادة، ويظهر كمال حلمه فيمن سبقت له الشقاوة: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر:٤١].

هو سبحانه الرفيق الذي خلق جميع الخلائق، وتكفل بأرزاقهم حيثما كانوا، ومن كانوا، المؤمنون والكفار، والأبرار والفجار، وأوصل أرزاقهم إليهم برفق ولطف كميةً ونوعيةً، ومكانًا وزمانًا: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود:٦].

هو سبحانه الرفيق في أفعاله، الذي خلق كل المخلوقات بالتدريج شيئًا فشيئا، مع أنه قادر على خلق جميع المخلوقات دفعةً واحدةً بأمرٍ واحدٍ في لحظةٍ واحدة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

هو سبحانه الرفيق الحكيم القدير الذي يأتي بالليل بعد النهار، ويأتي بالصيف بعد الشتاء،ويأتي بالحر بعد البرد،ويأتي بالعافية بعد المرض، ويأتي بالأمن بعد الخوف،ويأتي بالغنى بعد الفقر، ويأتي بالنصر بعد الهزيمة : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران:٢٦-٢٧].

وهو الرفيق الذي يصرف الرياح في الجو برفق، ويصرف المياه بين السماء والأرض برفق :﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[الأعراف:٥٧].

وهو سبحانه الرفيق الذي يخرج المواليد من الأرحام برفق،ويخرج الثمار من الأشجار برفق،ويخرج الحبوب من الزروع برفق : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾[الأنعام:٩٩].

وهو الرب الرفيق بعباده، يسر لهم معايشهم في أماكنهم ورفق بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلم يكلفهم إلا بما يطيقون، ولم يحملهم ما لا يستطيعون :﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾[البقرة:٢٨٦].

هو الرفيق الرحيم الذي جعل فعل الأوامر من عباده على قدر الاستطاعة، وأسقط عنهم كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة، وخفف عنهم كثيرًا من الأحكام في حال المشقة والحاجة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥].

كل ذلك فعله الرفيق بعباده، رخصةً لهم، ورحمةً بهم، ورفقًا بهم، لأنه الرب الرفيق اللطيف، الرحمن الرحيم: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

ومن رفقه سبحانه إمهال مرتكب الخطيئة، ومقترف الجرم، وعدم معاجلته بالعقوبة، لعله يتوب إلى ربه، وينيب إليه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف:٥٨].

ومن رفقه سبحانه أن دينه وشرعه كله رفقٌ ويسر، وهدىً وشفاء، ورحمةٌ وسماحة، وتذكيرٌ وموعظة: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران:١٣٨].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء:٨٢].

فسبحان الرب الرفيق الذي وهب الرفق لكل رفيق، وخص أولياءه بأحسن الرفق وأجمله، ما أمر بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه، وما أباح شيئاً إلا سهل الوصول إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣].

وَعَن عَائِشَةُ رضي الله عَنها إِنْ النَّبِيِّ ﷺقَال : ((يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يحُبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ)) متفق عليه [(١)] .

والرب الذي هذه أسماؤه، وصفاته وأفعاله، وهذا رفقه ولطفه، وهذه رحمته ورأفته، هو الرب الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وهو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له :﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

٣- ميادين الرفق

الأول: الرفق بالنفس، ويكون بأداء ما فرض الله عليها، فيعطيها حظها مما أباح الله لها، ويحملها برفق على امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، حسب طاقته، و لا يكلفها من الأعمال ما لا تطيق، فتنفر وتقعد عن العمل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة:١٧٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ،وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ))أخرجه البخاري [1] .

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾[التغابن:١٦].

الثاني: الرفق بالوالدين، وحسن ملاطفتهما وإكرامهما، وعدم الضجر من خدمتهما، والصبر عليهما، وخفض الجناح لهما، وحسن الطاعة لهما، والدعاء لهما :﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥﴾ [الإسراء:٢٣-٢٥].

لثالث: الرفق بالأهل والأولاد، والتلطف في معاملتهم، والعفو عن زلاتهم، والرفق بهم، حتى تسود المحبة والألفة بين أفراد الأسرة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن:١٤].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٩) .

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((خَيْرُكُمْخَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

الرابع: الرفق بالخدم والمماليك والعمال، والإحسان إليهم، وعدم تكليفهم بما يشق عليهم:

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ، وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ))أخرجه مسلم (٢) .

الخامس: الرفق واللين بالأقارب والجيران، والأصدقاء والأعداء والفقراء واليتامى ونحوهم: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾[النساء:٣٦].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))متفق عليه (٣).

السادس: الرفق بالناس عامة، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، ويكون ذاك بلين الجانب لهم، ومعاملتهم بالرفق واللين، والسماحة واليسر، وعدم الغلظة والشدة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل:١٢٥].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ)) متفق عليه(٤).

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥) وابن ماجة برقم (١٩٧٧) .

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٦٦٢) .

(٣)متفق عليه، البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٧).

(٤)متفق عليه، البخاري برقم (١٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

وقال النبي ﷺ: ((المؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ، مِثْلُ الجَمَلِ الأَنِفِ، إِنْ قُدْتَهُ انْقَادَ، وَإِنْ أَنَخْتَهُ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ))أخرجه البيهقي(١).

السابع: الرفق بمن تحت يده من الناس، فكل راعٍ مسؤولٌ عن رعيته، سواءٌ كان حاكمًا أو رئيسًا او مديرًا او طبيبًا أو غيرهم ممن ولاه الله ولايةً، فعليه أن يرفق بمن تحت يده، ويأخذهم بالأيسر والأسهل من الأمور المشروعة، ويقضي حاجاتهم ومصالحهم برفق، ويحب لهم ما يجب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ الواحد ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)) متفق عليه (٢)

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ.))أخرجه مسلم (٣) .

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((كُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عَنْ رعِيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ ومَسْؤُولٌ عَنْ رعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهلِهِ وَمسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمرأَةُ راعيةٌ في بيتِ زَوجها وَمسؤولةٌ عَنْ رعِيَّتِها، والخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وكُلُّكُم رَاعٍ ومسؤُولٌ عَنْ رعِيَّتِهِ))متفق عليه (٤).

الثامن : الرفق بمن يدعوهم إلى الله، أو يأمرهم بالمعروف، أو ينهاهم عن المنكر، أو يعلمهم شرع الله عز وجل، ويكون ذلك برحمة الناس، ولين الجانب

---

(١)حسن: أخرجه البيهقي برقم (٨١٢٨) .

(٢)متفق عليه، البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٣)أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨) .

(٤)متفق عليه، البخاري برقم (٢٥٥٤) ومسلم برقم (١٨٢٩).

لهم والشفقة عليهم، واللطف بهم، والرفق بهم، وإدخال السرور عليهم، ولا يشق عليهم، ولا ينفرهم من الدين بأسلوبه الجاف والغليظ والعنيف .

فالدعوة إلى الله لا تؤثر ما لم تقترن بخلق الرحمة،والرفق واللين، واللطف بالناس، وتعليم شرع الله للناس لا يثمر ما لم يقترن بخلق الرفق، الذي يملك القلوب بالمحبة :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] .

والرفق هو سنة الأنبياء والرسل مع أممهم، فانظر يا عبد الرفيق إلى تلطف إبراهيم ﷺ في دعوته لأبيه، ورفقه به، وحسن خطابه له :﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾[مريم: ٤١-٤٧].

وانظر إلى رفق النبي ﷺ في دعوته، وقوة رحمته لأمته، ولينه لهم، ولطفه بهم، حتى ملك قلوبهم فأحبوه، ودخلوا في دينه :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩].

وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

فعلى الداعي إلى الله أن يرحم من يدعو، وينظر إليه بعين الرحمة والرأفة، ويرفق به، ويتلطف معه، ولا يكون عونًا للشيطان على أخيه .

التاسع: الرفق بالكافر والمشرك المسالم، والتلطف معه، والإحسان إليه بالقول والفعل، لعل حسن المعاملة معه تفتح قلبه، فيدخل في الإسلام :﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[الممتحنة:٨].

العاشر : الرفق بالبهائم والحيوانات والطيور بأنواعها، ويكون ذلك بتوفير الطعام والشراب لها، ودفع الأذى عنها، ومعالجة المريض منها، وتوفير المأوى المناسب لها .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((بَيْنمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ اشْتَدَّ علَيْهِ الْعَطَشُ، فَوجد بِئراً فَنزَلَ فِيهَا فَشَربَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذا كلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنزَلَ الْبِئْرَ فملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفيهِ، حتَّى رقِيَ فَسقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ له فغَفَرَ لَه. قَالُوا: يَا رسولَ اللهَّ إِنَّ لَنَا في الْبَهَائِم أَجْراً؟ فَقَالَ: "في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ))متفق عليه [١].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((إِنَّ اللهَّ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبحَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)) أخرجه مسلم [٢].

فما أعظم خُلق الرفق بالخلق، وما أحسن آثاره، وما أجل ثمراته، وما أعظم أجوره، فالرفق عبادة قلبية، بين المسلم وغيره، يثمر محبة الله، ومحبة الناس، وينمي روح المحبة والتعاون والتآلف بين الناس .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧)ومسلم برقم (٢٢٤٥) .

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥) .

والرفق دليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، وصلاح العبد، وحسن خلقه.

والرفق خلق عظيم موصل إلى الجنة، والرفق خلق جميل يحفظ المجتمع من الغل والعنف، ويحفظه من الفرقة والعدوان.

وبالرفق ينال العبد كل خير، ويحفظ نفسه من كل شر، ويسعد في الدنيا والآخرة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فاستقم كما أمرت تسعد في الدنيا والآخرة، وتنال من ربك الأجر العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

٤ - الأسباب الباعثة على الرفق

الأول : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمن عرف أن ربه رحيم استرحمه، ورحم خلقه، ومن عرف أن ربه لطيف سأله اللطف، ولطف بخلقه، ومن عرف أن ربه رفيق تعبد له بصفة الرفق، ورفق بالناس وهكذا : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

الثاني : العلم بصفات الأنبياء والمرسلين وما هم عليه من الرحمة والحلم، واللطف والرفق بالخلق، فمن عرف ذلك تعبد لله بصفة الرحمة واللطف والرفق واللين مع الناس : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

الثالث : العلم بفضائل الرفق واللطف، واللين والرحمة .

فمن عرف ذلك سارع إلى الإحسان إلى الناس، والرفق بهم، والعفو عنهم، والرحمة لهم، لينال الثواب العظيم من ربه العظيم : ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الرابع : الإكثار من ذكر الله عز وجل، وتدبر آيات القرآن الكريم .

فمن ذكر الله امتلأ قلبه بحب الله وأسمائه وصفاته وكلامه، وأطاع ربه ولم يعصه، وسارع إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، من العبادات، وحسن الأخلاق والمعاشرات : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[المزمل:٨-٩].

الخامس: دعاء الله ﷻ أن يرزقه صفة الرفق بالناس، والرحمة لهم، والإحسان إليهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

السادس: لزوم البيئة الإيمانية الصالحة، ومجالس أهل العلم والإيمان، والانقطاع عن جو الغفلة، فالأجواء الإيمانية فيها التراحم والتآلف، والرفق والمحبة: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

السابع: معرفة ثمرات الرفق والحلم، والعفو والصفح، واللطف واللين.

فمن عرف ذلك امتلأ قلبه بحب الخير للناس، والرحمة لهم، والرفق بهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧١-٧٢].

٥- التعبد لله ﷻ بصفة الرفق

الله ﷻ رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على ما سواه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

فتعبد لله بصفة الرفق، وكن يا عبد الرفيق رفيقًا في جميع أمورك، رفيقًا بجميع الخلق المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والإنسان والحيوان: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

ورسولنا ﷺ أرفق الناس بالخلق، وأرحم الناس بالناس، وأرأف الناس بالناس، حتى أثنى عليه ربه بكمال أخلاقه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم:٤].

فاقتد يا عبد الله بنبيك ﷺ في أقواله، وأفعاله، وأخلاقه، وشمائله، وتعبد لله بذلك: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

ربنا رفيق يحب الرفق، ورسولنا ﷺ إمام أهل الرفق، وديننا كله رفق، ويسر، ورأفة، ورحمة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

فعليك ياعبد الرفيق بالرفق في جميع أمورك الخاصة والعامة.

كن رفيقًا في عبادتك ومعاملتك، رفيقًا في كلامك ومعاشرتك، رفيقًا مع أهلك وأولادك، رفيقًا مع جيرانك وإخوانك، فإن الرفق زينة الإنسان، والعجلة من الشيطان:

عن عائشة رضي الله عنها أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إلَّا شانَهُ)) أخرجه مسلم (١).

واعلم أن من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

فاحرص رحمك الله أن تكون رفيقًا بأمورك كلها، رفيقًا مع الناس كلهم، رفيقًا بالقريب والبعيد، رفيقًا بالعدو والصديق،بعيداً عن العجلة والسرعة، بعيدًا عن الشدة والعنف، بعيدًا عن التهور والاندفاع، بعيدًا عن الغضب والانتقام، فالعجلة في الأمور من الشيطان، والرفق صفة الرحمن، وحلية الأنبياء، وأهل الإيمان : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾[التوبة:٧١].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((مَثَلُ المؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ الواحد ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضوٌ تَداعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)) متفق عليه [1].

يا عبد الرفيق ارفق بنفسك، ولا تحملها ما لا تطيق، ولا تكلفها بعمل لم يأذن به الله، ولا تزد في عملٍ زيادةً تقعدك عن غيره، ولا تخرج عن السنة السمحة إلى الشدة والتكلف :﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ٢٨﴾ [النساء:٢٧ -٢٨].

فالدين يسرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، والزم سنة نبيك ﷺ تسعد في دنياك وأخراك .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النبيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عن عِبادَةِ النبيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخبِرُوا كَأنَّهُمْ تَقالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ ﷺ؟ قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ إليهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا،

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)ومسلم برقم (٢٥٨٦).

أما واللهَ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهَ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليسَ مِنِّي)) متفق عليه [١].

فارفق يا عبد الرفيق بكل الخلق يرفق بك رب الخلق، وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وخالق الناس بخلقٍ حسن تلق من ربك أحسن منه : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يونس:٢٦].

وصل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، ينقلب عدوك صديقًا، ويصير مبغضك محبًا: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت:٣٣-٣٦].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣].

اللهم آتِ نَفوسنا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وليُّهَا وَموْلاَهَا .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الصافات: ١٨٠-١٨٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ومسلم برقم (١٤٠١).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الرابعة والأربعون

عبادة جبر الخواطر

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه جبر الخواطر

الثاني : صورٌ من جبر الخواطر في القرآن والسنة

الثالث : الأسباب المُعينة على جبر الخواطر

الرابع : التعبد لله بجبر خواطر الخلق.

العبادة الرابعة والأربعون

عبادة جبر الخواطر

١ - فقه جبر الخواطر

جبر الخواطر هو رفع همة الشخص، وتطييب قلبه، وتَهوين مصيبته، وإقالة عثرته، والأخذ بيَدَيْه، وإدخال السرور إلى قلبه.

وجبر خاطره يكون بالابتسامة، والكلمة الطيبة، والنصيحة المؤثرة، والهدية القيمة، وتعويضه عن ما فاته مما يحب: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

جبر الخواطر عبادة بين العبد وغيره من الخلق،وهي من مكارم الأخلاق، وجميل الفِعال التي تُثمر المحبة، وتزيد الألفة والمودة بين الإخوان والأصدقاء.

قال النبي ﷺ: « أَحَبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ يُدخِلُه على مسلمٍ، أو يَكشِفُ عنه كُربةً، أو يقضِي عنه دَيْنًا، أو يَطرُدُ عنه جوعًا» أخرجه الطبراني[١].

جبر الخواطر من أعظم عِبادات القلوب التي تكون بين الإنسان وغيره من الخلق، لما فيها من تطييب قلب الإنسان، وإدخال السرور على من أصابه همٌّ، أو غمٌّ، أو خوفٌ، أو مرضٌ، أو كارثةٌ، أو خسارة.

جبر الخواطر خُلُقٌ إسلامي عظيم، يدل على شهامة الإنسان، وسُمُوِّ نفسه، وعظمة قلبه، ورجاحة عقله، وسلامة صدره.

جبر الخواطر عبادة قلبية، يجْبُر فيها الإنسان قُلوبًا مُنكسرةً، ونُفوسًا مُنهارةً،

---

(١)صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٦٠٢٦) .

وبُطونًا جائعةً، وأجسادًا مريضةً، وأشخاصًا أَرْوَاحُ أحْبَابِهم أُزْهِقَت، وجارًا أو صديقًا حَلَّت به خسارةٌ أو كارثة.

وكما أن من أعظم العبادات فيما بين العبد وربه الصلاة، والصيام، والحج، والذكر، والدعاء؛ فكذلك من أعظم العبادات فيما بين العبد والخلق عبادة جبر الخواطر، وإدخال السرور على الناس، لأن ذلك يُثمر محبة الله له، ومحبة الناس له، والفوز بمغفرة الله، ودخولِ جنته: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فهذه عبادة، وتلك عبادة، وفي كُلٍّ منهما رضوان رب العالمين، بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والإحسان إلى الخلق، وجبر قلوبهم، وإدخال السرور عليهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فإقامة الصلاة بين العبد وربه، والإنفاق بين العبد وخلقه.

وجبر القلوب المُنْكَسرة من مُقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم وآثار الإيمان بأسماء الله الجبار، الرءوف، الرحيم، العَفُو، الغفور.

فالله جلّ جلاله هو الجبار الذي يَقْصِم ظُهور الطغاة والجبابرة.

وهو الجبار، الرحيم، الودود الذي يجبر قلوب الخلق بما يُطَمْئِنُ قلوبهم، ويُريح نفوسهم، ويُدخل السرور عليهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

هو الجبار الذي يجْبُرُ الفقير بالغِنَى، ويجْبُرُ المريض بالشفاء، ويجْبُرُ الخائف بالأمن، ويجْبُرُ أهل الهموم والأحزان بالطمأنينة والسكينة، ويجْبُرُ أهل المصائب

والابتلاء بعظيم الأجور، ودخول دار السرور: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وجبر القلوب المنْكَسِرة، وإدخال السرور على الناس، أعظم صفات الأنبياء والمرسلين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

هو سبحانه الجبار الذي جَبَرَ قلب إبراهيم ﷺ، حين صبر على دعوة التوحيد، وألقي في النار من أجلها، فجبر الله قلبه، وجعل في ذريته النبوة والكتاب. كما قال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: ٢٧].

ويوسف ﷺ ظُلِمَ وأُوذِيَ من إخوته الذين حسدوه، والمظلوم يحتاج الى جبر خاطر، فماذا قال الله له: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: ١٥].

فكان هذا الوحي من الله لتثبيت قلبه، وجبر خاطره.

ورسول الله ﷺ وُلِدَ في مكة، ونشأ فيها، ولكن قومه كذبوه وآذوه، فخرج منها إلى المدينة لعله يجِدُ من يَقْبَلُ قوله، ويدخل في دينه.

وهذا الفراق لمكة يحتاج إلى الصبر والمواساة، فأوحى الله إليه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص: ٨٥].

فجبر الجبار خاطر رسوله ﷺ، وأخبره بأنه سَيَرُدُّهُ إلى مكة عزيزاً مُنْتَصِرًا، وهذا ما حصل: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

ومن جبر الخواطر ما أوحى الله إلى رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾ [الضحى: ١-٥].

فأعطاهُ الله حتى رَضِي، وجبر قلبه من كل ما أصابه من الضيق والهم والغم، وأظهر الله دينه على الدين كله، وأقر عينه بدخول الناس في دين الله أفواجا، كما قال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ١-٣].

وأعظم الخلق عبوديةً لله هم أهل جبر الخواطر؛ لأنهم يُرْضُون الله برحمة عباده، والإحسان إليهم، والأخذ بأيديهم، ودفع الهم والغم والحزن عنهم: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فَيَا عبد الجبار عندما يأتيك الخادم بالطعام والشراب، فاجبر خاطره بابتسامة جميلة، أو كلمةٍ طيبةٍ، أو أَقْعِدْه ليأكل معك، ليشعر أنه مثلك.

قال النبي ﷺ: «هم إخوانكم خوَلُكم، جعَلَهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعِمْه ممَّا يأكلُ، ويُلبِسْه مما يلبَس، ولا تكلِّفوهم ما يغلِبُهم، فإنْ كلَّفتُموهم فأعينُوهم» متفق عليه (١).

وإذا اشتريت يا عبد الجبار من بائعٍ فقير سِلْعَةً زهيدة، فَاجْبُرْ خاطره بإعطائه أكثر من حقه، وابتسم له يدعو لك، ويُثني عليك؛ لأنك أدخلت السرور على قلبه.

وإذا رأيت صديقك أو زميلك بالعمل لديه معاملاتٍ كثيرة لا يستطيع إنجازها وحده إلا بمشقة، فاجْبُرْ خاطره، واجلس معه، وساعده في إنجاز عمله؛ فسوف تجد من يُعِينُكَ إذا صِرْت مثله في يومٍ من الأيام، فكما تَدِينُ تُدَان، والله في عَوْنِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠) ومسلم برقم (١٦٦١).

العبد ما كان العبد في عون أخيه : ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥].

وعندما تجد طفلاً صغيراً فقيراً فابتسم في وجهه واهدِه قطعة حلاوة أو حَبَّةً من الفاكهة أو كأسًا من العصير،فسوف يفرح بها كثيرا، لأنك جبرت خاطره، وأدخلت السرور على قلبه.

وعندما تَرَى شخصًا مهمومًا أو يَشْعُرُ بالفشل، فأدخل السرور عليه، وشجعه، وقل له إنه يستطيع أن ينجح في حياته. فسيفرح بذلك، ويَشُدُّ من عَزْمِه ؛ لأنك جبرت بخاطره، وفتحت له أبواب العمل والعزيمة.

وعندما تُفاجئُ زوجك أو صديقك أو جارك بشيءٍ يُحِبُّه من كلمةٍ طيبة، أو هديةٍ قَيِّمَةٍ، فقد جبرت خاطره، وأدخلت السرور على قلبه.

قال النبي ﷺ: « أَحَبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، تَكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا » أخرجه الطبراني(١).

وكما أن جبر الخواطر عبادة، فكَسْرُ الخواطر خطيئة. فكسر الخواطر، وإهانة الشخص، وذِكْرُ مَسَاوِئِه له، وَقَتْلُ طموحه، يُدَمِّر حياة هذا الشخص، ويحُولها إلى الأسوأ.

فاجْبُر خاطر ابنك، أو أخاك، أو صديقك بما يحبه، وشجعه، وأدخل السرور عليه، واجْبُر بخاطره، واعْطه بعض النصائح، ليُطَوِّر من نفسه، ويحْيَا الأملُ في قلبه، فيحبك، ويُطيع أمرك، ويأخذ بنصحك :﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت:٣٣-٣٥].

---

(١)صحيح: أخرجه الطبراني في الاوسط برقم (٦٠٢٦) .

٢- صورٌ من جبر الخواطر في القرآن والسنة

الله عز وجل هو الجبار الذي يجبر خواطر خلقه، والقرآن كله جبرٌ للخواطر، سواء كان ذلك في العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق، أو الأجور.

فَمِنْ جَبْرِ الخواطر في العبادات في الصلاة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة:١٥-١٧].

وقال الله النبي صلى الله عليه وسلم: «إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» أخرجه البخاري [1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن تَوضأَ، فأَحْسَنَ وضوؤه، ثم خَرَجَ إلى المسجدِ، فوَجَدَ الناسَ قد صَلَّوْا؛ أَعْطاه اللهُ مثلَ أَجْرِ مَن صلَّى وحَضَرَ، لا يَنْقُصُ ذلك مِن أَجْرِه شيئًا» أخرجه أحمد وأبوداود[2].

وفي الزكاة والصدقات يقول الله عز وجل جابراً لقلوب أهل الزكاة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة:٦٠].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه احمد برقم (٨٩٤٧) وأبو داود برقم (٥٦٤).

وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾[النساء:٨].

ومن جبر الخواطر في الصوم يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٤].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ » متفق عليه (١).

وفي الحج، يقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[آل عمران:٩٧].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » متفق عليه (٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأةٌ رفعت صَبِيًا لها فقالت : يا رسولَ الله ألهذا حجٌ ؟ قال : نعم ولكِ أجرٌ » أخرجه مسلم (٣).

ورفع الله المؤاخذة على الخطأ والنسيان جبراً للخواطر بقوله : «رَبَّنا لا تُؤاخِذنا إِن نَسِينا أَو أَخطَأنا، فقال الله : قد فعلْتُ» أخرجه مسلم (٤).

وجَبَرَ الله قُلُوب المرضى والمسافرين بأنه يَكْتُبُ لهم أجر ما كانوا يعملونه في حال الصحة والإقامة.

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٦٦٩) ومسلم برقم (١١٥٥).

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٢١) ومسلم برقم (١٣٥٠).

(٣)**أخرجه** مسلم برقم (١٣٣٦) .

(٤)**أخرجه** مسلم برقم (١٢٦) .

قال النبي ﷺ: «إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» أخرجه البخاري (1).

ومن جبر الخواطر فتح باب التوبة والاستغفار للمسرفين على أنفسهم بالمعاصي: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء: ١١٠].

ومن جبر الخواطر في المعاملات: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[التغابن:١٧].

وقال النبي ﷺ: « رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى» أخرجه البخاري (2).

وقال النبي ﷺ: « اتَّقوا النَّار ولو بشِقِّ تمرةٍ فإنْ لم تجِدوا فبكلمةٍ طيِّبةٍ » متفق عليه (3).

ومن جبر خواطر الكفار لعلهم يؤمنون: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾[الأنفال:٣٨].

ومن جبر الخواطر في الأخلاق جبر خواطر الصابرين كما قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٩٥) ومسلم برقم (١٠١٦).

وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

ومن جبر الخواطر جبر خواطر أهل الإنفاق في سبيل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقال الله ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

ومن ذلك جبر خواطر أهل العفو والإحسان: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

ومن ذلك جبر خواطر أهل الرحمة والمغفرة، والعفو والصفح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

وقال النبي ﷺ: « وَإِنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَمَاءَ » متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: « الراحمون يرحمُهم الرحمنُ. ارحموا من في الأرضِ يرحمْكم من في السماءِ » أخرجه أحمد والترمذي (٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٨٤) ومسلم برقم (٩٢٣).

(٢) صحيح: أخرجه احمد برقم (٦٤٩٤) والترمذي برقم (١٩٢٤).

ومن ذلك جبر خواطر المرضى والمصابين،ويكون ذلك بالزيارة والدعاء والإهداء، وادخال السرور عليهم.

قال النبي ﷺ: « مَن عادَ مريضًا، أو زارَ أخًا لَهُ في اللهِ ناداهُ مُنادٍ : أن طِبتَ وطابَ ممشاكَ وتبوَّأتَ مِنَ الجنَّةِ منزلًا » أخرجه أحمد والترمذي(١).

ومن ذلك جبر خواطر أهل الميت، بالصلاة عليه، وتشييع جنازته، وتعزية أهله.

قال النبي ﷺ: « مَنِ اتَّبعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إيمَانًا واحْتِسَابًا، وكانَ معهُ حتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا ويَفْرُغَ مِن دَفْنِهَا، فإنَّه يَرْجِعُ مِنَ الأجْرِ بقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، ومَن صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أنْ تُدْفَنَ، فإنَّه يَرْجِعُ بقِيرَاطٍ » متفق عليه (٢).

ومن ذلك جبرُ خواطر أهل الميت بالميراث الذي يُقْسَم بعد موته بين الرجال والنساء :﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾[النساء:٧].

جبر الخواطر من أعظم العبادات القلبية بين الإنسان وغيره من الخلق.

وجبر الخواطر تمَنَحُ فاعلها ثوابًا عظيمًا من الله ﷻ.

والعبد إذا اهتم بجبر خواطر الضعفاء والفقراء، والمرضى والمصابين، وأصحاب الهموم والغموم، يسخر الله له من يجْبُر خاطره إذا نزل به كربٌ أو شدة.

ومن ساعد أخاه في محِنته سَيُرْسِلُ الله له من يُسَاعده إذا وقع في شدةٍ أو كَرْبٍ أو بَلَاءٍ، لأن الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، والجزاء من جنس العمل.

قال النبي ﷺ: « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (٨٣٢٥) والترمذي برقم (٢٠٠٨) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧) ومسلم برقم (٩٤٥).

أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَ حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَة، وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» أخرجه مسلم (١).

إن عبادة جبر الخواطر في وقتها المناسب يَفُوقُ أجرها أجر كثير من العبادات والطاعات.

والنبي ﷺ أعظم الخلق جبرًا للخواطر،فلم يَنْسَ موقف المُطعم بن عدي حين أدخله في جِواره يوم عودته من الطائف إلى مكة حزينًا أسيفا مما لقيه من أهل الطائف،فقال يوم أسرى بدر : « لو كانَ المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي في هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ له » أخرجه البخاري (٢).

جبر خواطر الناس، وإدخال السرور عليهم، عبادةٌ من أعظم العبادات،ومن جبر خواطر الناس جبر الله خاطره، وكما تَدين تدان، ومن سار بين الناس جابرًا للخواطر، أدركه الله و أنقذه في جوف المخاطر،ومن فرج هم غيره فرج الله همه.

والله سبحانه هو الملك، العزيز، الجبار، الذي يُجيب السآئلين، ويُجيب دعوة المضطرين،ويَكْشِفُ كُرَبَ المكروبين، ويكشف السوء عن المرضى والمصابين والمهمومين : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وقال الله ﷻ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١٣٩) .

ومِنْ لُطْفِ الجبار بعباده أنه يَنْزِلُ كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيُجيب داعيًّا، ويُعطي سائلًا، ويُفرج كربًا، ويجْبُرُ كَسِيرا، ويُشْفِي مريضا، ويُغِيثُ مَلْهوفا، ويُعافي مبتلى، ويُزيل حزنًا.

قال النبي ﷺ: « يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُوني، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَسْتَغْفِرُني فأغْفِرَ له؟ »متفق عليه (١).

ومِن جبر الخواطر في القرآن جبر خاطر المرأة عند زواجها بالمهر الذي تأخذه عند فراق بيت أهلها، ودخولها في بيت الزوجية الجديد. كما قال سبحانه : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ ﴾ [النساء: ٤].

وكذا جبر خاطر المرأة المطلقة بالمتاع من مالٍ أو حُليٍ أو غيرهما، جبراً لخاطرهَا،وتطييبًا لقلبها المنكسر بالطلاق الذي به فارقت بيت الزوجية : ﴿ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾[البقرة: ٢٤١].

ومن جبر الخواطر القِصاص من الجاني تطييبًا لقلوب أهل المَجْنِيِّ عليه في قتل العمد :﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة: ٤٥].

ومن جبر الخواطر إيجَاب الدِّيَةِ على الجاني لأهل المَجْنِيِّ عليه،تطييبًا لقلوبهم، وجَبراً لكسرهم : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) ومسلم برقم (٧٥٨).

لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢].

ومِنْ جبر الخواطر اللُّطْفُ بالسائل، وتطييب خاطره بعَطِيَّةٍ أو كلمةٍ طيبةٍ، حتى لا يذوق ذُلَّ النَّهْر، مع ذُلِّ السؤال.

وكذا التَّلَطُّف باليتيم الذي فَقَدَ أباه، والإحسان إليه، وتطيب خاطره، وجبر قلبه المنكسر كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ٩-١٠].

ومِن جبر الخواطر الاهتمام بالضُّعَفاء والفقراء، فقد عاتب الله نبيه ﷺ حين أعرض عن الأعمى الذي جاء يسأل، وكان ﷺ مشغولاً بدعوة صناديد قريش.

فأنزل الله فيه قرآنًا يُتْلَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ [عبس: ١-١٠].

وكسر القلوب من أعظم المعاصي، وهي من صفات الكفار: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون: ١-٣].

وَتَطْيِيبُ قلوب أهل الإيمان من أعظم العبادات في وقتها المناسب.

عن جابرٍ رضي الله عنه قال: لمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عن وجْهِهِ أَبْكِي، ويَنْهَوْنِي عنْه، والنبيُّ ﷺ لا يَنْهاني، فَجَعَلَتْ عَمَّتي فاطِمةُ تَبْكِي، فَقالَ النبيُّ ﷺ: «تَبْكِينَ أَوْ لا تَبْكِينَ ما زَالَتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بأَجْنِحَتِها حتَّى رَفَعْتُمُوهُ» متفق عليه (١).

ولجبر الخواطر صور:

فبشاشة الوجه من تطيب الخواطر، وَقَبُول الاعتذار من المخطئ من تطييب الخواطر، وإهداء الهدية من تطييب الخواطر، وقضاء حاجة الفقير والعاجز

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٤٤) ومسلم برقم (٢٤٧١).

والأرملة من تطييب الخواطر، والدعاء لصاحب المكارم من تطييب الخواطر؛ لأن ذلك يشجعه على فعل الخير، ويدخل السرور على قلبه.

قال النبي ﷺ« أحبُّ الناسِ إلى الله أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، و أحبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ ، أوْ يَكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً ، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا » أخرجه الطبراني وأبو الشيخ (١).

وتطييب الخواطر يكون للفقراء والأغنياء، والأقوياء والضعفاء، والكبار والصغار، فقد كشفت الريح يومًا عن ساقي ابن مسعود رضي الله عنه فضحك القوم منه، فجبر النبي ﷺخاطره، وأعلى شأنه، وبَيَّنَ مكانته عند ربه فقال « والَّذي نَفْسي بيدِه، لهُما أثقَلُ في الميزانِ مِن أحُدٍ» أخرجه أحمد وأبو داود(٢).

وكان ﷺيجبر خواطر الكبار والصغار من أمته،فقد مات نَغْرٌ لأبي عُمَيْر، أخٌ لأنس ابن مالك، وكان يلعب به. فدخل النبي ﷺيوما فرآه حزيناً. فقال: « ما شأن أبي عُمَيْر حزينا؟» قالوا مات نُغَرُهُ الَّذي كان يَلْعَبُ بهِ يا رسول الله. فقال : « يا أبا عُمَيْر ما فَعَلَ النُّغَيْر؟!» متفق عليه (٣).

ويَدْخُل في جبر الخواطر كل ما يُدخل السرور في قلب العبد،مِثل بشاشة الوجه، والتهنئة في المناسبات، والمُصَافحة، والمُعَانقة عند السلام، والمشاركة في سرورٍ وفرح، أو في بكاءٍ وترح، أو كلمةٍ طيبة، أو دعوة صادقة.

قال النبي ﷺ: « المُؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا » متفق عليه (٤).

إن جبر الخواطر عبادة عظيمة يحُبها الله عز وجل، ويجْزِي عليها بالأجور العظيمة: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ

---

(١)**صحيح** / أخرجه الطبراني في الاوسط برقم (٦٠٢٦) وأبو الشيخ برقم (٩٧).

(٢)**حسن: أخرجه** احمد برقم (٤٢٠\١١).

(٣)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٧١) ومسلم برقم (٢١٥٠).

(٤)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦) ومسلم برقم (٢٥٨٥).

عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فيا عبد الجبار أُجْبُرْ قلوب من عرفت ومن لم تعرف من الخلق، وأدخل السرور على قلوبهم،وَلْيَكُنْ لأهلك من جبر الخواطر أوفر الحظ والنصيب، خاصةً الوالدين، والزوجة، والأولاد، والإخوة، والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وبقية القرابات: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾[الأنفال: ٧٥].

وقال النبي ﷺ: « إنَّ اللهَّ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القِيامَةِ: يا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْني، قالَ: يا رَبِّ كيفَ أعُودُكَ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ، قالَ: أما عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أما عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قالَ: يا رَبِّ وكيفَ أُطْعِمُكَ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ، قالَ: أما عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أما عَلِمْتَ أنَّكَ لو أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِندِي، يا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قالَ: يا رَبِّ كيفَ أسْقِيكَ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ، قالَ: اسْتَسْقاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أما إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وجَدْتَ ذلكَ عِندِي.» أخرجه مسلم (١).

جبر الخواطر عبادة من أعظم العبادات بين المسلم وغيره،والمؤمنون أخوة، وهذه الأخوة تقتضي الإحسان، والإحسان أنواعٌ ودرجات.

ومن إحسان المسلم إلى المسلم وغيره تطيب القلوب المنكسرة، وجبر الخواطر المهمومة، وإدخال السرور على النفوس الحزينة، وذلك من أعظم أسباب دخول الجنة، لما يُثْمِره من المحبة والألفة بين الناس، ومواساة الضعفاء، والشفقة على الخلق: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٩).

وكان النبي ﷺأعظم الخلق جبرًا للخواطر في كل مناسبة، سواءً كان ذلك لِفَرْدٍ أو لجماعة، كما جبر خواطر الأنصار عند قسمة غنائم حنين، فصلوات الله وسلامه عليه.

عن عبد الله ابن زيد ابن عاصم قال : لمَّا أفَاءَ اللهُ علَى رَسولِهِ ﷺيوم حُنَيْنٍ، قَسَمَ في النَّاسِ في المؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، ولَمْ يُعْطِ الأنْصارَ شيئًا، فَكَأنَّهُمْ وجَدُوا إذْ لَمْ يُصِبْهُمْ ما أصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقالَ : «يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، ألَمْ أجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بي، وكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فألَّفَكُمُ اللهُ بي، وعَالَةً فأغْنَاكُمُ اللهُ بي، كُلَّما قالَ شيئًا قالوا : اللهُ ورَسولُهُ أمَنُّ، قالَ : ما يَمْنَعُكُمْ أنْ تُجِيبُوا رَسولَ اللهِ ﷺ.

قالَ : كُلَّما قالَ شيئًا، قالوا : اللهُ ورَسولُهُ أمَنُّ، قالَ : لو شِئْتُمْ قُلتُمْ : جِئْتَنَا كَذَا وكَذَا، أتَرْضَوْنَ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاةِ والبَعِيرِ، وتَذْهَبُونَ بالنبيِّ ﷺ إلى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأنْصارِ، ولو سَلَكَ النَّاسُ وادِيًا وشِعْبًا لَسَلَكْتُ وادِيَ الأنْصارِ وشِعْبَهَا، الأنْصارُ شِعَارٌ والنَّاسُ دِثَارٌ، إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي علَى الحَوْضِ» متفق عليه [١].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٣٠) ومسلم برقم (١٠٦١).

٣- الأسباب المعينة على جبر الخواطر

الأول : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله،فمن عرف أن ربه هو الملك أذعن لأمره، ومن عرف أنه الرحمن استرحمه، وَرَحِمَ خلقه، ومن عرف أنه الجبار سأله أن يجبره، وجبر قلوب المنكسرين من خلقه وهكذا : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

الثاني : العلم بصفات الأنبياء والمرسلين للاقتداء بهم في توحيدهم وإيمانهم، وصفاتهم وأخلاقهم : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[الأحزاب:٢١].

الثالث : العِلْم بفضائل جبر الخواطر، والإحسان إلى الناس، وإدخال السرور عليهم، والعفو عنهم: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال النبي ﷺ: « تبسُّمُكَ في وجْهِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ وأمرُكَ بالمعروفِ ونهيُكَ عنِ المنْكرِ صدقةٌ وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة »أخرجه الترمذي وابن حبان(١).

الرابع: الإكثار من ذكر الله عز وجل، وتدبر كتابه، وما فيه من جبر الخواطر، والإحسان إلى الناس، وغُفْرَان ذنوبهم، وقبول توبتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (١٩٥٦) وابن حبان برقم (٥٢٩).

وقال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص:٢٩].

الخامس: لُزُوم البيئة الإيمانية الذاكرة، وصحبة الأخيار من العلماء والمحسنين، والانقطاع عن البيئة الغافلة: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].

السادس: المحافظة على الفرائض، وأداء النوافل بأنواعها في أوقاتها.

قال النبي ﷺ« إنَّ اللهَّ قالَ: مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ. أخرجه البخاري (١).

السابع: دعاء الله عز وجل أن يرزقه مكارم الأخلاق، وجبر خواطر الخلق، والإحسان إليهم، وإدخال السرور عليهم،فالله لا يرد سائلًا، ولا يُخَيِّبُ مؤَمِّلًا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر:٦٠].

الثامن: كثرة الاختلاط بالناس في العمل، والأسواق، والمجامع، والمدارس، والمستشفيات، لمعرفة أحوال الفقراء والمحتاجين، والمرضى والمصابين، والضعفاء والعاجزين،فليس راءٍ كمن سَمِع، فعند ذلك تنشأُ في قلب العبد عبادة جبر الخواطر، وحلاوة إدخال السرور على النفوس: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة:٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[البقرة:٢٧٤].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

٤ - التعبد لله بجبر خواطر الخلق

الله عز وجل هو الجبار الذي يجبر قلوب عباده في كل حال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣].

والأنبياء والمرسلون هم أعلم الناس بربهم، وأحسنهم عبادة له، وأفضلهم أخلاقاً مع خلقه، وأعظمهم جبراً لخواطر الخلق، وأكْمَلُهم رحمةً بالعباد: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أحسن الناس أُسْوة، ولهذا أمرنا الله بالاقتداء بهم بإيمانهم، في أقوالهم، وأعمالهم، وأخلاقهم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال عز وجل: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام:٩٠].

وإذا علمت أن الجبار الأعلى هو الله عز وجل، فاعلم أن الجبار من الخلق هو الذي يجبر الناس على الاقتداء به في صدقه، وأمانته، وأخلاقه، وآدابه، وكرمه، وآدابه، وإحسانه، وعفته، واستقامته.

وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل، ثم أتباعهم من العلماء الربانين، والأخيار الصادقين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠].

فيا عبد الجبار اسأل ربك الجبار الجابر لجميع خلقه بنعمه وإحسانه، أن يجبر منك كسور الغفلة والتفريط، وكسور العُجْبِ والكِبْر، وكسور الفَخْر وحب الثناء،وكسور الرياء والكذب، وكسور الظلم والحسد، وكسور المعاصي والذنوب، وأن يبدلك منها دوام ذكره وشكره وحسن عبادته، والاستكثار من أنواع الطاعات والعبادات والقُرُبَات التي ينال بها العبد رضا الرحمن، وأعلى الدرجات في الجنان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

يا عبد الجبار اجبر خواطر الخلق، وأحسن إليهم، وأدخل السرور على قلوبهم، واشكر محْسِنهم، وتجاوز عن مُسِيئِهم، وأَقِل عثراتهم، وَأَحِبَّ لإخوانك ما تحبه لنفسك :﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف:١٩٩].

وقال النبي ﷺ ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) متفق عليه [١].

يا عبد الجبار، صِلْ من قطعك، وَأَعْطِ من حرمك، وَاعْفُ عمن ظلمك، وأحسن الى من أساء إليك،تنقلب عداوته لك الى صداقة، وبغضه إلى محبة : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت:٣٣-٣٥].

يا عبد الجبار كُنْ جابراً للمنكسرين، راحماً للمساكين، هاديًا للضالين، محسنًا إلى المسيئين، رءوفا بالعباد، لطيفًا بالضعفاء، مساعدًا للعاجزين، منفقًا على

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥) .

الفقراء، شفيقًا على المرضى، مواسيًا للمصابين، حليمًا على الجاهلين :﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾[الأعراف:١٩٩].

وَاعْلَم يا عبد الجبار أن جَبْرَ الخواطر من أعظم العبادات بين العبد والخَلْق ؛ وهي تُثمر محبة الله لك، ومغفرة الله لك، ومحبة الناس لك، والفوز بالجنة في الآخرة : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

يا عبد الجبار، الرءوف، الرحيم، أُنْظُرْ كَمْ جَبَرَ الله من قلوبٍ منكسرةٍ، وكم أزال من هموم، وكم فرج من كروب، وكم كشف من كروب، وكم أغاث من مكروب، وكم يسر من عُسْر، وكم أجاب من سائل، وكم شفى من مريض، وكم أغنى من فقير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١ ﴾[غافر:٦١].

فتعبد لله باسمه الجبار، واجْبُرْ قلوب المنكسرين، وأدخل السرور على المهمومين والمصابين :﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾[الأعراف:١٨٠].

انْظُرْ في حياة نبيك ﷺ، تجده أرحم الناس بالناس، وأَلْطَف الناس بالناس، وأَعْظَم من جبر خواطر الناس،فَلْيَكُنْ لك به أسوة : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١].

اجْبُرْ قلب الحزين بكلمةٍ طيبةٍ، واجبر خاطر المُصاب بحُسن المواساة، واجبر خاطر المظلوم بالانتصار له، والوقوف معه، وانصر أخاك ظالماً أو مظلومًا.

واجبر خاطر المظلوم، واجبر خاطر المكلوم بفقد أحد أهله بقولك :﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾[البقرة:١٥٦].

وقولك ((إنَّ للهِ ما أَخذَ، وَلَهُ ما أَعْطَى، وَكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ بأَجَلٍ مُسَمًّى، فلتصبر ولتحتسب)) .

وقال النبي ﷺ: « لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ »أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ: «أنَّ للهَّ ما أَخذَ، وَلَهُ ما أَعْطَى، وَكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ بأَجَلٍ مُسَمًّى، فلتصبر وتحتسب ». متفق عليه (٢).

يا عبد الجبار أُجْبُرْ قلب المريض، وقُمْ بزيارته، والدعاء له قائلا له : شفاك الله وعافاك، وكتب لك الأجر وأثابك، وأبشر من ربك بكل خير،فقد وعد الله الصابرين أجراً بغير حساب كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر: ١٠].

واجبر قلب الفقير ، وَرَغِّبْهُ في الصبر، وَقُلْ له : إن رزقك سيأتيك سوآءٌ كنت في برٍ أو بحر، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾ [هود:٦].

يا عبد الجبار أُجْبُرْ خاطر البهائم والحيوانات، تعاهدها بالسقي والطعام، ولا تحرمها من أولادها، ولا تمنع عنها ما أحل الله لها،ففي كل كبدٍ رطبةٍ أجر.

قال النبي ﷺ: « فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ ». متفق عليه (٣).

إن جبر الخواطر المنكسرة من أعظم العبادات التي بين العبد وغيره من الناس. وهي باب عظيم من أبواب الأجر والثواب،فَاجْبُرْ قلوب من استطعت من خلق

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٦) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٧) ومسلم برقم (٩٢٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧) ومسلم برقم (٢٢٤٥).

الله. وليكن لأهلك من جبر الخواطر أعظم الحظ والنصيب، خاصة الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

وقال النبي ﷺ: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهله وأنا خَيْرُكُم لأهلي ». أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

إن جبر القلوب عبادة عظيمة يحبها الله، ويجزي عليها أعظم الأجر والثواب، فتعبد لله بها بين خلقه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرفُ عنا سيئها إلا أنت .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات: ١٨٠-١٨٢].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥) وابن ماجة برقم (١٩٧٧) .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخامسة والأربعون

عبادة محاسـبة النفس

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه محاسبة النفس.

الثاني: منزلة المحاسبة.

الثالث: أقسام المحاسبة.

الرابع: الأسباب المعينة على محاسبة النفس.

الخامس: كيفية محاسبة النفس في الدنيا.

السادس: أوقات محاسبة النفس.

السابع: ثمرات محاسبة النفس.

العبادة الخامسة والأربعون

عبادة محاسبة النفس

١ - فقه محاسبة النفس

محاسبة النفس هي تذكير النفس بما عملت من الأعمال قبل القدوم على الله ﷻ، لتستقيم على الطاعات، وتبتعد عن المعاصي، وتتوب من الذنوب، وقد أمرنا الله بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨].

المحاسبة عبادة من عبادات القلوب، تكون فيما بين العبد ونفسه.

والمحاسبة من أعمال الصالحين الذين حاسبوا أنفسهم على صغائر ذنوب الجوارح، وحاسبوها على دقائق خطرات القلوب، فما كان من خيرٍ تابعوه، وشكروا الله عليه، وما كان من شرٍّ تابوا منه ورفضوه.

والمحاسبة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم وآثار الإيمان بأسماء الله الحكيم والحَكم، والحاسب والحسيب، والسميع والبصير، والعليم والخبير.

فالله سبحانه هو الحَكم الذي يحكُم بين عباده يوم القيامة، الحكَم الذي يحكم بينهم بالعدل، ويضع الموازين القسط ليوم القيامة،فيزن العبد، ويزن أعماله، ويزن صحائفه، ولا يترك مثقال ذرةٍ إلّا أحصاها: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

ومن علم أن الله سميعٌ لأقواله، عليمٌ بأفعاله، بصيرٌ بأخباره، خبيرٌ بأسراره؛ حاسب نفسه قبل أن يحاسبه ربه يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

وعلى المسلم الذي يريد النجاة أن تكون له وقفاتٌ دائمة مع نفسه، ليحاسبها، ويصحح مسارها، لاسيما في أواخر عمره، وأكثر الخسائر في الأعمال إنما تزيد وتتراكم من عدم محاسبة النفس في الحياة على ما فعلت، وستندم في يومٍ لا ينفع فيه الندم: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزمر: ٥٦-٥٧].

والنفس سريعة التقلُّب، ميالةٌ إلى حب الشهوات والمعاصي: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٣].

إن كل عبدٍ مسلمٍ يرجو لقاء ربه يجب عليه أن يبادر إلى محاسبة نفسه، ويجلس معها جلسات مطوَّلة، لينظر في كل صفحة من صفحات عمره التي مضت؛ ماذا أودع فيها من أعمال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨].

المحاسبة أن يتصفَّح الإنسان في ليله ما صدر منه من أفعال في نهاره؛ فإن كان محمودًا شكر ربه على توفيقه له، وأتبعه بمثله، وإن كان مذمومًا استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل، وأكثر من التوبة والاستغفار: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

ومحاسبة النفس من أهمِّ المهمَّات التي يجب على المسلم المداومة عليها، لأن غياب المحاسبة للنفس نذيرُ غرق النفس في بحار الفساد، والشهوات،

والغفلات: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

وحين لا يتوقَّع الفرد أو المجتمع أو الأمة حسابًا من ربٍّ قادرٍ قاهرٍ، أو من ولي أمرٍ حاكم، أو من مجتمعٍ ضابط، أو من النفس اللوَّامة؛ فإن الجميع يعيشون كما تعيش البهائم والأنعام بلا حدٍّ ولا قيد، ولا أمرٍ ولا نهي، ولا زِمامٍ و لا خِطام: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فكلّ من لا يرجو حسابًا في الدنيا ولا في الآخرة، سيتقلَّب في أنواع الشهوات والمحرَّمات كالكفار: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٢٧-٣٠].

وكلّ إنسانٍ سوف يحُاسب يوم القيامة على القليل والكثير من الأعمال التي عملها في الدنيا وإن خفِيَت، وسيُناقش في الحساب عن مثاقيل الذر: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فمن حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحُاسَب يوم القيامة خفَّ حسابه، وحَسُنَ مُنقلَبه، ومن لم يحُاسِب نفسه دامت حسراته، وطالت في عَرَصات القيامة وقفاته، وقادته إلى النار سيئاته: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

فيا عبد الله حاسب نفسك في الرخاء، قبل حساب الشِّدة يوم القيامة، فكلّ أعمالك محفوظة ومكتوبة: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

إنَّ محاسبة النفوس في الدنيا على ما فعلت من أعظم عبادات القلوب؛ لأنها طريق استقامة القلوب، وتزكية النفوس، وهي عبادةٌ بين العبد ونفسهتُثمر الفرح بالطاعات، والشكر على الحسنات، والاستغفار والتوبة من السيئات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[الحشر:١٨].

ومن حاسب نفسه علِم أنه لم يخُلَق عبثًا، ولن يُترك سُدىً، وإنما خُلق لعبادة الله وحده، وحينئذ يجتهد في أنواع العبادات والطاعات، ويبتعد عن جميع المعاصي والسيئات، ويُسرع إلى التوبة من الذنوب، ليفوز بالجنة، وينجو من النار: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٦-١٧].

٢ - منزلة المحاسبة

محاسبة النفس من أعظم أعمال القلوب، لما فيها من تفقُّد أعمال العبد، وتفقُّد ما فيها من الإخلاص والرياء، والنقص والتقصير، والحسنات والسيئات.

ومن حاسب نفسه قبل أن يُحاسب خَفَّ يوم القيامة حسابه، وسَهُل عند السؤال جوابه، وحَسُن مُنقلبه ومآبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:١٨].

ومن لم يحاسب نفسه في حياته دامت حسراته، وطالت يوم القيامة وقفاته، وتقطّع قلبه من كثرة سيئاته: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

فحاسب نفسك يا عبد الله قبل الممات، وسارع إلى التوبة إلى الله من كل ذنب فعلته، وسارع إلى كل عمل صالح، وتفقَّد ما عملت قبل أن يصير الحساب إلى غيرك، فإن موقف الحساب بين يدي الجبَّار عظيم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء:٤٧].

فالبِدار البِدار إلى التوبة والاستغفار قبل فوات الأوان: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء:١١٠].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون:٩-١١].

٣- أقسام المحاسبة

تنقسم محاسبة النفس إلى الأقسام الآتية:

الأول: محاسبة النفس على إخلاص العمل لله، وتطهيره من الشرك والرياء، والعُجب والكِبر: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة:٥].

الثاني: محاسبة النفس على الفرائض،فإن رأى فيها نقصًا تداركه، وإن رأى فيها تأخيرًا قدمه، وإن رأى فيها إحساناً سأل ربه الثبات عليه: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾[النساء:١٠٣].

الثالث: محاسبة النفس على النوافل بأنواعها؛ من تطوعات الصلاة، والصيام والصدقات، وغيرها، هل جاء بها كلّها؟ هل قصَّر في بعضها؟ أو تركها بالكلّية؟ فمن قام بذلك فقد حقَّق مُراد الله منه، وفاز بمحبة الله له، ومعيته له.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عادى لي وَلِيّاً فقدْ آذنتهُ بالحْرْب، وَمَا تقرَّبَ إِليَ عبْدِي بِشْيءٍ أَحبَّ إِليَ مِمَّا افْتَرَضْت عليْهِ، وَمَا يَزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إِلى بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذا أَحببْتُه كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ بِهِ، وبَصره الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يَبْطِش بِهَا، ورِجلَهُ الَّتِي يمْشِي بِهَا، وَإِنْ سأَلنِي أَعْطيْتَه، ولَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَّنه، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَه مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري [1].

الرابع: محاسبة النفس على المناهي والمحرمات،فإن كان ارتكب منها شيئًا تداركه بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة:٣٩].

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤].

الخامس: محاسبة النفس على الغفلات، وتدارك ذلك بكثرة ذكر الله ﷻ، فمن ذكر الله كثيرًا أطاعه ولم يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

السادس: محاسبة النفس على حركات الجوارح، وكلام اللسان، ومشي الرجلين، وبطش اليدين، ونظر العينين، وسماع الأُذنين، فيقول لنفسه ماذا أردتِ بهذا؟ ولمن فعلتيه؟ وعلى أي وجه فعلتيه؟: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١٧﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

السابع: محاسبة النفس على الأخلاق، فإن كانت حسنةً شكر الله عليها، واستكثر منها، وتخلَّق بين الناس بها: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وإن كانت سيئة أقلع عنها، وتاب إلى الله منها، وأبدلها بأحسن منها: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

الثامن: محاسبة النفس على حسن المتابعة، وأداء الأعمال موافقةً للسنة، خالية من البدع: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ

﴿عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

التاسع: محاسبة النفس على كل عمل كان تركُه أولى من فِعله؛ لأنه أطاع فيه الهوى والنفس والشيطان، ليبادر إلى التوبة منه: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء: ١١٠].

وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، والحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهِيَ القَلْبُ» متفق عليه [(١)].

العاشر: محاسبة النفس على الخطرات والإرادات الفاسدة: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

٤ - الأسباب المعينة على محاسبة النفس

الأول: العلم بأن الله هو السميع البصير، العليم الخبير، الرقيب الشهيد، الحافظ المحيط، الذي لا يخفى عليه مثقال ذرة من أعمال العباد، الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

فمن عرف ذلك خافه واتقاه، وأكثر من التوبة والاستغفار، وبادر إلى محاسبة نفسه على ما قدمت وأخرت: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

الثاني: العلم بدقة محاسبة الله للعبد، فكل ما عمله العبد سيراه يوم القيامة، وسيحاسبه ربه على كل ذرةٍ من خيرٍ أو شرٍّ، ثم يجازيه عليها: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة:٦-٨].

وقال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء:٤٧].

فاعلم أيها العبد أن الله يقبل منك في الدنيا مثقال ذرةٍ من خير، ويوم القيامة لا يُقبل منك ملء الأرض ذهبًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١﴾ [آل عمران:٩١].

الثالث: العلم بأن الله يوم القيامة سيختِم على أفواه العصاة، ثم تنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [يس:٦٥].

الرابع: العلم بأن الله سيوقِف الناس بين الجنَّة و النَّار، ليقتصَّ لبعضهم من بعض المظالم التي كانت بينهم في الدنيا.

قَالَ النبيﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ! فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» أخرجه مسلم [1].

الخامس: العلم بمصير من عصى الله ورسوله يوم القيامة، فمن عرف ذلك أقبل على الطاعات، وابتعد من المعاصي: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٣-١٤].

السادس: صُحبة الأخيار الذين يحاسبون أنفسهم، ويُطْلِعونه على عيوب نفسه، وترك صُحبة الأشرار: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

السابع: حضور مجالس العلم والوعظ والذكر، لأنها تزيد الإيمان، وتُثمر الترقّي في الطاعات، ومحاسبة النفس على المعاصي، وتُثمر حسن الظنّ بالله ﷻ، وإساءة الظن بالنفس: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١).

الثامن: زيارة القبور، والتأمل في أحوال الموتى الذين لا يستطيعون محاسبة أنفسهم، وتدارُكِ ما فاتهم.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «أكثِرُوا ذكرَ هادِمِ اللذَّاتِ» أخرجه الترمذي وابن ماجة (١).

التاسع: الإكثار من ذكر الله ﷻ، وتدبُّر كتابه، فمن ذكر الله أحبه وأطاعه ولم يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ۝٤٣﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

العاشر: البُعد عن أماكن اللهو والغفلة، وعدم مجالسة العصاة والفسّاق، لأن ذلك يغري العبد بالمعاصي والمحرمات ويُنسي العبد محاسبة نفسه: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨﴾[الأنعام:٦٨].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

٥ - كيفية محاسبة النفس في الدنيا

يجب على المسلم أن يحاسب نفسه قبل العمل، ويحاسبها كذلك بعد العمل:

الأول: محاسبة النفس قبل العمل:

المؤمن ينبغي له أن يشترط على نفسه قدرًا من الأعمال الصالحة ليؤديها كل يوم، ويلزم نفسهُ بها، ويبدأ بالفرائض والواجبات، ثم النوافل والمستحبات، ويقول لنفسه اعملي الآن فربما تكون هذه الليلة آخر ليلةٍ من حياتك، وهذا دأب الأنبياء والمرسلين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾[الأنبياء: ٩٠].

كما يجب على المسلم أن يُلجِم نفسه عن شهواتها، ويزجرها عما يُغضب ربها من المعاصي، والمحرَّمات، وذنوب الخلوات، ويقف العبد مع نفسه ويقول لها: يا نفس إن العمر قصير، وعمري هو رأس مالي الذي أتاجر فيه مع ربي، الذي يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف،إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفة : ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)﴾[التغابن: ١٧].

ولكرمه جل جلاله يعطي الأجر العظيم بلا عمل من العبد :﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)﴾[النساء: ٤٠].

ويذكرها كذلك بأنه لابد من القدوم على الله بما عمل العبد من خيرٍ أو شرٍ، فتوبي إلى الله قبل أن تقفي للحساب يوم القيامة :﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾[البقرة: ٢٨١].

ثم قف أيها العبد، واندم على ما مضى من تضييع الأوقات في المعاصي والغفلات، وهب أن الله تعالى بمنّه قد عفى عن السيئات، أليس قد فاتك ثواب

المحسنين الذين استغلّوا تلك الأوقات بأنواع الطاعات :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[البينة:٧-٨].

فسارعي أيتها النفس إلى فعل الخيرات، لتفوزي بأعلى الدرجات، وكوني مع السابقين المقربين إن استطعتِ، فإن لم تكوني معهم كوني مع الأبرار الذين هم دونهم في الجنّة، وإن لم تدركي منازل الأبرار فليس أمامك بعد الموت إلا الخسارة، ودخول النّار :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢].

ثم قل لنفسك أن هذا يومٌ جديد، قد أنعم الله به عليّ، ولو فاتني أو توفاني لكنت أتمنى أن أرجع إليه لأعمل فيه صالحاً.

يا نفسُ الزمي الاستقامة، وسارعي إلى الطاعات قبل الممات، ولا تنظري إلى محرم، ولا تسمعي لمحرم، ولا تشتري محرمًا، و لا تفعلي محرمًا من قولٍ أو فعلٍ، فإنك سوف تُسألين عن ذلك كلّه :﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية:٢٥-٢٦].

وَقَالَ اللهﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

يا نفس لا تحتقري مسلمًا، وإنما احتقري واستقلي عملك بجانب نعم الله عليكِ.

يا نفس دعي عنك الغيبة والنميمة، والقيل والقال، و اتركي مالا يعنيك، فالله خلق لسانك لذكر الله، وتلاوة القرآن، وتعليم العلم، والدعوة إلى الله، وإصلاح ذات البين :﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل:٨-٩].

وقال ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

وتقلَّلي يا نفس من الطعام حتى تلحقي بالكرام، ولا تثقُل عليك الطاعات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة:١٧٢].

هذا كله محاسبة النفس قبل العمل.

الثاني: محاسبة النفس بعد العمل:

فينبغي للعاقل أن يكون له ساعةً عند نومه يحاسب بها نفسه على جميع أقواله وأعماله، وعلى جميع حركاته وسكناته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:١٨].

فيحاسب العبد نفسه، ويسألها ماذا فعل من الأعمال الصالحة؟ وماذا ترك منها؟ وكم أتم من الأعمال الصالحة التي ألزم نفسه بها في البداية؟، فإن وجد أعمالًا صالحةً فليحمد الله على ذلك، وليفتش فيها؛ هل كانت كلّها خالصةً لله ﷻ؟ وكلّها على السُّنَّة؟ وهل هذا منتهى اجتهاده؟ أم أنه يستطيع الإتيان بأكثر من ذلك؟! .

وهل خلا عمله من الغفلة والرياء، والعجب والكبر، والمَنَّ به على الله، أو على خلقه؟ أو طلب الدنيا ونحو ذلك من الآفات، ومحبطات الأعمال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

وإن وجد العبد في أعماله السابقة أنواعاً من المعاصي، فليبادر بالندم على نقصان رأس ماله بدلًا من زيادته، وليسارع إلى التوبة إلى ربه، وليعزم على فعل أعمالٍ صالحة تمحو سيئاته الماضية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود:١١٤].

وليتفكر كيف أغواه الشيطان حتى وقع في تلك المعاصي، وليستعذ بالله منه، ومن شره: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [الناس:١-٦].

وقل يا نفس لِمَا تجرّأتي على المعاصي؟ أما تخافين الله!؟ أتطيقين عذاب الله!؟ أتصبرين على حرّ النّار؟: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار:٦-٨].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾ [النساء:٥٦].

ثم يحاسب العبد نفسه على ما قاله لسانه، وما فعلته جوارحه، وما خطر على قلبه من الإرادات الفاسدة: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

فالعاقل يحاسب نفسه، ماذا فعل اليوم؟ وماذا قال اليوم؟ وبماذا تكلم اليوم؟ وفيما انشغل فكره؟ وماذا رأت عينه؟ وماذا سمعت أذنه؟ وأين صرف ماله؟ وماذا فعل في وقته؟ وماذا كسبت يده؟ وأين مشت قدمه، إلى مساجد الله أم إلى

حرمات الله؟ إلى الدعوة إلى الله؛ أم إلى تحقيق مُراد النفس من أنواع الشهوات؟ فما أشد هذا الحساب للنفس، وما أحسنه حين يَصْدق العبد في محاسبة نفسه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال الله عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

٦ - أوقات محاسبة النفس

أوقات محاسبة النفس درجات:

الأولى: أن يحاسب العبد نفسه ليلًا على عمل النهار، ويحاسبها نهارًا على عمل الليل، ماذا فعلت في النهار؟ وماذا فعلت في الليل؟ هل ضاع نهارك في اللهو و اللعب؟ وهل ضاع ليلك في النوم والغفلة؟، وهذه أعلى أنواع المحاسبة .

الثانية: أن يحاسب العبد نفسه في كل يوم وليلة مرة،فإذا أخذ مضجعه ليلًا حاسب نفسه،ماذا فعل في يومه وليلته من الطاعات؟ وماذا فعل من المعاصي؟ .

الثالثة: أن يحاسب العبد نفسه في الأسبوع مرتين الاثنين والخميس،وهما وقت عرض الأعمال على الله ﷻ.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ : «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ في كلِّ يَومَ الاثْنَيْنِ، ويَومَ الخَمِيسِ، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا، إلَّا رَجُلًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ، فيُقالُ: أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا» أخرجه مسلم (١).

فاستحضر يا عبد الله عرض الأعمال على الجبّار، وفتش فيها قبل أن تُعرض على الله العليم القدير.

الرابعة: أن يحاسب العبد نفسه كل شهر مرة،ماذا فعل من الطاعات؟ وماذا فعل من المعاصي؟، ليستدرك نفسه،و يتوب من ذنبه.

الخامسة: المحاسبة كل سَنة مرة،وهذه أدنى أنواع المحاسبة وأقلّها .

وكلما كان العبد بربه أعرف كان منه أخوف، وسارع إلى طاعته، و فرَّ من معصيته، وأكثر من محاسبة نفسه، وأكثر من الاستغفار والتوبة إلى ربه :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥) .

٧- ثمرات محاسبة النفس

الأولى: محاسبة النفس تُطْلع العبد على عيوب نفسه، ونقائصها، وزلّاتها، ومن اطّلع على عيوب نفسه تدارك نفسه، وأزال تلك العيوب، وتاب إلى ربه، واستغفر من ذنبه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة:٣٩].

الثانية: بمحاسبة العبد نفسه يتعرف على حقوق الله عليه، وعظيم فضله وإحسانه إليه، فيقارن عظمة نِعم الله عليه، وتفريطه في جنب الله ﷻ، فيكون ذلك رادعًا له عن فعل السيئات والمعاصي، والمسارعة إلى الخيرات والفضائل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾[المؤمنون:٦٠-٦١].

الثالثة: كثرة المحاسبة تزكّي النفس، وتطهرها من الذنوب، وتلزمها بفعل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[الشمس:٧-١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾[الأعلى:١٤-١٥].

الرابعة: بالمحاسبة الدائمة يعرف المسلم الحقوق الواجبة لله ﷻ، والحقوق الواجبة للناس، فيؤدي هذه وهذه كما وردت شرعًا: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

الخامسة: بالمحاسبة الدائمة يحيا قلب العبد، وينمو فيه الشعور بالمسؤولية، ويزن الأعمال والتصرفات بميزان الشرع، والبعد عن كل ما يخالف الشرع: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[الحشر:٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ مِنه، فَهو رَدٌّ» متفق عليه [1].

السادسة: أن المحاسبة تُثمر كثرة التوبة والاستغفار، فمن حاسب نفسه رأى

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

تقصيره في جنب الله، فبادر بالتوبة من ذنوبه :﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾[النصر:٣].

السابعة: أن المحاسبة تُثمر دخول الجنة، ورؤية وجه الرب، وتحصيل رضوانه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾البينة: ٧ – ٨

الثامنة: المحاسبة تُثمر للعبد خِفَّة الحساب يوم القيامة، ودخول الجنة قبل غيره، لأنه حاسب نفسه في الدنيا فخفَّ عليه الحساب يوم القيامة.

التاسعة: المحاسبة الدائمة تذكر العبد بربه، وأنه قريبٌ منه، مطلعٌ عليه، فيستحي من ربه أن يعصيه وهو يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويخاف من عقوبته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك:١٢].

العاشرة: المحاسبة تذكّر المسلم بالهدف الذي خُلق من أجله، وهو عبادة الله وحده، وتُعرِّفه أنه لم يخُلَق عبثًا، بل خُلِق لأمر عظيم، وهو عبادة الله وحده:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[المؤمنون:١١٥].

وذلك كله يُثمر للعبد الزهد في الدنيا، والحرص على الطاعات، والبعد عن المعاصي، والفوز بالدرجات العلا في الجنة :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢-٤].

اللهم آتِ نَفوسنا تَقْوَاها، وَزَكِّها أَنْتَ خيرُ مَنْ زَكَّاها، أَنْتَ وليُّها وَموْلاَها .

اللَّهُمَّ اهْدِنا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَولَّنا فِيمَنْ تَولَّيْتَ، وَبارِكْ لنا فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنا بِرحمْتِكَ شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:٢٠١].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السادسة والأربعون

عبادة المجاهدة

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه مجاهدة النفس.

الثاني: أنواع المجاهدة.

الثالث: تفاوت الناس في المجاهدة.

الرابع: الأسباب المعينة على مجاهدة النفس.

الخامس: ثمرات المجاهدة.

العبادة السادسة والأربعون

عبادة المجاهدة

١ - فقه مجاهدة النفس

مجاهدة النفس من العبادات القلبية العظيمة، وهي فطام النفس عن الهوى، لتستقيم على الهدى، وتفوز بدخول الجنة، وتنجو من النار: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

وحقيقة المجاهدة حمل النفس على الاستقامة، لتفعل الأوامر الشرعية، وتجتنب المناهي الشرعية، بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

ومجاهدة النفس على امتثال أوامر الله من أعظم عبادات القلوب، لما تثمره من حسن الاستقامة، وكثرة التوبة والاستغفار، والترقي في الأعمال الصالحة، والفوز بأعلى الدرجات في الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

ومن زيَّن ظاهره بالمجاهدة زيَّن الله سِرَّه بالمشاهدة، فصار يعبد الله بصفة الإحسان؛ والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين خلقه، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والنفوس ميالة إلى حب الشهوات، فلا بد من مجاهدتها، لتستقيم على أوامر الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ

﴿مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:٩-١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

ومجاهدة النفس من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم وآثار الإيمان بأسماء اللهالقدوس، السلام، الرقيب، الشهيد، العليم، الخبير، فمن سلِم من نجاسات المعاصي، وتطهر من خبث السيئات، وبذل جهده على نفسه بالاستقامة، وعلى غيره بالدعوة، فقد أصبح طيبًا صالحًا لِأَنْ يدخله الله الجنة دار السلام، ودار السلامة من كل شر كما قال الله عن المؤمنين: ﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام:١٢٧].

وقال الله ﷻ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر:٧٣-٧٤].

فيا سعادة من جاهد نفسه، لتستقيم على أوامر الله، وتبتعد عن المعاصي والمنكرات، واجتهدَ على العصاة ليهتدوا، واجتهدَ على الكفار ليؤمنوا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

ومجاهدة النفس عبادة بين العبد وربه، ونفعها عائد على من جاهد نفسه لتستقيم على أوامر الله عز وجل: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت:٦].

والمؤمن يجاهد نفسه على امتثال أوامر الله، واجتناب معاصيه، ليفوز برضوانه وجنته، وينجو من عقابه وعذابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

٢- أنواع المجاهدة

أنواع المجاهدة أربعة:

جهاد النفس .. وجهاد الشيطان .. وجهاد العصاة .. وجهاد الكفار

الأول: جهاد النفس:

وهو أعظم أنواع الجهاد، وهو حمل النفس على فعل الخيرات والطاعات، وزجرها عن فعل المعاصي والمحرمات، ابتغاء مرضات الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

ثم مجاهدة النفس على تعلم العلم النافع، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه .

ثم مجاهدة النفس على العمل بهذا العلم العظيم، وإقامة الدنيا بشرع الله، ثم مجاهدة النفس في دعوة الخلق إلى هذا الحق الذي جاء به الرسول ﷺ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إبراهيم:٥٢].

ثم مجاهدة النفس على الصبر على كل ذلك، وتحمّل كل أذىً في سبيل الله، وتحمل كل أذى في سبيل تحقيق ذلك: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:١-٣].

فإذا انتصر العبد على نفسه نصره الله على غيره: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران:١٦٠].

والعبودية التي يريدها الله هي عبودية القلب، وعبودية الجوارح تبعٌ لها، وثمرةٌ لها، ودليلٌ عليها، فمن طلب الدنيا والأموال وفق شرع الله ورسوله

ﷺ،واستعمل ذلك فيما يحبه الله ورسوله ﷺ،واستعان بذلك على طاعة الله،فهذا عبدٌ لله لا لهواه، واليد العليا خير من اليد السفلى، وفي كل خير :﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾[الأعراف:٣٢].

ومن طلب الدنيا وزينتها من الأموال والشهوات، وجمعها على غير هدى من الله، ولم يبالِ أهي من حلالٍ أو حرام، وصرفها فيما يكره الله، فهذا عبدٌ لهواه لا لربه، قد استعبدته الدنيا، وتعلق قلبه بها من دون الله، فهو عبدٌ لهواه لا لمولاه، لأن عبد الدنيا والمال والشهوات لايهوى شيئًا إلا فعله، سواءً كان حلالًا أو حرامًا:﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ [الفرقان:٤٣-٤٤].

وهوى النفس أعظمُ صنمٍ معبودٍ من دون الله، ومَن وقعت نفسه في هوى شيءٍ وعِشقه فإنه لا يثنيه عن مراده عقوبة الدنيا والآخرة، ولا يثنيه ألم المعصية الذي يجدها في قلبه بعد المعصية، ولا يثنيه عن فعل المعصية ما يصيبه من عقوبةٍ في الدنيا، ولا يثنيه عن فعل المعصية مايُوعظ به من عذاب القبر، ولا نارِ الآخرة، ولا غضب الرب، بل لا يزيدهُ ذلك إلا إقدامًا وحرصًا على الظَفَرِ بحاجته ولو كانت محرمة:﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾[الجاثية:٢٣].

وأصول الهوى ثلاثة:

حب الأموال .. وحب النساء .. وحب المناصب

وكل هذه أصنامٌ معبودةٌ من دون الله، إذا تعلق القلب بها من دون الله ﷻ:﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ

وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾ [مريم: ٥٩-٦١].

والمحبوسُ من حُبسَ قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، والحرّ من استغنى بالله عن غيره، وتعلّق قلبه بالله وحده، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

ومن غلبه هواه لم يقدر على الرحيل إلى مولاه، وكيف يرحل وهو مقيدٌ بشهواته.

فانظر يا عبد الله: هل أنت الذي تقود نفسك بشرع الله؟ أم الذي يقودها هواها على غير هدىً من الله؟ فصارت تعبد هواها من دون مولاها: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

فاجتهد على نفسك لتكون أحسن الناس توحيدًا، وأصدقهم إيمانًا، وأفضلهم تقوى، وأحسنهم أعمالًا، وأجملهم أخلاقًا.

واستعن بمولاك على ما تريد، وتوكل على من يفعل ما يريد، وفوّض أمرك إلى من بيدهِ مقاليد الأمور: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

وقال النبي ﷺ: " اللَّهُمَ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ". أخرجه مسلم (١).

الثاني: جهاد الشيطان:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

الشيطان عدو لجميع بني آدم كما قال الله عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

والشيطان يوسوس إلى النفسِ بالشبهات والشهوات، فيوسوس إلى العبد بالشهوات، ويزيّنها في قلبه، والنفس مفطورةٌ على حب الشهوات ابتلاءً من الله، كما قال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

والشهواتُ البهيمية لا يتمّ دفعها إلا بالصبر، وسبيل ذلك أن يقول العبد لنفسه: إنما العمر أيام قليلة، فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، والشهوات لذة قصيرة تعقبها حسرة طويلة، وصبر ساعة أهون من عذابِ كلِّ ساعة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

والنفسُ تستجيب لمثل هذا الوعظ والتذكير: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وأما مجاهدة وساوس الشيطان في دفع الشبهات، فالشيطان يأتي للعبد فيشكِّكه في الله، وفي رحمة الله، وفي مغفرة الله، ويشككه في الرسول ﷺ، وصِدقه، ويشككه في المؤمنين، وفي إخلاصهم، ويشككه في الوعد والوعيد، والجنة والنار: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

ولا ينجو العبد من وساوس الشيطان بالشهوات والشبهات إلا بالصبر واليقين، ولا يحصل اليقين إلا بالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه،

والعلم بوعده ووعيده: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

وبالصبر واليقين ينال العبد الإمامة في الدين: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

وأكثر ما يوسوس الشيطان للمسلم في صلاته، لأن الصلاة صلة بين المسلم وربه، لكن الشيطان لا يوسوس لأهل الكتاب والمشركين في صلاتهم؛ لأن صلاتهم صلة بينهم وبين الشيطان، فلا يقطعها الشيطان عليهم، وهم يتصلون به، ويعبدونه من دون الله: ﴿۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

والفرق بين وسواس الشيطان، وهوى النفس .

أن الشيطان يريد من العبد أن يكون عاصياً لله بأي نوع من أنواع المعاصي، فهو لا يريد معصيةً بعينها، بل يريد من العبد أن ينزل من الطاعات إلى المعاصي، سواءً كانت معصيةً قلبية أو قولية أو فعلية؛ فإذا جاهدته على ترك معصية معينة ثم تركتها، زيَّن لك معصيةً أخرى، وهكذا ثالثة: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء: ٣٨].

أما معصية النفس، فقد تهوى النفس معصيةً بعينها، وتصرّ عليها، وتعتادها لدرجة أن الشيطان لا يحتاج إلى أن يزين للنفس هذه المعصية، لأن النفس اعتادتها، وتتألم إذا فارقتها: ﴿۞ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

وأعظم ما يدعو إليه الشيطان سبعة أمورٍ على الترتيب:

الأول: الكفر والشرك والنفاق، فيدعو الإنسان إلى الكفر بالله العظيم، والشرك بالله بفعل ما يَنقض الإسلام، فيدعوه إلى الشرك بالله بتوجيه شيءٍ من العبادة لغير الله، أو يدعوه إلى النفاق، أو الشك في الله، وفي قدرته، أو الاعتراض على قدره: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء:١١٩-١٢١].

الثاني: البدعة، فيدعوك الشيطان إذا عجز عنك لتكفر أو تشرك بالله إلى البدعة، بأن تعتقد في صفات الله ما لا يليق به، أو تخترع عبادةً لم يأت بها الشرع، وقلّما يتوب صاحب البدعة، لاعتقاده أنها قُربة يُتقرّب بها إلى الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

فإن اعتصمتَ بالكتابِ والسّنّة، وعجز عنك الشيطان دعاك إلى غيرها.

الثالث: أن يدعوك الشيطان إلى فعل الكبائر، مثلاالقتلِ، والزنا، وعقوق الوالدين، وغيرها من الكبائر: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور:٢١].

فإن لم تفعل ذلك دعاك إلى غيرها.

الرابع: أن يزيِّن لك الشيطان فعل الصغائر، ويزيّنها في قلبك حتى تفعلها، وتُكثِر منها، فإن لم تفعل ذلك أشغلك عن الطاعات بأنواع المباحات.

الخامس: أن يشغلك الشيطان بالمباحات حتى يضيع عليك الأوقات التي هي رأس مالِ الطاعات: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف:٣٧].

فإن عجز عنك، وأبطلتَ كيده، فلا تظنّ أنه سيتركك.

السادس: أن يشغلك الشيطان بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، فإذا جلست بعد العشاء لطلب العلم أمرك هو بقيام الليل، وقيام الليل أقل من طلب العلم ثوابًا، أو أشغلك بصلاة التطوع عن تعليم الناس أمور دينهم، فإن أيسَ منك أشغلك بغير ذلك.

السابع: أن يَؤُزَّالشيطانعليك مَنْ حولك بأنواع المشاكل، وغرضه من ذلك أن يضيع وقتك، ويوهن عزمك، ويشغل فكرك، ويقطع عليك الطريق إلى ربك .

وهذه هي خطوات الشيطان لجر الناس إلى الكفر وأنواع المعاصي، ثم إلى نار جهنم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة:٢٠٨].

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾[فاطر:٦].

والواجب على المسلم أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في بداية كلّ عمل، وأن يستعين بالله، فإن الله يعين العبد عليه، ويجعل كيده ضعيفًا، لأن الله لم يجعل للشيطان سبيلًا على من آمن بالله، وتوكل عليه: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ ﴾[النحل:٩٩-١٠٠].

الثالث :جهاد العصاة، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٤].

فتعظ العُصاة، وتُرغبّهم في الطاعات، وتُبيّن لهم ثوابها، وتحذّرهم من المعاصي، وتبيّن لهم عقوباتها: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٣-١٤].

والأمر بالمعروف عبادة، والنهي عن المنكر عبادة .

والنهي عن المنكر يكون بعد الأمر بالمعروف، ومراتب الإنكار ثلاث:

الأولى: الإنكار باليد لمن لك ولاية عليه، فالحاكم له ولاية على رعيته، والأب له ولاية على أولاده، وصاحب الشركة له ولاية على من تحت يده .

قال النبي ﷺ:" كلُّكم راعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤولٌ عنْ رعيَّتِه؛ الإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عنْرعيَّتِه، والرجلُ راعٍ في أهلِه وهو مسؤولٌ عنْ رعيَّتِه، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها وهي مسؤولةٌ عنْ رعيَّتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيدِه وهو مسؤولٌ عن رعيِّتِه، والرجل راعٍ في مالِ أبيه وهو مسؤولٌ عنْ رعيِّتِه، فكلُّكم راعٍ مسؤولٌ عنْ رعيتِه ". متفق عليه (١).

الثانية: الإنكار باللسان حين لا يكون لك ولاية على من تأمرهم وتنصحهم .

قال النبيﷺ:" الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمةِ المسلمينَ وعامتِهِم ". أخرجه مسلم (٢).

الثالثة: الإنكار بالقلب فقط، وهذه أدنى المراتب إذا كنت لا تستطيع الإنكار باللسان، وهذا أضعف الإيمان.

قال النبي ﷺ:" من رأى منكم منكرًا فليُغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ". أخرجه مسلم (٣).

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٥٤) ومسلم برقم (١٨٢٩).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٥٥) .

(٣)أخرجه مسلم برقم (٤٣) .

وعبادة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هي سبب خيرية هذه الأمة كما قال سبحانه:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران: ١١٠].

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أمانٌ لهذه الأمة من العذاب والعقوبات كما قال سبحانه :﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[آل عمران:١٠٤-١٠٥].

الرابع :جهاد الكفار

ولجهاد الكفار أربع مراتب:

الأولى: جهاد بالقلب، بأن نُبغضهم بقلوبنا، ونُبغض كفرهم، ولا نَودَّهم، ولا نتشبَّه بهم.

الثانية: جهاد باللّسان،بأن نبيّن لهم محاسن الإسلام وفضائله، وندعوهم إلى الله، حتى يحبوا ربهم ويؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له، كما قال سبحانه:﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥].

وهذا أعظم أنواع الجهاد لما فيه من هداية الناس إلى الحق:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

وهو وظيفة الأمة كلها رجالًا ونساءً، كما قال سبحانه:﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف:١٠٨].

وهو جهاد الأنبياء والرسل كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥١-٥٢].

وهو جهاد هذه الأمة كلها إلى يوم القيامة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الثالثة: الجهاد بالمال لنشر الإسلام، وتأليف القلوب على الإيمان: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [التوبة: ٨٨].

الرابعة: الجهاد بالنفس، وهو مجاهدة الكفار، لتكون كلمة الله هي العليا، وهو ذروة سنام الإسلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣].

وسُئل النبي ﷺ: " أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور ". متفق عليه [١].

وفريضة الجهاد في سبيل الله وهو الغزو لا يسقط عن أحد أبدًا، حتى غير المستطيع لابد أن يَعقِدَ العزم على الغزو في سبيل الله حين يستطيع.

قال النبي ﷺ: " مَن ماتَ ولم يغزُ ولم يحدِّث نَفسَهُ بالغَزوِ ماتَ علَى شُعبةٍ من نفاقٍ ". أخرجه مسلم [٢].

فالجهاد في الإسلام نوعان:

الأول: جهادٌ حسنٌ لذاته، وهو بذل الجهد لدعوة الناس إلى الإسلام، وهذا هو الأصل الأول، وهو الجهاد الأكبر، وهو الأفضل لما فيه من هداية الناس إلى الحق: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦) ومسلم برقم (٨٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩١٠).

وجهادٌ حسنٌ لغيره، وهو القتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وصد عدوان المعتدين: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [البقرة: ١٩٣].

وجهاد الدعوة هو الجهاد الأعظم، فيجب أن يكون له كل الوقت كما قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [الفرقان: ٥١-٥٢].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

والمقاتل في سبيل الله إذا استشهد فهو حيّ وإن كان مقتولًا كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

فكن يا عبد الله من المجاهدين في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ونشر دين الله في العالم بمالك ونفسك ووقتك: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

فأصحاب النبي ﷺ سلّموا أجسادهم وقلوبهم لربهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم لنشر دين الله، وتركوا بلادهم وأهلهم وشهواتهم، من أجل نصرة دين الله، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وسلّم لهم العالم، ونصرهم على من عاداهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

٣- تفاوت الناس في المجاهدة

يتفاوت الناس في مجاهدة النفس حسب إيمانهم،وعلمهم،وتقواهم .

والنفوس ثلاثة أنواع:

النفس المطمئنة .. والنفس الأمارة بالسوء .. والنفس اللّوامة.

الأولى: النفس المطمئنة، وهي النفس التي عرفت الله فأحبته، وآمنت به، واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، وعبدته بكمال الحب والتعظيم والذلّ له: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد:٢٨-٢٩].

وهذه النفس أحسن الأنفس؛ لأنها تحب الله، وتشتاق إليه، وتخشاه وتتقيه، وتخضع له ولأوامره، وهذه النفس يحبها الله، ويدخلها الجنة يوم القيامة، حيث يقال لها يوم القيامة:﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾[الفجر:٢٧-٣٠].

الثانية: النفس الأمَّارة بالسوء، وهذه النفس مستقرّ الشرّ والقبائح والرذائل، وصاحبها لا يتوقف عن الفجور في كل وقت:﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾ [القيامة:٥].

وهذه النفس أمّارة بكل شر، وليس لها هَمٌّ إلا قضاء شهواتها، واتباع هواها:﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾[يوسف:٥٣].

ومثلها النفس الغافلة، التي غفلت عن ربها ودينه واليوم الآخر، فلا تدري لمَ خلقت، ولا إلى أين تصير بعد الموت، وهذه النفس مشغولة بهواها عن عبادة مولاها:﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩].

والنفس الأمارة بالسوء لا تعرف معروفًا، ولا تنكر منكرًا، وهي أقسى من الحجارة، وعلاج قسوة القلبهو رؤية الموتى، وزيارة القبور، والجلوس عند من يحتضر، ورؤية المرضى، ونحوهم من أهلِ الابتلاء.

الثالثة: النفس اللوامة، وهي التي تشعر بالتقصير في حق الله، وتلوم صاحبها على قلة الطاعات، وعلى كثرة المعاصي، وهذه النفس حية، لكنها تحتاج إلى من يذكِّرها بالله واليوم الآخر، حتى تستكثر من الطاعات، وتجتنب المعاصي: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾[الشمس:٧-١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)﴾[الأعلى:١٤-١٥].

فيجب على العبد أن يحاسب نفسه كل يوم، ويلومها على التقصير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾[الحشر:١٨].

فنلومها على ما قالت ألسنتُنا من غيبةٍ ونميمة، وظلم وكذب، واستهزاءٍ وسخرية، وسِبَابٍ وفسوق: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)﴾ [القيامة:١-٢].

وقال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: " وهل يُكَّب الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم ". أخرجه أحمد والترمذي(١).

ونلوم أنفسنا ونمنعها من إطلاق البصر في المحرمات، ونمنع أنفسنا من شبهات المكاسب، وظلم الخلق، وأكل الحقوق، وقطع الرحم، فذلك كله مع التكرار ينقل النفس اللوامة إلى أعمال النفس المطمئنة التي يحبها الله : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾[العنكبوت:٦٩].

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٢٠١٦) والترمذي برقم (٢٦١٦).

والإنسان يتقلب في حياته بين هذه الأنفس الثلاث، وهذه الدرجات، حسب الهدى والهوى، وحسب مجاهدته لنفسه، لأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويكون له إقبالٌ وإدبار، وقوة وضعف، وشِرَةٌ وفترة، وهمةٌ وغفلة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وأعظم صنمٌ معبود من دون الله هو هوى النفس: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وعلامة عبودية القلب للهوىأنه إذا أُعطي ما يَهواهُ رضي، وإن مُنِعَ ذلك سخط، فرضاه وسخطه لهواه لا لله مولاه.

أما المؤمن فيحبُّ هدى ربه، ويعمل بموجبه، ويرضى بما يرضى به ربه، ويسخط لما يُسخط ربه، ويحب ما يحبه الله ورسوله، ويبغض ما يبغضه الله ورسوله، ويطيع الله ورسوله، ويعصي نفسه وهواه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

وكلُ ما عُصِيَ اللهّ ورسوله به من الذنوب فسببه الجهل بالله وأوامره، وتقديم الهوى على أوامر الله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فكن عبدًا لله الواحد الأحد، ولا تكن عبدًا لهواك، فإن الهوى يهوي بصاحبه في جهنم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

فالنفوس تتفاوت في المجاهدة والأعمال الصالحة بحسب العلم والجهل،

وبحسب الإيمان والكفر، وبحسب اليقين والشك، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

والدنيا دارُ الجهد والمجاهدة، ودارُ السباق والمسارعة إلى كل عمل صالح، ابتغاء مرضات الله: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فجاهد نفسك على القيام بالعبادة، والدعوة، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

٤ - الأسباب المعينة على مجاهدة النفس

الأول: الاستعانة بالله ﷻ، فمن استعان بالله أعانه على امتثالِ أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر:٦٥].

الثاني: دعاء الله ﷻ أن يوفقه لفهم دينه، والعمل بشرعه، والثبات عليه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾[البقرة:١٨٦].

الثالث: معرفة فضائل الأعمال الصالحة فرضها ونفلها، ومعرفة عقوبات المعاصي الكبائر والصغائر: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾[النساء:١٣-١٤].

الرابع: الإكثار من ذكر الله ﷻ، فمن أكثر من ذكر الله أحبه، وخافه ورجاه، وأطاعه ولم يعصه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

الخامس: تَذَكّر الجنة وما فيها من النعيم لمن أطاع الله ورسوله، وتذكّر النار وما فيها من العذاب لمن عصى الله ورسوله كما قال الله سبحانه عن ثواب المؤمنين: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ

فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال الله ﷻ عن وعيد الكفار والمنافقين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨].

السادس: تذكر الموت وسكراته، وما بعده من الأهوال والحساب: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

السابع: ملازمة البيئات الإيمانية، ومجالس الذكر والوعظ والعلم، فمن لزم ذلك استنار قلبه، وزاد إيمانه، وحسنت عبادته: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

الثامن: الانقطاع عن أهل الفسوق والمعاصي والمنكرات، فلحصول الهداية لابد أن أكون مع المؤمنين الذاكرين، وللثبات على الهداية لا بد من الانقطاع عن بيئة العصاة والغافلين: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

التاسع: الحرص على أداء الفرائض في أوقاتها، وأداء النوافل بأنواعها، من صلاة، أو صدقة، أو صيام، أو غيرها من الطاعات والقربات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ اللهَّ قالَ: مَن عادَى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقرَّبَ إليَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إليَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ". أخرجه البخاري [1].

العاشر: الإكثار من التوبة والاستغفار في كل وقت، وصِدق التوكل على الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[الطلاق:٢-٣].

الحادي عشر: مطالعة سيرة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وسيرة أتباعهم المؤمنين، وما هم عليه من حسن الاستقامة، وقوة المجاهدة، لنجاهد أنفسنا على سلوك مسلكهم، واتباع طريقتهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾[الأنعام:٩٠].

الثاني عشر: التّسلّح بسلاح الصبر، فمن صبر على جهاد نفسه وهواه وشيطانه، غلبهم وانتصر عليهم، فيصبر على فعل المأمورات الشرعية، ويصبر على اجتناب المناهي الشرعية، ويصبر على أقدار الله المؤلمة، وتحمُّل الأذى في سبيل الله، وبذلك ينال الأجور العظيمة التي لأحدلها،كما قال سبحانه﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾[الزمر: ١٠].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

فهنيئاً لكل مؤمن صابر: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

الثالث عشر: اتخاذ الشيطان عدوًا للإنسان: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ [فاطر: ٦].

الرابع عشر: عدم رضا المسلم عن نفسه، وسوء الظنّ بالنفس مهما اجتهدت في الطاعات: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

الخامس عشر: الحرص على متابعة النبي ﷺ في أقواله وأعماله وأخلاقه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٥ - ثمرات المجاهدة

الأولى: الفوز بمعية الله، والهداية إلى سبيل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

الثانية: الثبات على الحق، فمن جاهد نفسه على امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ ثبته الله أمام الفتن، وحفظه من الزيغ والزلل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق:٢-٣].

الثالثة: طمأنينة القلب، والرضا عن الرب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

الرابعة: الفوز بمحبة الله لأهل الاستقامة، الذين يحافظون على الفرائض والنوافل في ليلهم ونهارهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

الخامسة: قهر النفس، وتزكيتها بالأعمال الصالحة، وتطهيرها من الذنوب والمعاصي: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

السادسة: الترقي في درجات الاستقامة، والوصول إلى درجات الصديقين والشهداء والصالحين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

السابعة: الفوز بمعية الله وحفظه وتأييده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٨].

الثامنة: فِرار الشيطان من المجاهدين في سبيل الله، فمن انتصر على عدوه الداخلي وهي نفسه، نصره الله على عدوه الخارجي وهو الشيطان وأولياؤه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل:٩٩-١٠٠].

التاسعة: حصول السعادة للعبد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ۝٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

العاشرة: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، يوم القيامة: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران:١٨٥].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك.

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السابعة والأربعون

عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه التفكر في مخلوقات الله ﷻ.

الثاني : أنواع التفكر في مخلوقات الله ﷻ.

الثالث : ثمرات التفكر .

الرابع : تفاوت الناس في التفكر.

العبادة السابعة والأربعون

عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ

١ - فقه التفكر في مخلوقات الله ﷻ

التفكر في مخلوقات الله ﷻ وآياته من أعظم العبادات القلبية التي تزيد الإيمان في القلب، وتثمر تعظيم الرب و محبته، وحمده وشكره، وعبادته بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وعبادة النظر والتفكر هي إعمال العقل في التفكر في عظمة مخلوقات الله، من سماء وأرض، وسهول وجبال، وبحار وأنهار، وجماد ونبات، وإنسان وحيوان . والتفكر في عظمة آيات الله من ليل ونهار، وحر وبرد، وحياة وموت، وتصريف وتدبير، والتفكر في عظمة الله وسعة رحمته، وعظمة ملكه، وعظمة نعمه، ونحو ذلك من المخلوقات والآيات: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

والنظر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله العليم، الخبير، الحكيم، الخالق، البارئ، المصور: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

ومن تفكر في مخلوقات الله ﷻ،وتدبر آيات الله، رأى عظمة قدرة الله، وعظمة ملكه، وعظمة خزائنه، فزاد إيمانه بعظمة من يعبد، وعظُم يقينه، وزاد حبه لربه، فاشتغل بذكر الله، وشكره، وحسن عبادته :﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق:٦-٨].

وعبادة التفكر من أعظم العبادات القلبية، وثمراتها ليس لها حد، والعبد مأمور بهذه العبادة في كل وقت، في الليل والنهار، في حال الصحة والمرض، في حال القوة والضعف، في حال الشدة والرخاء، في حال الغنى والفقر :﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وكان النَّبيُّ ﷺيقرأ هذه الآيات إلى أخر السورة إذا قام لصلاة التهجد في الليل، ويتلو هذه الآيات العظيمة قبل قيام الليل، لكي يدخل في صلاة التهجد بقلب حاضر خاشع، متفكر في عظمة من يقف بين يديه.

وكان ﷺيقول عنها: « وَيْلٌ لِمَن قَرَأَهَا وَلَمَ يَتَفَكَّرْ فِيهَا » أخرجه ابن حبان(١).

النظر، والتفكر، والتدبر، والخشوع، والخشية، هو روح الصلاة، وجسدها القيام والقعود، والركوع والسجود :﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[المؤمنون:١-٣].

وركعتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه لاه في أودية أماني الدنيا :﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[الماعون:٤-٧].

إن عبادة التفكر في هذا الكون العظيم، وما فيه من أنواع المخلوقات العلوية

---

(١) **صحيح**، أخرجه ابن حبان برقم (٦٢٠).

والسفلية، الكبيرة والصغيرة، الساكنة والمتحركة، من أعظم عبادات القلوب التي تملأ القلب بالتوحيد والإيمان، وحب الله وتمجيده، والخوف منه، والرجاء له، والطمع في ثوابه، وحمده وشكره، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والتسليم لأمره: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس:١٠١].

عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ هي أعظم وأسهل وأقرب الطرق لمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن تفكر في هذه المخلوقات العظيمة تجاوزها إلى خالقها، ومن نظر في صور المخلوقات المختلفة تجاوزها إلى المصور، ومن تفكر في عظمة إبداع هذه المخلوقات تجاوزها إلى البديع الذي أبدعها، فآمن به، وانقاد لأمره، ووقف ببابه، وعبده وحده لا شريك له، وقام بين يديه بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام:١٠١-١٠٣].

وعبادة النظر و التفكر في مخلوقات الله ﷻ،وآياته العظيمة، تثمر للعبد كمال التوحيد لله، وزيادة الإيمان، وكمال اليقين، والإكثار من ذكر الله وتسبيحه، وحمده وشكره، وحسن عبادته بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ ﴾[ق:٦-٨].

والعقل آلة الفكر والتدبر، كما أن العين آلة البصر، والأُذن آلة السمع، واللسان آلة الكلام، والقلب آلة الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والحب والبغض، والجوارح آلة الأعمال .

فمن أوصله فكره ونظره في مخلوقات الله إلى مولاه، فآمن بالله، واتبع هداه، سار إلى ربه على صراط مستقيم، فوصل إلى رضوان الله و الجنة :﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦].

ومن لم يستعمل فكره وعقله في التفكر في مخلوقات الله ﷻ، واشتغل بشهوات نفسه عن تحقيق مراد ربه، وعطل ما وهبه الله من عقل وفكر عن النظر في ملكوت الله العظيم، فذلك أضل من الأنعام، ومصيره إلى جهنم في دار القرار : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩].

وأكثر الخلق غافلون عن عبادة التفكر والنظر في مخلوقات الله ﷻ، والتي أمر الله بها جميع بني آدم بقوله :﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[يونس:١٠١].

فالخلق يدل على الخالق، والصور تدل على المصور، والأرزاق تدل على الرازق، والرحمة تدل على الرحمن، والإحكام يدل على الحكيم... وهكذا .

وأنكر سبحانه على من عطل عبادة النظر والتفكر في مخلوقات الله وآياته بقوله : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق:٦-٨].

وقوله سبحانه :﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ

﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:١٧-٢٦].

وأعظم شيء يزيد الإيمان في القلب؛ هو عبادة التفكر التي تزيد الإيمان، والأعمال الصالحة.

وأعظم شيء في الدين بعد الإيمان هو الدعوة إلى الله التي تزيد مساحة الإسلام، وعدد المسلمين في العالم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقد صرف الشيطان أكثر الخلق عن عبادة النظر والتفكر في مخلوقات الله، التي تزيد الإيمان، إلى إعمال الفكر في الصناعات البشرية التي تُشغل العبد عن عبادة ربه، وفي تطوير الأسلحة التي تُدمر البشرية، وتهلك الحرث والنسل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم:٧-٨].

وصَرف الشيطان كذلك أكثر المسلمين عن الدعوة إلى الله، التي هي أعظم حقوق الله على عباده بعد الإيمان، وأشغلهم بالشهوات البهيمية عن جهد دعوة البشرية إلى الإسلام: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء:١١٩-١٢١].

الشيطان عدو لبني آدم، لا يريد أن يزيد إيمانهم، فتزيد أعمالهم الصالحة، ولا يُريد الدعوة إلى الله التي تزيد الذين يعبدون الله وحده لا شريك له.

وقد حذرنا الله عز وجل من الشيطان، وخطواته، ومكره، وكيده فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة:٢٠٨].

وقال ﷻ: ﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ ﴾[يس: ٦٠-٦٢].

إن عبادة النظر والتفكر في مخلوقات الله وآياته من أعظم العبادات القلبية التي تزيد الإيمان في قلب العبد، وإذا زاد الإيمان زادت الأعمال الصالحة، والأقوال الحسنة، وظهرت الأخلاق الكريمة، والعبادات العظيمة، وهذا مراد الله من خلقه.

فمن نظر وتفكر في هذا الكون العظيم علم أن خالقه رب عظيم، و إله رحيم، وملك كريم، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس: ١٠١].

وقال الله ﷻ معرفاً عباده بأسمائه و صفاته وأفعاله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾[الحشر: ٢٢-٢٤].

فمن نظر إلى السماء في حُسنها، وجمالها، وسعتها، وعظمتها، وارتفاعها، وثباتها، واستقرارها، عرف أن الذي خلقها رب عظيم، قوي، قادر، حكيم: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ ﴾[ق: ٦].

وقال الله ﷻ: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ ﴾[النازعات: ٢٧-٢٩].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾[الذاريات: ٤٧].

والسماوات السبع العظيمة محيطة بالأرض، وكل سماء مملوءة بالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا

﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

ومن آيات الله العظيمة خلق الأرض، وما جعل الله فيها من السهول والجبال، والبحار والأنهار، والأقوات والأرزاق، والجمادات والمعادن، والنباتات والحيوانات وغير ذلك من المخلوقات الكبيرة والصغيرة: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ق:٧-٨].

ويسر الله الأرض لعباده فجعلها لهم ذلولا يمشون في مناكبها، ويأكلون من أرزاقه التي بث فيها، وجعلها قرارا لهم، لا تميد ولا تضطرب بهم، وجعلها كفاتا للخلق أحياءً وأمواتًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك:١٥].

وقال الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٧-٢٨].

والرب العظيم الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ويستحق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر ولا يكفر: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فصلت:٩-١٢].

فهذا هو الرب العظيم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وَقَالَ الله ﷻ عن عظمة خلق هذا الإنسان، وعظمة خلق النباتات والأشجار، والزروع المختلفة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [الحج: ٥-٧].

ثم أنظر وتفكر يا عبد الله فيما على هذه الأرض من أنواع المخلوقات، وأجناس البريات في البر والبحر والجو؛ من عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الطير، وعالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم الذرات: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

ثم انظر وتفكر فيما بين السماء والأرض من المخلوقات العظيمة، من الشمس والقمر، والنجوم والكواكب، والليل والنهار، والذرات والمجرات، والنور والظلام، والحر والبرد، والسحب والرياح: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فصلت: ٣٧].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف: ٥٧-٥٨].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان: ٤٨-٥٠].

فسبحان الرب العظيم الذي خلق السموات السبع، والأراضين السبع، وخلق ما بينهما من المخلوقات، وسبحان من خلق الشمس والقمر والليل والنهار، وأجراهما في الكون بقدرته ورحمته وحكمته: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧١-٧٣].

إن عبادة النظر والتفكر في مخلوقات الله من أعظم عبادات القلوب التي تزيد الإيمان في القلب، وتُرسخ اليقين، وتثمر خشية الله وتقواه، وعبادته وحده لا شريك له، وتُثمر تعظيمه وتكبيره، وكمال حمده وشكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فالتفكر في مخلوقات الله من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من المؤمنين: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

ومن تفكر في مخلوقات الله وآياته عَلِمَ عظمة قدرة الله، وكمال حكمته، وواسعه رحمته، وعظمة ملكه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾[لقمان: ١٠-١١].

وما في الكون من آيات ومخلوقات، ودلائل وعِبر، وحُجج وبراهين كافٍ لمعرفة الناس بربهم وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ ولكن الله لكمال رحمته بخلقه أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وشرع لهم الشرائع، وزودهم بالأسماع والأبصار والعقول، ليعرفوا ربهم، والدين الذي أكرمهم به، وما لهم بعد القدوم عليه يوم القيامة: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾[آل عمران: ١٦٤].

فما أعظم دلائل الوحدانية والربوبية والألوهية في هذا الكون العظيم: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧﴾[النبأ: ٦-١٧].

٢ - أنواع التفكر في مخلوقات الله ﷻ

الأول: التفكر في عظمة خلق السموات والأرض، وما عليهما، وما بينهما.

فإن عظمة المخلوقات تدل على عظمة خالقها، ومن عرف العظيم عَظمه، ومن عرف الكبير كبره، ومن عرف الغني سأله، ومن عرف الكريم أحبه، ومن عرف الرزاق شكره: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

والتفكر في رفع السموات العظيمة، وإمساك السموات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

الثاني: التفكر في تدبير وتصريف الله لما في الكون من مخلوقات عظيمة، وآيات كبيرة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

الثالث: التفكر فيما بين السماء والأرض من المخلوقات العظيمة في حجمها وحركتها، وقوتها وكثرتها، وتعاقبها وسيرها، من شمس وقمر، ونجوم وكواكب، وهواء ورياح، ونور وظلام، وحر وبرد: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

ومن تفكر في ذلك عرف أن ربه ملك، قادر، حكيم، رحيم، فآمن به، وأحبه،وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

الرابع: التفكر في بناء السماء، ومَد الأرض، وما في الأرض من السهول والجبال، والبحار والأنهار، وأنواع الأشجار والثمار والزروع :﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾[ق:٦-١١].

وقال الله ﷻ: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[النور:٤٤].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب العظيم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له :﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[الرعد:٢-٤].

الخامس: التفكر في إنزال الماء من السماء، و ما ينبت به من الزروع والأشجار، وما يخرج بسببه من أنواعالحبوبوالثمار :﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ

﴿وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾[النحل:١٠-١١].

السادس: التفكر في عظمة خلق الإنسان ظاهرا و باطنا :﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الذاريات:٢١].

فما أعظم الخالق الذي خلق هذا الإنسان: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[المؤمنون:١٢-١٦].

السابع: التفكر في الوفاة الكبرى بالموت، والوفاة الصغرى بالنوم :﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر:٤٢].

الثامن: التفكر في الحياة الزوجية، وما جعل الله بين الزوجين من المودة والرحمة،والأنس والسكينة : ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم:٢١].

التاسع: التفكر في مخلوقات الله العظيمة في العالم العلوي، والعالم السفلي:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾[الغاشية:١٧-٢٠].

العاشر: التفكر في عظمة خلق النحل، وما يخرج منه من العسل الشهي، مختلف الألوان والطعوم :﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ

﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل:٦٨-٦٩].

الحادي عشر: التفكر في تسخير ما في السموات والأرض وما بينهما لخدمة وإسعاد هذا الإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠].

وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية:١٣].

فالله ﷻ سخر هذه المخلوقات للإنسان تسخيرين:

تسخير تعريف لِنؤمن بالله، وتسخير تكريم لِنشكره على إنعامه وإحسانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧].

الثاني عشر: التفكر في بداية الخلق ونهايته وإعادته: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:٢٧].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس:٢٤].

الثالث عشر: التفكر في الدنيا وسرعة زوالها، والتفكر في الآخرة ودوامها: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

الرابع عشر: التفكر في سوء عاقبة الكفار، وأعداء الرسل الذين أهلكهم الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢].

وقال الله ﷻ عن الكفار الذين كذبوا الرسل، وأصروا على كفرهم: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٤٠].

ومن تفكر في ذلك أيقن بعظمة ربه، وعظمة قدرته، وكمال رحمته، وأطاع ربه، واجتنب ما نهى الله عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الخامس عشر: التفكر في قصص الأنبياء والرسل، وكيف نصرهم الله، ومن آمن بهم، وخذل أعداءهم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج:٤٠-٤١].

وَقَالَ الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر:٥١-٥٢].

السادس عشر: التفكر في قيام الساعة، وأهوال يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ

عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾﴾ [الحج:١-٢].

وقال عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١].

السابع عشر: التفكر في الجنة، وما فيها من أنواع النعيم، والتفكر في النار وما فيها من أنواع العذاب: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

وقال الله ﷻ عن الكفار: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

ومن تفكر في هذه وهذه خاف ربه ورجاه، وأطاعه ولم يعصه.

الثامن عشر: التفكر في آيات القرآن الكريم، وما فيها من الإحكام والإتقان، والأخبار الصادقة، والأوامر العادلة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤].

وقال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وقال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

التاسع عشر: التفكر في عظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وعظمة قوته وقدرته، وسعة علمه، وكمال إحاطته، وعظمة ملكه وسلطانه، وكمال غناه وكرمه وإحسانه.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ

مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

العشرون : التفكر في سعة رحمة الله، وكمال لطفه بعباده، وجميل إحسانه إلى خلقه، وعظمة حلمه على عباده، وسعة مغفرته وعفوه: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر:٧].

وقال ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ويستحق الحب كله، والتعظيم كله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

هو سبحانه الرب العظيم الذي يستحق أن يُذكر فلا يُنسى، ويُطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠١-١٠٣].

إن عبادة النظر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته من أعظم العبادات القلبية التي

تملأ القلب إيمانًا بالله، وتوحيدًا لله، وحبًا لله، وتعظيمًا لله، وتكبيرًا لله، وذلًا لله، وافتقارًا إلى الله، وتمجيدًا لله، وخوفًا من الله، وحمدًا لله، وشكرًا لله، وثناءً على الله، ورغبة إلى الله :﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

و هذا الكون العظيم كله مظهر لأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، ونُعوته الجميلة :﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وحده، وعبدتموه وحده لا شريك له .

هو سبحانه الحي بجميع صفات الكمال والجلال والجمال :﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

فلله الحمد على كمال جلاله وجماله، وعظمة خلقه وإبداعه:﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية:٣٦-٣٧].

٣- ثمرات التفكــر

الأولى : التفكر في مخلوقات الله ﷻ يجدد الإيمان في القلب ويزيده، وإذا زاد الإيمان زادت الأعمال الصالحة : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١].

الثانية : التفكر في مخلوقات الله يُثمر محبة الله ﷻ، لأن ثمرة المعرفة المحبة، ومحبة الله هي أصل العبودية وروحها.

فمن تفكر في عظمة ملك الله وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة رحمته وحِلمه، أحبه وعبده وحده لا شريك له :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس:٣].

الثالثة : عبادة التفكر تُثمر للعبد كمال التواضع لربه الملك العزيز الجبار، والذل لِعزته، والتصاغر لكبريائه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر:٢٣-٢٤].

الرابعة : عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ تُعرف العبد بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة، وتزيد إيمانه وحبه لله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢].

الخامسة : عبادة التفكر تطلع العبد على أسرار الله في مخلوقاته، وحكمته في تدبيراته : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[عبس: ٢٤-٣٢].

ومن عرف ذلك آمن بالله وحده، وعبده وحده لا شريك له بكمال الحب والتعظيم والذل له .

السادسة : عبادة التفكر في مخلوقات الله تحمِل العبد على حُسن الظن بالله ﷻ، لما يَراه في الكون من مظاهر قدرة الله، والإحسان إلى خلقه، وعظيم إنعامه : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[غافر:٧].

السابعة : عبادة التفكر في مخلوقات الله العظيمة تملأ قلب المؤمن بالخوف من الله جل جلاله، وعندما يحس العبد برقابة الله له فإنه يبتعد عن المعاصي، ولا يسقط في أنواع الفساد والجرائم : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[آل عمران:١٣٥-١٣٦].

الثامنة : عبادة التفكر في مخلوقات الله العظيمة تملأ قلب المؤمن بعظمة الله وكبريائه، وعظمة ملكه وسلطانه، فيكبر الله، ويخلص له العبادة، ويسارع إلى كل ما يحبه ربه ويرضاه : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

التاسعة: عبادة التفكر في مخلوقات الله تحمل العبد على كثرة التوبة والاستغفار، لما يراه العبد من تقصيره في حقوق الله، في مقابل ما أكرمه الله به من أنواع البر والإحسان والتكريم، فيبعثه ذلك على كثرة الاستغفار من جهله بربه، وتقصيره في عبادته :﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر:٦١].

العاشرة : عبادة التفكر في مخلوقات الله تحمل العبد على كثرة الحمد والشكر لمولاه الكريم، لما يراه من تسخير النعم التي لا تُعد ولا تحصى لبني أدم،

المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر:٣].

الحادية عشرة: عبادة التفكر في مخلوقات الله تحْمِل العبد على الحياء من الله الذي يتقلب الإنسان في نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

فالإنسان يسكن في مُلْك الله، ويتنعم بأنواع نِعمه، ويأكل من رزقه، فلا يليق به أن يعصي ربه في ملكه بنعمه التي أنعم الله بها عليه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤].

الثانية عشرة: عبادة التفكر تُثمر للعبد العلم بعظمة قدرة الله ﷻ، وسعة علمه، وإحاطته بجميع مخلوقاته، ومن عرف ذلك آمن بربه، وخضع لعظمته، وانقاد لأمره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

الثالثة عشرة: التفكر يُثمر عِلم العبد بسِعَة رحمة الله، وسعة إحسانه إلى خلقه، وذلك يحمل العبد على حب الله، وحُسن الظن به، وحمده وشكره على سِعَة رحمته، وإحسانه إلى عبيده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

الرابعة عشرة: عبادة التفكر في مخلوقات الله تُعَرِّفُ العبد على عظمة الرب الذي يعبده، وتعرفه بضعف نفسه، وأنه فقير إلى ربه في كل شيء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

الخامسة عشرة: التفكر يُثمر استقرار عظمة الله، وكمال قدرته، في قلب من نظر وتفكر في مخلوقات الله العظيمة في العالم العلوي، والعالم السفلي؛ وذلك يُثْمِر إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وكمال الذل له، والفوز بأعظم ثوابه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

السادسة عشرة: عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ تُثمر للعبد تفرد رب العالمين بالخلق والتصوير، والتدبير والتصريف، والإنعام والإحسان، وذلك يثمر له الإيمان بالله ومحبته، و إخلاص العبادة له وحده لا شريك له: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس:٣١-٣٢].

السابعة عشرة: النظر والتفكر في مخلوقات الله يثمر للعبد زيادة الإيمان، وكمال اليقين، لما يراه في ملكوت الله من عظمة الخلق والإبداع، والإتقان والإحكام، وسِعة رحمة الله، وعظمة نعمه وإحسانه، وكمال حِلمه وعفوه.

وإذا عرف العبد ذلك أحب ربه و عظمه وكبره، وحمده وشكره، وبكى من خشيته، وسجد لعظمته، وتصاغر لكبريائه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

الثامنة عشرة: عبادة التفكر في مخلوقات الله تحمل العبد على الاستغفار من جهله بربه، وجهله بأسمائه وصفاته وأفعاله.

وكلما زادت معرفة العبد بربه زاد إيمانه، وكثر استغفاره، وحَسُنت عبادته: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ

﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

التاسعة عشرة: عبادة التفكر في مخلوقات الله ترفع درجات العبد، لأنه كلما زاد الإيمان، زادت الأعمال الصالحة، وبحسب قوة الإيمان والأعمال الصالحة ترتفع درجات العبد في الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال:٢-٤].

العشرون: عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ تُثمر للمؤمن حب الله ﷻ، وحب الدعوة إليه، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

٤ - تفاوت الناس في التفكر

الناس متفاوتون في عبادة النظر والتفكر، بحسب علمهم، و إيمانهم، وقُدُراتهم.
وبحسب العلم والإيمان تكون قوة الفكر، وقوة العبادة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾ [الزمر:٩].

ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ [فاطر:٢٨].

وبقدر العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بعظمة قوته وقدرته، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه، والعلم بعظمة نِعمه وإحسانه، والعِلم بوعده ووعيده؛ تكون قوة الإيمان، وكمال اليقين، وقوة الأعمال،وكمال خشية الله وذلك يثمر رضوان الرب،وجزيل الثواب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال:٢-٤].

فما أعظم دلائل التوحيد والإيمان في هذا الكون المفتوح لِلنَّظر والتفكر والتدبر، فأين من يتعبد لله بهذه العبادة العظيمة التي تثمر حب الله، وتوحيده، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: ٢٠-٢٦].

فلا إله إلا الله العظيم، الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٩٠].

ومن تفكر في الخلق والأمر، والتدبير والتصريف، في العالم العلوي والسفلي، أيقن أن خالق تلك المخلوقات هو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: ١-١٧].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

اللهم إنا نسألُكَ نُفوسًا مطمئنةً، تُؤمِنُ بلِقائِكَ، وتَقْنَعُ بعَطائِكَ، وتَرْضَى بقضائِكَ، وَتَصبِرُ على بلائِكَ، وَتَشكُر نعمائك.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُك إيمانًا كاملًا، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، يا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثامنة والأربعون

عبادة تدبر القرآن الكريم

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: منزلة تدبر القرآن الكريم.

الثاني: فقه تدبر القرآن الكريم.

الثالث: أنواع تدبر القرآن الكريم.

الرابع: دلائل التوحيد والإيمان في القرآن.

الخامس: الأسباب المعينة على تدبر القرآنالكريم.

السادس: ثمرات تدبر القرآن الكريم.

العبادة الثامنة والأربعون
عبادة تدبر القرآن الكريم
١ - منزلة تدبر القرآن الكريم

القرآن العظيمكتاب ربنا العظيم، كتاب العلوم والأخبار، والأحكام والآداب، لاتُحصى فوائده، ولا تنقضي عجائبه، ولاتُستقصى معانيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢].

ولهذا رغبَّنا من أنزله بقراءته، وسماعه، وتدبر آياته؛ لأن في تدبر القرآن زيادة الإيمان، وحب طاعة الله وعبادته، وفي تدبر القرآن والعمل به امتلاء القلب بالطمأنينة والسكينة، وشفاء الفرد والمجتمع من الأمراض الحسّية والمعنوية، وتلبية حاجات العبد الدُّنيوية والأخروية: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء:٨٢].

ومن عرف فضائل القرآن، وما فيه من الخيرات والبركات، تعبَّد لله بحسن تلاوته، وتدبر آياته، والتفكر في معانيها، وتلهَّف إلى ذلك تلهُّف الظمآن إلى الماء، والمريض إلى الشفاء، والغريق إلى الهواء، والمسجون إلى الحرية والفضاء: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

ومن أعرض عن القرآن الكريم فلم يؤمن به، ولم يصدق أخباره، ولم يتدبر أياته، ولم يعمل بأحكامه؛ شقيَ في الدنيا والآخرة: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧].

إن تدبر القرآن الكريم من أعظم عبادات القلوب، لأن القرآن العظيم مفتاح

العلوم والمعارف الإلهية؛ لأنه إخبارٌ عن الخالق جل جلاله، وإخبارٌ عن مخلوقاته العظيمة، وأوامر بما ينفع العبد في دنياه وآخرته، ونواهٍ عما يضرُّ العبد في دنياه وآخرته: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

وبتدبر القرآن العظيم يزيد الإيمان في القلب، ويملأ القلب بحب الله وتعظيمه وتمجيده، وكلما ازداد العبد تدبرًا للقرآن ازداد إيمانًا وإخلاصًا، وعلمًا وعملًا، ونورًا وهدىً، وشفاءً ورحمة: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وكتاب الله العظيمهو صراطه المستقيم الموصل إلى رضوانه وجنته، والحافظ من عذابه وعقوبته: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والقرآن الكريم هو حبل الله المتين الذي من تمسَّك به فاز ونجا من الهلاك والخَسَار، ومن أعرض عنه خسِر وشقيَ في الدنيا والآخرة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن تدبر آيات القرآن الكريم، والتفكر في معانيها وأحكامها وأسرارها، هو أعظم مفاتيح العلم الإلهي الذي يُثمر توحيد الله، وصدق الإيمان به، وقوة التوكل عليه، وحُسنِ التعبُّد له بكمال الحب والتعظيم والذلّ له: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

٢ - فقه تدبر القرآن الكريم

إن تدبر القرآن الكريم، والتفكر في غايات القرآن ومقاصده التي يرمي إليها، وعاقبة العامل به، والمخالف له؛ هو أعظم مقاصد القرآن: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقد ورد لفظ (تدبر) في كثير من آيات القرآن الكريم، ويُراد منها تدبر هذا القرآن العظيم، والتبصُّر بما فيه من أخبار وأحكام، وقصص ومواعظ، ليعلَم العباد أن الله حكيمٌ في صنعه، عادلٌ في أمره، صادقٌ في أخباره، عليمٌ بخلقه، لا يحُابي أحداً لأجل نسبه وعرقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات:١٣].

والله ﷻ أنزل القرآن هدىً للناس، ودلّ سبحانه خلقه على جميع أنواع التدبر؛ كالتدبر في معاني ما يُلفظ به من الآيات المتلوَّة، والتدبر في أخبار القرآن الصادقة، وما اشتملت عليه من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

ثم التدبر في الأوامر الإلهية الحكيمة؛ وما اشتملت عليه من العدل والإحسان: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام:١١٥].

ثم التدبر في الزواجر والنواهي؛ وما اشتملت عليه من حفظ العبد من جميع الشرور والآثام، والأضرار والأسقام.

وجميع أوامر الله عز وجل في منتهى الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان.

فما أمر الله بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه، وما أباح شيئاً إلا سهل الوصول إليه، وأوامره أغذيةٌ للقلوب، ونواهيه طاردةٌ للسموم: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١].

ثم التدبر في سياسة الإسلام للعالم؛ وما اشتمل عليه من أحكام وأصول تصلح بها أحوال العالم: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

ثم التدبر في حكمة خلق بني آدم، وجعلهم خلفاء الأرض؛ يؤمنون بالله، ويعملون بشرعه، وينشرون دينه في الآفاق: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

ثم التدبر في أحوال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما جاؤوا به من الحق والهدى، وكيف نصرهم الله على من عاداهم، وكفر بما جاؤوا به: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

ثم التدبر في أحوال الدنيا، وسرعة زوالها، وكثرة تقلّبها، ثم التدبر في أحوال الآخرة والتزوّد لها بالأعمال الصالحة، كما قال سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢٠-٢١].

وقد أنزل الله ﷻ هذا القرآن العظيم على هذه الأمة، وبيّن لهم أن المقصود من إنزاله أن يتدبروا آياته، ويصدقوا أخباره، ويعملوا بأحكامه، ويمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه، ويتعظوا بمواعظه، ويحُلُّوا حلاله، ويحُرِّموا حرامه، ويتخلّقوا بأخلاقه فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وأنكر سبحانه على من أعرض عنه ولم يتدبر آياته، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ

﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: ٢٤].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

والقرآن الكريم مَنْهَجُ حياة للبشرية إلى يوم القيامة، لهذا تكفل الله بحفظه؛ فهو محفوظ من الزيادة والنقصان، ومحفوظ من التحريف والتبديل، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

وقراءة القرآن بترتيل يساعد على فَهم القرآن وتدبره، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ [المزمل: ١ – ٤].

ومن قرأ القرآن ولم يتدبر آياته، ولم يتأثر به، ولم يؤمن به، ولم يعمل به؛ فهو كالحمار يحمل أسفارًا لا يعلم عنها شيئًا: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [الجمعة: ٥].

وتدبر القرآن الكريم مفتاح العلوم والمعارف، وبتدبره يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته فيه؛ لأن القرآن يعرّف الخلق بالرب المعبود، وماله من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

ويعرّف الخلق بالطريق الموصل إلى الله، وهو دينه الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه .

ويعرّفهم بما لهم بعد القدوم عليه في الآخرة؛ الجنّة لمن آمن بالله وأطاعه، والنّار لمن كفر به وعصاه، كما قال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٣-١٤].

والمسلم بالنسبة للقرآن الكريم يتعبَّد لله بستة أمور:

بتلاوة القرآن الكريم، وتدبر القرآن الكريم، وتفسير القرآن الكريم، والعمل بالقرآن الكريم، وتعليم القرآن الكريم، وإبلاغ القرآن الكريم للبشرية كافة: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم:٥٢].

وقال الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران:٧٩].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[فاطر:٢٩-٣٠].

وقال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾[محمد:٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾[ص: ٢٩].

٣- أنواع تدبر القرآن الكريم

تدبر القرآن الكريم من أعظم عبادات القلوب التي يحبها الله، وينتفع بها المؤمن.

وتدبر القرآن الكريم أنواع:

الأول: تدبر القرآن للوقوف على مواعظه، والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران:١٣٨].

الثاني: تدبر القرآن الكريم لاستخراج الأحكام منه؛ سواء كان ذلك فيما يتعلق بالتوحيد والإيمان، أو العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق والسلوك: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

الثالث: تدبر القرآن العظيم للوقوف على وجوه فصاحته، وبلاغته، وإعجازه، وضروب خطابه، واستخراج اللطائف من آياته: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:٨٨].

الرابع: تدبر القرآن الكريم للتعرّف على ضروب الجدل والمحاجة مع المخالفين، وطرق التأثير على المخاطبين، وسُبل الإقناع التي تضمنها القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

الخامس: تدبر القرآن الكريم من أجل الاستغناء به عن غيره؛ سوى السُّنَّة النَّبوية، فإنها شارحة له، ومبينة لمجمله: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال النبي ﷺ: "أَلا إنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ ومِثلَهُ مَعَهُ". أخرجه ابو داود والترمذي(١).

السادس: تدبر القرآن من أجل تليين القلوب به، وتحصيل الخشوع، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾[الزمر:٢٣].

السابع: تدبر القرآن العظيم من أجل تصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والاهتداء بهديه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦].

الثامن: تدبر القرآن من أجل معرفة صدقُ مَنْ جاء به، وأنه حقٌّ من عند الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الزمر:٣٣].

التاسع: تدبر القرآن الكريم ليقف المؤمن على ما ورد فيه من العلوم، والأخبار، والقصص، وما ورد فيه من وصف الدنيا، وسرعة زوالها، ومابعدها من الجنة والنار، وصفات المؤمنين، والكافرين، والمنافقين: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل:٨٩].

العاشر: تدبر القرآن من أجل معرفة حاجة البشرية إليه، ووجوب إبلاغه للناس كافة، ليؤمنوا بالله، ويعبدوه وحده لا شريك له، ويفوزوا برضوانه وجنته، وينجو من عذابه وعقوبته: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم:٥٢].

(١) صحيح: أخرجه ابو داود برقم (٤٦٠٤) والترمذي برقم (٢٦٦٤).

٤ - دلائل التوحيد والإيمان في القرآن

دلائل توحيد الرب ﷻ لا تُعدّ ولا تحصى، ولا يحيط بها أحد، فهي أكثر من أن تُحصى، وأشهر من كل بَيِّن .

فكل القرآن، بل كل سورة في القرآن، بل كل آية في القرآن، بل كل ذرة في الكون؛ دالةٌ على وحدانية الله ﷻ، شاهدةٌ بعظمته وجلاله وجماله، وجميع آياته ومخلوقاته مبينةٌ لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، ناطقةٌ بعظيم كرمه وإحسانه، مقرِرةٌ لكمال رحمته بعباده، شاهدةٌ بعظمة ملكه و سلطانه، وحسن أحكامه وأخباره وأوامره.

ودلائل التوحيد والإيمان تراها الأبصار والبصائر والعقول مبسوطة في الآيات الكونية، والآيات القرآنية؛ ولما كانت دلائل وحدانية الله لا نهاية لها، ويستحيل على الأبصار والعقول الإحاطة بها، فحسبُنا أن نجمع أصولها، ونشير إلى أمهاتها من الآيات الكونية، والآيات الشرعية من الوحي المُنزَّل، الذي فيه تبيان كل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ [النحل:٨٩].

وأصول دلائل التوحيد والإيمان من كتاب الواحد الأحد مجموعة في سبعة أمور:

الأول: دلائل الخلق والإيجاد، وهذا كثير جداً في القرآن الكريم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)﴾ [الطلاق:١٢].

الثاني: دلائل التدبير والتصريف في الكون، وهذا مذكور في جميع سور القرآن

الكريم غالباً كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)﴾ [الأنعام:٩٩].

الثالث: دلائل صفات جلال الرب كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾ [الأنعام:٥٩].

الرابع: دلائل صفات جمال الرب جل جلاله كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤].

الخامس: دلائل الإنعام والإحسان كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ

بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان: ٢٠].

السادس: دلائل النظر والتفكر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾[ق: ٦-٨].

السابع: دلائل عظمة القرآن والشرع، كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾﴾[الإسراء: ٨٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل: ٨٩].

فلا إله إلا الله ما أعظم أسماءه وصفاته وأفعاله، وما أعظم ملكه وسلطانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾[المؤمنون: ٨٤-٩٠].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

٥-الأسباب المعينة على تدبر القرآن الكريم

الأول: قَصْدُ تدبر القرآن لمعرفة أسراره وأحكامه ومقاصده، والعمل بموجب ذلك، لأن كثيراً من الناس يقرأ القرآن لتحصيل الأجور فقط، فيقرأ أكثر ليحصل على أجر أكثر من غير فهمٍ ولا تدبر، والله أنزل القرآن لتدبره، والعمل بموجبه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾[ص:٢٩].

الثاني: تهيئة القلب لتدبر القرآن، وذلك بتخليصه من الصوارف والشواغل التي تصرفه عن الفهم والتدبر والانتفاع: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧﴾[ق:٣٧].

الثالث: أن يَشعُر قارئ القرآن أنه هو المخاطب بهذا القرآن العظيم، وأن عليه أن يفهم معانيه، ويصدق أخباره، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ٨٧﴾[الحجر:٨٧].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ٤٤﴾[الزخرف:٤٤].

الرابع: أن يُراعي القارئ للقرآن مواضع الفصل، والوقف، والابتداء؛ ليسهل عليه فهم معاني الآيات، واستقلال كل جملة بمعانيها.

الخامس: الترسُّل والترتيل عند القراءة، لأن ذلك أقوى في التدبر، وأسهل لفهم المعاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ٤﴾[المزمل:١-٤].

السادس: ترديد الآية الواحدة عدة مرات، لأن ذلك من الإعانة على التدبر، وفهم المعاني، والاتعاظ والخشوع والبكاء، وقد قام النبي ﷺ بآية واحدة في ليلة واحدة يرددها حتى أصبح وهي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١١٨﴾[المائدة:١١٨].

السابع: قراءة القرآن في صلاة الليل، لأن ناشئة الليل أقرب لفهم القرآن، وتدبره، وفهم معانيه وأسراره؛ لهدوء الليل، وانقطاع الشواغل عن القارئ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾[المزمل:٦].

الثامن: الإنصات والتوجه عند سماع القرآن، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستماع والإنصات عند سماع القرآن؛ لكي ينتفعوا به، ويتدبروا آياته، ويفهموا معانيه، ويعتبروا بمواعظه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[الأعراف:٢٠٤].

التاسع: تحسين الصوت عند قراءة القرآن، وتجويده، وترتيله، لأن ذلك يسهل فهم معاني الآيات، وتلذذ القلب بالقراءة، وقد يسَّر الله لعباده فهم ألفاظ القرآن ومعانيه، وفهم أسراره وأحكامه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[القمر:١٧].

والفرق بين معرفة الألفاظ والمعاني:

أن الألفاظ قوالب المعاني، والمقصود من معرفة الألفاظ الوصول إلى فهم المعاني للعمل بموجبها، والاعتبار بمواعظها، والتعبد لله بها: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾[ص:٢٩].

العاشر: معرفة أساليب القرآن في أنواع الخطاب، وأنواع الأحكام، والاستعانة بالله على فهم القرآن وتدبره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

ومن أساليب القرآن:

ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى، للدلالة على أن الحكم المذكور له تعلق بهذا الاسم المذكور،ومن ذلك اشتمال القرآن على أحسن طرق التعليم

والتربية، وإيصال المعاني إلى القلوب بأيسر طريقٍ وأوضحه، وتوضيح المعاني النافعة بضرب الأمثال المحسوسة، ليسهُل فهمها كما قال سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۢ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[إبراهيم: ٢٤-٢٥].

ومن أساليب القرآن العظيمةالوصف الحي للصور المحسوسة؛ فإذا الحوادث والأحوال والقصص والمشاهد شاخصةٌ حاضرة كأنها رأي عين، كمافي وصف الجنة والنار، وكما في قصة موسى مع فرعون وغيرها.

ومن أساليب القرآن، التعريف بالرب، وذكر أسمائه وصفاته وأفعاله؛ ليعرفه الناس ويحبوه، ويكبروه ويعظموه، ويمجدوه ويحمدوه ويشكروه، ويسألوه، ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

ومن أساليب القرآن العظيمالتذكير بالأمر وعظمته، والتشويق للأجر وكثرته، وبيان حاجة الناس إلى ربهم في كل شيء، ليقفوا ببابه، ولا يُذِلُّوا أنفسهم لأحد سواه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر: ١٥].

ومن أساليب القرآن المؤثِّرةذكر حياة الأنبياء والمرسلين، للاقتداء بهم في توحيدهم، وإيمانهم، وأخلاقهم، وأعمالهم: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[مريم: ٤١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم: ٥١].

ومن أساليب القرآن في النهي عن الأقوال والأفعال والصفات السيئة،التبغيض للفعل، أوالتهكّم بأصحابه، أو السخرية منهم، أو ذكر عاقبة من فعله في الدنيا، أو

وصف خسارته في الآخرة، والاعتبار بأحوال الأمم الظالمة، وكيف نزلت بها عقوبة الجبّار فهلكوا، كما قال سبحانه عن الكفار المصرِّين على كفرهم وعنادهم: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[العنكبوت: ٤٠].

الحادي عشر: دعاء الله ﷻ أن يُفهِّمَهُ أسرار القرآن، ومقاصده، وأحكامه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

الثاني عشر: التفاعل مع الآيات القرآنية، وحضور القلب بالسؤال، والتعوذ، والاستغفار، والحمد، عند مناسبة ذلك في الآيات: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨ – ١٠٠].

٦ - ثمرات تدبر القرآن الكريم

لتدبر القرآن الكريم ثمرات عظيمة:

الأولى: معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله.

ومن عرف الله آمن به واتقاه، وأطاعه ولم يعصه، وصدَّق أخباره، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

الثانية: معرفة عظمة ملك الله وسلطانه، وكمال قدرته، وعظمة قوته، وإحاطة علمه بكل شيء في ملكه العظيم.

ومن عرف ذلك آمن بالله وحده، وعظَّمه وكبَّره، ووحَّده، وتوكل عليه، واستعان به، وسلَّم لأمره: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

الثالثة: معرفة عظمة نعم الله على عباده، وكمال إحسانه إليهم، ورحمته بهم.

ومن عرف ذلك آمن بالله وأحبه، وحَمِده وشكره، لما يراه من عظمة إنعامه وإحسانه إلى عباده: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

الرابعة: معرفة عظمة الله، وعظمة أوامره الكونية، وعظمة أوامره الشرعية، وعظمة أوامره الجزائية.

ومن عرف ذلك آمن بربه العظيم، وصدق كلامه العظيم، وامتثل أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف: ٥٤].

الخامسة: معرفة دار الغرور من دار السرور، ومعرفة الدار الفانية من الدار الباقية، ومعرفة قيمة الإيمان والأعمال الصالحة، والزهد فيما سوى ذلك.

ومن عرف ذلك أقبل على عبادة الله، وسارع إلى كل عمل صالح، وأعرض عن زينة الدنيا الفانية: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت: ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

السادسة: معرفة الخالق من المخلوق، ومعرفة الملك من العبيد، ومعرفة الصور من المصوّر، ومعرفة الغني من الفقير.

ومن عرف ذلك آمن بالله وحده، وعظّمه وكبّره، وأحبه، وحمده وشكره، واستغفره، وتجاوز المخلوق إلى الخالق، وتجاوز الصور إلى المصور، وتجاوز العبيد إلى رب العبيد، ووقف بباب الغني، وسأله حوائجه، ولم يقف بباب أحد سواه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

السابعة: معرفة الحق من الباطل، ومعرفة الخير من الشر، ومعرفة الهدى من الضلال، ومعرفة ما يحب الرب مما يكره الرب: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل: ٨٩].

الثامنة: معرفة كمال رحمة الرب بعباده، حيث يسّر لهم أمور دينهم ودنياهم، ودلّهم على مصالحهم، ورغّبهم فيما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، وحذرهم مما يضرهم في دنياهم وأخراهم: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

التاسعة: معرفة كمال الرب، وجزيل عطائه وإحسانه، حيث خلق الخلق، وأمدهم بأنواع الأرزاق، وأكرمهم بالدين الذي أرسل به رسله إلى عباده، وأعطى من آمن به وأطاعه على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفة، إلى عطاء بغير حساب.

ويعطي سبحانه من لدنه أجراً عظيماً بلا عمل للعبد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

العاشرة: بتدبر القرآن نعلم أن أصول العلم الإلهي سبعة:

معرفة الرب الذي يستحق العبادة وحده لاشريك له، ومعرفةالقرآن الذي يجب تصديقه، والعمل بموجبه، ومعرفة الرسول الذي يجب اتباعه، والاقتداء به، ومعرفة النفس البشرية،ماذا يريد الله منها، وبماذا يكرمها الله إذا آمنت، وبماذا يعاقبها إذا كفرت، ومعرفة عدو الإنسان وهو الشيطان، ومعرفة حقيقة الدنيا التي نعيش فيها، ومعرفة حقيقة الآخرة التي سوف نصير إليها: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

الحادية عشرة: معرفة وعد الله لمن آمن به وأطاعه، ومعرفة وعيد الله لمن كفر به وعصاه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾ [التوبة:٦٨].

الثانية عشرة: تدبر القرآن، وفهم معانيه ومقاصده؛ يُثمر للعبد توحيد الله، وحلاوة الإيمان، وامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثالثة عشرة: تدبر القرآن عبادة من أعظم العبادات يثمر توحيد الله بذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، والإكثار من ذكره، وشكره، واستغفاره، والمداومة على حسن عبادته، ونحريك النفس للاستكثار من الأعمال الصالحة، وكل ما يحبه الله ويرضاه، والحذر من المعاصي، وكل ما يسخط الله ويغضبه: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الرابعة عشرة: تغير حياة كل من تدبر القرآن، وعرف أسراره، ومقاصده وأحكامه، وانتفع بمواعظه،وترقيهمن الحسن إلى الأحسن، ومن العمل القليل إلى العمل الأكثر، ومن التواني إلى المسارعة في الخيرات: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

الخامسة عشرة: تدبر القرآن العظيم يثمر للعبد معرفة أحوال الأمم الماضية للاعتبار بها، ومعرفة أوامر الله في الحاضر ليطبقها، ويعمل بموجبها، ومعرفة أحوال اليوم الآخر، ليستعد ليوم القيامة بكل عمل صالح، ويحافظ عليه، ويحذر كل عمل نهى الله ورسوله عنه؛ ليفوز برضوان الله والجنة، وينجو من غضب الله والنار: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾[ص:٢٩].

السادسة عشرة: تدبر القرآن يثمر للعبد معرفة حقوق الله على عباده، ومعرفة حقوق العباد بعضهم على بعض: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩﴾[النحل:٨٩].

السابعة عشرة: تدبر القرآن يثمر للعبد معرفة عظمة القرآن العظيم، واليقين التام بأن العبد مع القرآن حي، وبدونه ميت، وأنه مع القرآن مُبصر، وبدونه أعمى، وأنه مع القرآن مهتدٍ، وبدونه ضال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢٢﴾[الأنعام:١٢٢].

وقال الله عز وجل: ﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩﴾[الرعد:١٩].

الثامنة عشرة: من تدبر القرآن، وفهم مقاصده وأسراره، وحكمه وأحكامه، اقشعرَّ جلده من هذا القرآن تعظيمًا له، وأثمر له ذلك الخضوع لله، والانقياد لأوامره: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ

يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر:٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

اللهم اهدنا لأحسن الأعمال والأقوال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف سيئها إلا أنت.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، وسائقنا إلى جناتك جنات النعيم، يا أرحم الراحمين .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة التاسعة والأربعون

عبادة ذكر الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول: فقه ذكر الله ﷻ.

الثاني: أنواع الذكر.

الثالث: الأسباب المعينة على ذكر الله ﷻ.

الرابع: ثمرات ذكر الله ﷻ.

الخامس: أسباب الإعراض عن ذكر الله ﷻ.

السادس: عقوبات الإعراض عن ذكر الله ﷻ.

العبادة التاسعة والأربعون

عبادة ذكر الله ﷻ

١ - فقه ذكر الله ﷻ

ذكر الله ﷻ هو استحضار جلاله، وكبريائه، وعظمته، واستدامة ذكره، وعدم الغفلة عن أوامره وطاعته وعبادته: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

وذكر الله ﷻ أنواع.

فيكون بدعائه بأسمائه الحسنى، ويكون بتسبيحه، وتحميده، وتكبيره، وتهليله، وتمجيده، والثناء عليه بأسمائه وصفاتهو أفعاله.

وذكر الله ﷻ شامل لكل عبادة، ظاهر في كل طاعة، ظاهر في اجتناب كل معصية: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران:٤١].

وذكر الله ﷻ يكون بالقلب واللسان والجوارح، وهذه أعلى درجات الذكر وهي التي أمر الله بها عباده بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

وذكر الله باللسان مجرداً من خشية القلب أضعف أنواع الذكر، ولكن لا ينبغي تركه، لأن قول اللسان مع التكرار يحرك القلب، وينشطه، ويذكره بالله، فيطيع ربه ولا يعصيه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥].

(كانَ النبيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَّ على كُلِّ أحْيَانِهِ)أخرجه مسلم [1].

ومن ذكر الله ﷻ أطاعه ولم يعصه، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، وخافه ورجاه.

ومن ذكر الله ذكره، ومن شكر الله شكره: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾[البقرة:١٥٢].

وقال الله عز وجل: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾[التغابن:١٧].

وذكر الله ﷻ من أعظم عبادات القلوب، وهو من أعظم ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وقد أثنى الله ﷻ على الذاكرين له بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١].

ووعد سبحانه الذاكرين له بالمغفرة، والأجر العظيم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب:٣٥].

ومن ذكر الله ﷻ في نفسه ذكره الله في نفسه، ومن ذكر الله في ملأ، ذكره الله في ملأ خير منهم.

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٧٣).

قال النبي ﷺ: ((قال الله ﷻ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَني، فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَني في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ)) متفق عليه (١).

فذكر الله جل جلاله أعظم عبادات القلوب، والقلوب لا تطمئن أبداً إلا بذكر الله ﷻ، فمن ذكر الله ذكره وحفظه ونصره، وأسعده في الدنيا والآخرة.

قال النبي ﷺ:((سَبَقَ المُفَرِّدُونَ قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ؟ يا رَسولَ الله، قالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ)) أخرجه مسلم (٢).

وقد رغّب الله ﷻ في جميع العبادات التي شرعها وأمر بها، ولم يأمر الله في القرآن بالإكثار من عبادة إلا ذكر الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

فالإكثار من ذكر الله ﷻ تحيا به القلوب الميتة، وتطمئن به القلوب الخائفة، وتنشرح به الصدور المؤمنة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد: ٢٨–٢٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

(٢)أخرجه مسلم، برقم (٢٦٧٦) .

٢ - أنواع الذكر

ذكر الله ﷻ، من حيث الوقت، ينقسم إلى قسمين:

الأول: الذكر المطلق، وهو كل ذكر مشروع في كل زمان ومكان وحال، ولم يقيد بزمن أو مكان أو حال، وذلك كالأذكار المطلقة في الكتاب والسنة: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

الثاني: الذكر المقيد، وهو كل ذكر مشروع مقيد بوقت محدد، أو مكان معين، أو حال خاصة، كأذكار الصباح والمساء، والأذكار بعد الصلوات الخمس، والذكر بعد الأذان .

وأنواعه كثيرة تشتمل كل ذكر قاله الرسول ﷺ في وقت معين، أو مكان محدد، أو حال معينة.

وهذا الذكر المقيد مقدم على الذكر المطلق، لأنه مشتمل على إتباع الرسول في كل وقت أو مكان أو حال، ولهذا فإن الإتيان بأذكار ما بعد الصلوات الخمس، وإجابة المؤذن، وغيرها من الأذكار المقيدة، أفضل من الإتيان بغيرها في ذلك الوقت، وإن كان قراءة القرآن، لما في ذلك من التأسي بالرسول ﷺ، وعدم مخالفته: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

وأفضل أنواع الذكر هو قراءة القرآن، مع التدبر، والعمل بموجبه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٠].

ثم أفضل الذكر بعد ذلك قول:((لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ لَهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وَهوَ على كل شيءٍ قديرٌ)) متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: ((الإِيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَة، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ)) متفق عليه (٢).

وذكر الله ﷻ من حيث نوعه ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ذكر الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله، والثناء عليه بها، وتقديسه وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وأفضل هذا النوع أجمعه للثناء على الله وأعمه : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

وقال النبي ﷺ:((سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)) أخرجه مسلم (٣).

وقال النبي ﷺ: (أحب الكلام إلى الله أربع، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت) أخرجه مسلم (٤).

والثناء على الله بأحكام أسمائه وصفاته، كقولنا الله ﷻ يرى جميع الذرات في ملكه، ويسمع جميع الأصوات من جميع عبيده، ويرزق جميع خلقه في جميع ملكه .

وهذا النوع من الذكر ثلاثة أنواع:

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٤) ومسلم برقم (٢٦٩٣) .

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٩) ومسلم برقم (٣٥).

(٣)**أخرجه** مسلم برقم (٢٧٢٦) .

(٤)**أخرجه** مسلم برقم (٢١٣٧) .

حمد للرب.. وثناءٌ عليه.. وتمجيدٌ له.

فالحمد لله إخبار عن الله بصفات كماله، مع محبته، والرضا به، والتسليم لأمره، فإن كرر المحامد شيئاً بعد شيء كانت ثناءً، وإن كان المدح بصفات الجلال والكبرياء والعظمة كان تمجيداً لله ﷻ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

وقد جمع الله لعباده هذه الأنواع الثلاثة في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة:٢-٧].

((فإذا قالَ العَبْدُ: {الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ}، قالَ اللهُ: حَمِدَني عَبْدِي، وإذا قالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قالَ اللهُ: أثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وإذا قالَ: {مالِكِ يَومِ الدِّينِ}، قالَ اللهُ: مجَّدَني عَبْدِي)) أخرجه مسلم (١).

النوع الثاني من الذكر ذكر آلاء الله، وإنعامه، وإحسانه إلى خلقه، وذكر أنواع فضله على عباده، كما قال الله ﷻ لقوم هود: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف:٦٩].

النوع الثالث: ذكر أمر الله ونهيه، ويكون ذلك بذكره أنه هو الرب الذي أخبر بذلك، وأمر بذلك، ونهى عن ذلك، وأعان على ذلك، وأثاب على ذلك، وذكره سبحانه عند أمره، أن نبادر إلى فعله، وذكره عند نهيه أن نهرب منه ونحذره: ﴿وَمَآ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٩٥).

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾
[الحشر:٧].

فإذا اجتمعت هذه الأنواع الثلاثة للذاكر، فذكره أفضل الذكر، وأجلّه وأعظمه، وأكمله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقال النبي ﷺ: ((سَبَقَ المُفَرِّدُونَ قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ؟ يا رَسولَ الله، قالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ)) أخرجه مسلم (١).

والذكر أفضل من الدعاء لأن الذكر ثناء على الله بأسمائه، وصفاته، وجميل أوصافه وآلائه، وهذا أعظم أنواع العبودية، لهذا أمر الله بالإكثار منه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

أما الدعاء فهو سؤال العبد حاجته من ربه، فأين هذا من ذلك، ولهذا يستحب عند الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله، والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته، كما جاء في سورة الفاتحة.

والدعاء يستجاب إذا تقدمه الثناء على الله ﷻ، فإذا انضاف إلى ذلك إخبار العبد بفقره، ومسكنته، وضعفه، واعترافه بذلك، كان أبلغ في الإجابة، وأفضل كما

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٦).

استغاث يونس ﷺ بربه كما قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وكما قال سبحانه في أول سورة الفاتحة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٢-٧].

وقراءة القرآن أفضل الذكر، وهي أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، ولكل واحد من الثلاثة مواضع هو أفضل فيها من غيرها، فيوضع كل شيء في موضعه، كما جاء عن الله ورسوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال النبي ﷺ: ((مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فهو رَدٌّ)) أخرجه مسلم (١).

وذكر الله ﷻ على ثلاث مراتب:

فأعلى مراتب الذكر هو ذكر الله بالقلب واللسان، لأنه يورث حياة القلب، ويزرع حب الله فيه، ثم يليه الذكر بالقلب فقط، لأن ذكر القلب هو المقصود، ثم يليه الذكر باللسان فقط، لأن اللسان ينبه القلب لذكر الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وأنواع الذكر كثيرة تستغرق جميع أوقات المسلم في يومه وليلته، كأذكار الصباح والمساء التي هي الدرع الواقي للعبد من كل شر وأذى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل: ٨-٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

ومنها ما هو ذكر مخصوص في أوقات محددة، كالذكر عند دخول الخلاء، والذكر عند الأكل والشرب، وأذكار السفر، وأذكار النوم، وأذكار الأكل والشرب، وغير ذلك من الأذكار التي تدور مع الإنسان، في سائر أوقاته وأحواله.

وكانَ النبيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ على كُلِّ أَحْيَانِهِ. أخرجه مسلم (١).

ومن رحمة الله أن فتح لنا أبواب الذكر في كل وقت ومناسبة، فالصلاة ذكر، وقراءة القرآن ذكر، والتفكر في عظمة الله ذكر، والتفكر في عظمة مُلك الله ذكر، والتفكر في نعم الله الظاهرة والباطنة ذكر، والتسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير ذكر لله ﷻ، وهن أيسر الكلام، والباقيات الصالحات غراس الجنة، والصلاة والسلام على النبي ﷺ من الذكر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وكل ما يفضي إلى معرفة الله والتقرب إليه ذكر لله ﷻ.

فالدعاء ذكر، والنصيحة ذكر، والدعوة إلى الله ذكر، والأمر بالمعروف ذكر، والنهي عن المنكر ذكر، وطلب العلم ذكر، وتعليم العلم الإلهي ذكر، وهكذا كل عبادة مشروعة ذكر لله، وكل معاملة مشروعة ذكر لله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٧٣).

٣- الأسباب المعينة على ذكر الله ﷻ

الأول: العلم بالله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة .

فمن عرف ربه العظيم، آمن به، وأحبه، ومجّده، وحمده، وشكره، وأكثر منذكرهوالثناء عليه : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

الثاني: التفكر في آيات الله ومخلوقاته :﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

الثالث: تدبر القرآن، والإكثار من تلاوته، وتصديق أخباره، والعمل بأحكامه : ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

الرابع: معرفة نِعم الله على عباده، ومن عرف ربه الغني المنعم على خلقه قام بواجب الشكر له :﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

الخامس: معرفة رحمة الله بعباده، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، ومن عرف ذلك حمد الله، وأكثر من ذكره وشكره :﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر:٧].

السادس: الخوف من الله ﷻ، وشدة انتقامه ممن كفر به، وأعرض عنه، ومن خاف ربه اتقاه، وأطاعه ولم يعصه :﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر: ٤٩-٥٠].

السابع: الطمع في ثواب الله ورحمته، وعفوه وإحسانه، ومن عرف ذلك أكثر من ذكر ربه، ورغب فيما عنده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

الثامن: لزوم البيئة الإيمانية الذاكرة، وحضور مجالس العلم والوعظ، والانقطاع عن جو الغفلة والمعاصي: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

التاسع: معرفة الأجور العظيمة التي وعد الله بها الذاكرين لله، والمسبحين بحمده، والمستغفرين له: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

العاشر: العلم بأن الله يصلي على أوليائه الذاكرين له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

الحادي عشر: دعاء الله عز وجل أن يعينه على ذكره، وشكره، وحسن عبادته: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

٤ - ثمرات ذكر الله ﷻ

من أعظم ثمرات ذكر الله ﷻ ذكر الله للعبد، ومحبته له، ورضاه عنه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

وذكر الله ﷻ نعمة كبرى، به تستجلب النعم، وبه تستدفع النقم.

وذكر الله جل جلاله قوت القلوب، وقرة العيون، وسرور النفوس، وروح الحياة، وحياة الأرواح: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ۝٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وذكر الله ﷻ يسهل القيام بأنواع الطاعات والعبادات، ويُقوي القلب والبدن، ويُنور الوجه والقلب، ويَملأ القلب بالفرح والسرور.

وذكر الله ﷻ يُرضي الرحمن، ويُثمر محبته للذاكر، وذكره له في الملأ الأعلى.

وذكر الله ﷻ يزيل الهم والغم والحزن عن القلب، ويطرد الشيطان ويقمعه.

وذكر الله ﷻ يكسو الذاكر المهابة، والحلاوة، والنضرة والجمال، ويثمر محبة الله ورسله، ودينه وأوليائه.

وذكر الله ﷻ يثمر أنواع الطاعات والقربات، ويورث مراقبة الله، حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه بصفات جلاله وجمالهوكماله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾ [الملك:١٢].

وذكر الله جل جلاله يثمر للعبد الإنابة إلى الله، والرجوع إليه، والتسليم لأمره، والخشية له، والافتقار إليه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

وذكر الله ﷻ يورث القرب من الله، والأنس به، فعلى قدر ذكر العبد لربه يكون

قربه منه، وذكره له: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

وذكر الله ﷻ يفتح للعبد أبواباً عظيمة من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

ويورث الهيبة لله وإجلاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

وذكر الله ﷻ يورث محبته، والأنس به، ويزيل الوحشة بين العبد وربه.

وذكر الله ﷻ سبب لنزول الرحمة على من ذكره، ونزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة للذاكرين.

قال النبي ﷺ: ((لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَّ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عليهمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُّ فِيمَن عِنْدَهُ)) أخرجه مسلم (١).

وذكر الله جل جلاله يشغل اللسان عن الغيبة، والنميمة، وقول الفحش، والباطل، ويشغلها بالذكر والدعاء، والتكبير والتسبيح، والاستغفار والشكر.

إن ذكر الله ﷻ سبب لإظلال العبد يوم القيامة بظل عرش الرحمان، يوم لا ظل إلا ظله.

قال النبي ﷺ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُّ في ظِلِّهِ، يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشأَ فِي عِبادَةِ اللهَّ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَساجِدِ، ورَجُلَانِ تحَابَّا في اللهَّ: اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللهَّ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاها حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَّ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.)) متفق عليه (٢).

وذكر الله ﷻ أيسر العبادات، وأجلّها، وأفضلها، وأيسرها، وأعظمها أجراً، لأنه غراس الجنة، وهو متيسر للعبد في جميع الأوقات والأحوال، وفي القلب حاجة وفاقة لا يسدها إلا ذكر الله ﷻ، والافتقار إليه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٠) ومسلم برقم (١٠٣١).

ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر:١٥].

وذكر الله ﷻ ينبه القلب من نومه، ويوقظه من رقدته، ويذكره بمولاه الذي خلقه ورزقه وهداه: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾[المزمل:٨-٩].

وذكر الله ﷻ عبادة قلبية عظيمة، وأجورها عظيمة، فذكر الله يعدل عتق الرقاب، وإنفاق الأموال، والحمل على الخيل، والضرب بالسيف في سبيل الله.

وذكر الله ﷻ رأس الشكر، فما شَكر الله من لم يَذكره، ويُكبره، ويُمجده.

وأكرم الخلق على الله من لا زال لسانُه رطباً بذكر الله ﷻ، وفي القلب فاقة لا يسدها إلا ذكر الله، وفي القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله ﷻ، وفي القلب غفلة لا يزيلها إلا ذكر الله، وفي القلب أمراض وشفاؤها بذكر الله، وفي القلب شَعَثٌ لا يَلُمُّه إلا ذكرُ الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد:٢٨].

إن ذكر الله ﷻ يثمرُ صَلاة الله وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله وملائكته عليه أفلح كل الفلاح، وسعد كل السعادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب:٥٦].

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

إن رياض الجنة في الدنيا هي مجالس الذكر، ومجالس الذكر هي مجالس الملائكة، والملائكة لا تَجلس إلا في مجلس يُذكَر الله تعالى فيه.

والله سبحانه يغفر للذاكرين، ويُباهي بهم الملائكة.

وذكر الله ﷻ من أكبر العون على طاعة الله، فإنه يحببها للعبد، ويسهلها عليه، ويجعلها قرة عينه.

وذكر الله ﷻ يُسهل الصعب، ويُيسر العسير، ويهون الشاق، ويُفرج الكرب، فما ذُكر الله ﷻ على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا على كرب إلا انفرج، ولا على مشقة إلا هانت، ولا على شدة إلا زالت: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾[البقرة:١٥٢].

إن السهول والجبال،والصحاريوالقفار، تتباهى بمن يذكر الله عليها، وتستبشر بمن يمر عليها من الذاكرين.

وكثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق، فإن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾[النساء:١٤٢].

ويحصل للذاكر من اللذة والسرور والأنس بالله ما لا يحصل لغيره من الغافلين، وبالإكثار من ذكر لله تكثير لشهود العبد يوم القيامة.

وذكر الله ﷻ سبب لحضور الملائكة، وسبب لتفرق جميع الشياطين التي تحيط بالإنسان: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾[الأعراف:٢٠٥].

٥ - أسباب الإعراض عن ذكر الله عز وجل

أعظم أسباب الإعراض عن ذكر الله عز وجل:

الأول: اهتمام الإنسان الزائد بالحياة الدنيا، وما فيها من شهوات وملذات، وملهيات تشغل العبد عن ذكر الله، وامتثال أوامره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ [المنافقون:٩].

الثاني: اعتقاد بعض الناس أن الإسلام يقتصر على سلوكيات معينة، وعبادات معينة، فيقتصر على ذلك، ويهمل ما سوى ذلك، وهذا فهم خاطئ، فالإسلام دين كامل شامل لجميع أحوال العبد: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

الثالث: طول الأمل، والتسْويف، والغرور بالدنيا، فيؤخر العبد ما يُريد فعله من أوامر الله، ويُؤجل الأعمال يوماً بعد يوم، فينتهي عُمره وهو لم يُقدم شيئاً لآخرته.

الرابع: كثرة الذنوب والمعاصي التي تُؤَثر على قلب المسلم، وتصُده عن ذكر الله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين:١٤].

الخامس: عدم رؤية نعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى، وعدم شُكر الله على ما أنعم به على عباده، من النعم الظاهرة والباطنة، وذلك يؤدي إلى الحرمان منها: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم:٧].

السادس: عدم الجلوس في البيئة الإيمانية الذاكرة وكثرة الجلوس في البيئات الغافلة: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا

تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

السابع: عدم معرفة الأجور والخيرات المترتبة على أداء الأذكار المشروعة: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وصور الإعراض عن ذكر الله كثيرة.

منها البعد عن ذكر الله مكانياً، فيبتعد العبد عن مجالس الذكر والإيمان والوعظ، ويقعد في أماكن الغفلة والمعاصي، والمنكرات.

ومنها الإعراض عن ذكر الله قلبياً، فقد يحضر العبد مجالس الذكر، لكن بجسده دون قلبه، فهو غائب وغافل وإن كان حاضراً.

ومنها الإعراض عن ذكر الله عملياً، فهو مقصر في عبوديته لربه قولاً وفعلاً.

ومنها البعد عن ذكر الله شعورياً، فينسى العبد ذكر ربه، لأنه مشغول بشهواته وملذاته عن ذكر ربه: ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧].

٦ - عقوبات الإعراض عن ذكر الله ﷻ

عقوبات من أعرض عن دين الله، وعن ذكره:

العقوبة الأولى: انتقام الله ﷻ ممن أعرض عنه، وعن دينه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)﴾ [السجدة:٢٢].

الثانية: الشقاء في الدنيا والآخرة: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

الثالثة: الاتصاف بصفة الظلم، لأن من أعرض عن ربه ودينه فقد ظلم نفسه، وعرّضها لعقوبة الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)﴾ [السجدة:٢٢].

الرابعة: عدم استطاعته أن يفقه شيئاً من الدين، لأن قلبه مغطى بغطاء يمنعه من التدبر والتفكر، وفي أذنيه وقراً لا يستطيع سماع الحق: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)﴾ [لقمان:٧].

الخامسة: نزول العذاب الشديد من الله على من أعرض عن دينه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ [هود:١٠٢].

السادسة: اقتران الشيطان بمن أعرض عن دين الله، يزين له الباطل، ويصده عن الحق: ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨)﴾ [النساء:٣٨].

السابعة: الحرمان من دخول الجنة، ودخول النار يوم القيامة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

الثامنة: زيادة العذاب يوم القيامة: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧].

وقال ﷻ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

التاسعة: دخول النار يوم القيامة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً، ويقيناً صادقاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، يا أرحم الراحمين.

﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخمسون

عبادة دعاء الله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه الدعاء.

الثاني : أنواع الدعاء.

الثالث : شروط الدعاء.

الرابع: آداب الدعاء.

الخامس : الأسباب المعينة على إجابة الدعاء.

السادس : دعاء الأنبياء في القرآن الكريم.

السابع : ثمرات الدعاء.

العبادة الخمسون

عبادة دعاء الله عز وجل

١ - فقه الدعاء

الدعاء هو إظهار الافتقار إلى الله ﷻ، والتبرؤ من الحول والقوة، والرغبة إلى الله ﷻ.

الدعاء هو استدعاء العبد من ربه العناية، واستمداده منه المعونة.

والدعاء هو العبادة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وإظهار الفقر والفاقة أمام رب البرية: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فالدعاء هو العبادة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: «الدُّعاءُ هو العبادةُ» أخرجه أبو داود والترمذي[١].

والدعاء هو طلب الأدنى من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة.

والدعاء هو الابتهال إلى الله بالسؤال، والرغبة فيما عنده من الخير: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

والأدعية المشروعة نوعان:

أحدها: الأوراد والأذكار المشروعة في كل يوم وليلة

وهي الأدعية المشتملة عليتجديد الإيمان، والتذكير بالله ﷻ، وطلب المقاصد والأرزاق، ودفع كيد الكائدين، ومكر الأعداء من شياطين الجن والإنس.

---

(١)صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٤٧٩) والترمذي برقم (٢٩٦٩).

وتشمل أذكار الصباح والمساء، والأذكار المطلقة والمقيدة، وأذكار الأحوال العادية، والأذكار في أحوال الشدة.

الثاني: مناجاة الرب ﷻ.

وهيالأدعية الواردة في الكتاب والسنة، المشتملة عليجوامع الكلم، وأنواع الكلام من طلب التوبة، والاستغفارللرب،والاستعانةبه،والاستغاثةبه،والاعتذار إليه مما سلف من الذنوب،وإظهار الفقر والفاقة بين يديه وإظهار الحب والتعظيم والذل له، والانكسار بين يديه، وطلب ما ينفع من خيري الدنيا والآخرة منه، وطلب النجاة مما يضر في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾[السجدة:١٥-١٧].

والدعاء عبادة قلبية عظيمة، والدعاء هو العبادة، والبلسم الشافي من كل داء، وسلاح المؤمن، وسلم وصوله إلى ما يبتغيه من تحصيل مصلحة، أو دفع مفسدة.

والإنسان خلقه الله ﷻ فقيرًا إلى ربه في جميع أحواله، ليقف دائما بباب الملك الغني القادر على كل شيء.

والله وحده غني عن كل ما سواه، وكل عبد محتاج إلى ربه لسد عوزه وفقره، وفاقته وحاجاته، والحصول على الغنى والكفاية من ربه الغني: ﴿۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾[فاطر:١٥].

فالفقر وصف ذاتي لكل مخلوق، ولا يمكنه الخروج عنه أبداً، رحمة من ربه.

وإذا أراد العبد أن يصل إلى مآربه فلا بد له أن يقف بباب ربه الغني الكريمالذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، ويسأله من فضله، لأن الله هو الغني الذي لا تنفذ خزائنه، الذي ليس لغناه حد: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾ [لقمان:٢٦].

وكل أحد محتاج إلى ربه الغني من الذرة إلى العرش، ومن الملائكة، والأنبياء، والرسل، وسائر الخلق.

ولا يستطيع أحد أن يصل إلى ما يبتغي، أو ينال ما يريد، إلا بدعاء الله ﷻ.

ولهذا أمر الله عباده بسؤاله ودعائه والاستعانة به وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر:٦٠].

وأخبر سبحانه عباده أنه قريب مجيب يجيب دعاء كل من دعاه، ليتوجه الناس إليه في جميع حوائجهم، ولا يقفوا بباب أحد سواه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة:١٨٦].

وجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام تحصّلوا على ما يريدون بواسطة الدعاء، وصدق التوجه إلى ربهم، فأجاب الله دعاءهم كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾ [إبراهيم:٤٠].

فاستجاب الله دعاءه، وحقق مراده، وجعل في ذريته النبوة والكتاب.

وقال نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ [نوح:٢٨].

وكما استجاب الله دعاء أنبيائه ورسله حين دعوه بصدق وإخلاص، كذلك يستجيب دعاء أتباعهم من المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

٢ - أنواع الدعاء

الدعاء نوعان:

الأول : دعاء العبادة ، وهو طلب الأجر والثواب من الله بالأعمال الصالحة كالنطق بالشهادتين، والعمل بموجبهما، وأداء الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من العبادات : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

فالمسلم يتعبد لله بذلك تعظيمًا لربه، وطلبًا لثوابه، وخوفًا من عقابه، وامتثالًا لأمره، واجتناباً لنهيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج: ٧٧] .

الثاني: دعاء المسألة، وهو أن يطلب العبد من ربه جلب نفع، أو إزالة ضرر، متوسلًا إليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، كأن يقول يا رحمن ارحمني، ياغفار اغفر لي، يارزاق ارزقني، يا شافي اشفني، يا كريم أكرمني كقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١] .

ودعاء العبادة، ودعاء المسألة، متلازمان، وكل واحد يدخل في الآخر، فالمصلي يكبر الله ويدعو، لأنه يرجو رضاه والجنة، ويخاف من سخطه والنار .

ودعاء المسألة والطلب كقولنا: اللهم ارحمني يارحمن،وهودعاء عبادة، لما فيه من تعظيم الرب، وسؤاله له.

فالمصلي والصائم والمتصدق، والحاج والمعتمر، وطالب العلم، والبار بوالديه إنما يريد بذلك التقرب إلى الله، ودخول دار كرامته، فهو داع بلسان الحال والسائل داع بلسان المقال.

وكل عبادة دعاء، وكل دعاء عبادة: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

وأعظم مقاصد الدين هو تحقيق أعلى درجات العبودية لله عز وجل،بحيث يتوجه المسلم إلى ربه وحده في كل حال، ولا يلتفت إلى غيره أبداً: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

فلا يسأل دائمًا إلا الله وحده، ولا يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، وهذا روح العبودية التي يريدها الله من العبد: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

والمقصود الآخر من الدعاء قضاء حاجات السائلين، وإظهار فضل الله على الداعين، ودفع الآفات والشرور عنهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة:١٨٦].

٣- شروط قبول الدعاء

الأول : الإخلاص، بأن يسأل العبد ربه وحده لا شريك له، بأن يطمع في رضاه وحده، ويرجو ثوابه وحده، ويخاف عقابه وحده : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

الثاني : المتابعة بأن يكون دعاءه حسب ما جاء عن الله ورسوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف:١١٠].

وقال الله عز وجل :﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨].

الثالث :حضور القلب أثناء الدعاء، فالله لا يستجيب لعبدٍ قلبه ساهٍ لاهٍ غافلٍ عنه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

الرابع : الثقة بالله ﷻ،وحسن الظن به، واليقين على أن الله قادر على كل شيء، وأنه يقول للشيء كن فيكون، وأنه وحده القادر على قضاء حاجتي، وأنه يحب أن يقضي حاجتي، ويجيب دعوتي: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

ولهذا أمر الله عباده بسؤاله وحده، وأخبر عباده بأنه قريب مجيب لا يرد سائله، ولا يخيب مؤمله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦].

الخامس: الدعاء، والجزم في الدعاء، فيدعو الداعي ربه وهو موقن بالإجابة، فإن الله لا مكره، وبقطع الرجاء من كل ما سواه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾

﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

وقال النبي ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ ، واعلمُوا أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ دُعاءً من قلْبٍ غافِلٍ لَاهٍ» أخرجه الترمذي(١).

وقال ﷺ: «لا يقولُ أحدُكم اللَّهمَّ اغفِر لي إن شِئت اللَّهمَّ ارحَمني إن شِئت ليعزِم المسألَةَ فإنَّه لا مُكرِه لهُ» متفق عليه (٢).

ومقصود الدعاء ليس الإجابة فقط، إنما المقصود الأعظم هو التوجه إلى الله وسؤاله وحده، والتوكل عليه وحده، والاستعانة به وحده في كل حال، لأن الله أمر بالسؤال، ووعد بالإجابة كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر: ٦٠].

السادس: التضرع والخشوع، والرغبة والرهبة كما قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾[الأعراف: ٥٥].

وقال الله ﷻ عن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٨) ومسلم برقم (٢٦٧٨).

٤ - آداب الدعاء

للدعاء آداب يجب على المسلم أن يتحلى بها عند دعاء ربه وسؤاله:

منها الثناء على الله ﷻ، ثم الصلاة على النبي ﷺ، ثم طلب حاجاته من ربه، واستشعار عظمة ربه، مع الرغبة والرهبة، وإظهار التذلل والحاجة والافتقار بين يديه، والبكاء أثناء الدعاء، ودعاء الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

والدعاء بأحسن الكلام وجوامعه مما ورد من الأدعية في القرآن والسنة وما يوافقهما، وحضور القلب بين يدي الله، واليقين على الإجابة، وخفض الصوت، والإلحاح في الدعاء، وتكرار الدعاء، والاعتراف بالذنوب والخطايا أمام الله كما قال آدم ﷺ وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

ومن آداب الدعاء:

دعاء الله في حال الرخاء والشدة، والحرص على دعاء الله في الأوقات الفاضلة كثلث الليل الآخر عندما ينزل الرب إلى السماء الدنيا، ودعاء الرب ﷻ في الأحوال الفاضلة كحال السجود في الصلاة، والتوبة إلى الله من جميع الذنوب والمعاصي، والحرص على الوضوء قبل الدعاء، والتوجه إلى القبلة أثناء الدعاء، ورفع اليدين عند الدعاء، والتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة كبر الوالدين، والصلاة، والصدقة، والصيام، ونحو ذلك،لتكون العبادة وسيلة للإجابة، والجزم

في الدعاء، وكمال اليأس من كل ما سوى الله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١].

ومن دعا لنفسه ولغيره، ليكون أكثر ثواباً، فيدعوا لنفسه، ولغيره من الوالدين، والأولاد، والإخوة، والأقارب، والمسلمين والمسلمات، كما قال نوح ﷺ: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨ ﴾[نوح:٢٨].

وقال إبراهيم ﷺ : ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

ويجتنب الداعي الاعتداء في الدعاء، ويجتنب الدعاء على النفس والأهل والمال، والحذر من أكل الحرام، والبعد عن المعاصي، وعدم استعجال الإجابة، وإخفاء الدعاء، وعدم الجهر به : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾[الأعراف:٥٥].

وقال النبي ﷺ: ((سْتَجابُ لأَحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)) متفق عليه (١)

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٠) ومسلم برقم (٢٧٣٥).

٥ - الأسباب المعينة على إجابة الدعاء

الأول :اليقين على كمال أسماء الله وصفاته، وأفعاله، واليأس من كل ما سواه، وبقدر اليقين تكون الإجابة : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

الثاني : الإخلاص في الدعاء، وهو اليقين الجازم بأن الله وحده هو القادر على قضاء الحاجات، وإجابة الدعوات : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠].

الثالث : التوبة والاستغفار من الذنوب والمعاصي قبل الدعاء، لأن المعاصي تمنع إجابة الدعاء كما قال نوح لقومه :﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[نوح:١٠-١٤].

الرابع : التضرع والخشية والتذلل بين يدي الله، والرغبة إليه، والرهبة منه، والانكسار بين يديه كما قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الأعراف:٥٥].

الخامس :الإلحاح في الدعاء، وتكراره ثلاثاً، وعدم الضجر والملل من ذلك، فأفضل العبادة انتظار الفرج: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح: ٥ –٦] .

السادس :دعاء الله حال الرخاء، والإكثار منه في وقت اليسر والسعة.

قال النبي ﷺ: «تعرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ يعرفُكَ في الشدَّةِ» أخرجه أحمد(١).

السابع: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

الثامن: الدعاء بأدعية الكتاب والسنة، وما يوافقهما من الأدعية.

التاسع: استقبال القبلة حال الدعاء، وأن يكون الداعي على طهارة، ورفع اليدين حال الدعاء.

العاشر: افتتاح الدعاء بالثناء على الله ﷻ وحمده، ثم الصلاة والسلام على النبي ﷺ، ثم يسأل العبد ربه حاجته، كما في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة:٢-٧].

وقال النبي ﷺ: «إذا صلَّى أحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ على النبيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِما شاءَ» أخرجه الترمذي وأبو داود(٢).

الحادي عشر: تحري الأوقات الفاضلة عند الدعاء كوقت السحر، وهو ما قبل الفجر، والثلث الأخير من الليل حين ينزل الرب إلى السماء الدنيا، ومابين الأذان والإقامة، وآخر ساعة من يوم الجمعة، ويوم عرفة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا

(١) صحيح: أخرجه احمد، برقم (٢٨٠٣).
(٢) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٧)، وأبو داود برقم (١٤٨١).

ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩
﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ
﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾
[السجدة: ١٥-١٧].

الثاني عشر : تحري الأماكن الفاضلة كالمساجد عمومًا، والمسجد الحرام خصوصًا، وعند الطواف بالكعبة، وعند السعي بين الصفا والمروة.

الثالث عشر: من الأحوال التي يستجاب فيها الدعاء، دعاء الله حال السجود في الصلاة،ودعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب،ودعوةالمسافر،ودعوة المضطر: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[النمل: ٦٢].

وعلى المسلم أن يجتهد في الإتيان بأسباب إجابة الدعاء قدر وسعه، ويحذر موانع إجابة الدعاء حسب قدرته.

والله حيي كريم لا يرد سائلًا، ولا يخيب مؤملا :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة: ١٨٦].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ ربَّكم حييٌّ كريمٌ يستَحي مَن عبدِه إذا رفعَ يديهِ إليه يدعوهُ أن يردَّهما صفرا» أخرجه ابو داود والترمذي(١) .

---

(١) صحيح: أخرجه ابو داود برقم (١٤٨٨) والترمذي برقم (٣٥٥٦) .

وقد أمر الله المسلم بالدعاء، ووعد بالإجابة، والله لا يخلف الميعاد :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

وإجابة الدعاء أنواع:

إما أن يستجيب الله للداعي ويعطيه ما طلب، أو يدفع عنه به شرًا، أو ييسر له ما هو خير منه، أو يدخره له عنده يوم القيامة حيث يكون العبد إليه أحوج .

قال النبي ﷺ: «ما مِن مسلمٍ يدعو بدَعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلَّا أعطاه اللهُ بها إحدى ثلاثٍ إمَّا أن يُعَجِّلَ له دَعوتَه وإمَّا أن يدَّخِرَها في الآخرةِ وإمَّا أن يصرِفَ عنه مِنَ السُّوءِ مِثلَها قالوا إذن نُكْثِرَ قال اللهُ أكثَرُ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[1].

([1])صحيح: أخرجه احمد برقم (١١١٣٣) والبخاري في الأدب برقم (٧١٠) .

٦ -دعاء الأنبياء في القرآن الكريم

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أعرف الخلق بالله، وأحسنهم عبادة له، وأفضلهم دعاء له، وأصدقهم يقيناً عليه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ودعاء الله عَزَّوَجَلَّ من أعظم العبادات القلبية التي كان يدعو بها جميع الأنبياء والرسل فتقضى حوائجهم، وينالون من ربهم ما يريدون، وقد دعوا الله فأجاب دعاءهم.

والأنبياء والرسل قدوةٌ للناس جميعًا، لأنهم أفضل الخلق، فعلينا الاقتداء بهم في توحيدهم، وإيمانهم، ودعائهم، وأخلاقهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومن أدعية الأنبياء والرسل في القرآن الكريم دعاء آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

ومن دعاء نوح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

ومن دعاء نوح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٠-١٤].

ومن دعاء إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

ومن دعاء إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧-٣٨].

ومن دعاء موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

ومن دعاء أيوب ﷺ: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٣-٨٤].

ومن دعاء يونس ﷺ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٧-٨٨].

ومن دعاء زكريا ﷺ: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٩-٩٠].

ومن دعاء داوود ﷺ وجنوده عندما برزوا لقتال جالوت: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١].

ومن دعاء سليمان ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[ص: ٣٥-٤٠].

٧- ثمرات الدعاء

للدعاء ثمرات كثيرة، وفضائل عظيمة :

إحداها : أن الدعاء هو العبادة، ومقصود الرب من خلقه عبادته وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦] .

وقال النبي ﷺ: «الدُّعاءُ هو العبادةُ» أخرجه أبو داود والترمذي[١]

الثانية : أن الدعاء طاعة لله، وامتثال لأمره كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

الثالثة: بالدعاء السلامة من الكبر: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠].

الرابعة :الدعاء أكرم شيء على الله، لما فيه من إظهار العبد الذلة والمسكنة، وإظهار الفقر والفاقة، بين يدي ربه العزيز الجبار.

قال ﷺ: «ليسَ شيءٌ أكرمَ علَى اللهِ من الدُّعاءِ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[٢].

الخامسة :الدعاء سبب لدفع غضب الله عن العبد.

قال النبي ﷺ: «مَن لم يسألِ اللهَ يغضبْ علَيهِ» أخرجه أحمد والترمذي[٣].

السادسة : الدعاء دليل على صدقالتوكل على الله، وهو اعتماد العبد على ربه في جميع أموره، والتوكل من أعظم مقامات العبودية : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣].

---

(١)صحيح: أخرجه أبو داودبرقم (١٤٧٩) والترمذي برقم (٢٩٦٩) .

(٢)صحيح: أخرجه احمد برقم (٨٧٤٨) والترمذي برقم (٣٣٧٠).

(٣)حسن: أخرجه احمد برقم (٩٧١٩) والترمذي برقم (٣٣٧٣).

السابعة : الدعاء سبب لقوة القلب، وعلو الهمة، وذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد، ينزل به حاجاته، ويستعين به في جميع أموره، وهو ربه الذي بيده مقاليد كل شيء، ولا يلتفت لأحد سواه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته قويت عبوديته لربه، وتحرر من عبودية ما سواه :﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

الثامنة : الدعاء دليل على العزم، والسلامة من العجز، والرغبة في المغفرة والأجر:﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾[السجدة: ١٥].

التاسعة :أن من دعا ربه أجابه، لأن الله كريم لا يرد سائلًا، ولا يخيب مؤملًا، ولا يقطع رجاء من رجاه : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة:١٨٦].

وقال النبي ﷺ:«ما مِن أحدٍ يَدعو بدعاءٍ إلّا آتاه اللهُ ما سألَ أو كفَّ عنه من السُّوءِ مثلَه، ما لم يدْعُ بإثمٍ أو قَطيعةِ رَحمٍ» أخرجه أحمد والترمذي(١).

وقال النبي ﷺ:«ما مِن مسلمٍ يدعو بدَعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلَّا أعطاه اللهُ بها إحدى ثلاثٍ إمَّا أن يُعجِّلَ له دَعوتَه وإمَّا أن يدَّخِرَها في الآخرةِ وإمَّا

---

(١)حسن: أخرجه احمد برقم (١٤٨٧٩) والترمذي برقم (٣٣٨١) .

أن يصرِفَ عنه مِنَ السُّوءِ مِثلَها قالوا إذن نُكْثِرَ قال اللهُ أكثَرُ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[1].

العاشرة : أن الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله، فالله يدفع بالدعاء ما قد قضاه وقدّره على العبد، والدعاء من قدر الله عز وجل.

قال النبي ﷺ:«لا يردُّ القدرَ إلَّا الدُّعاءُ» أخرجه أحمد والترمذي[2].

الحادية عشرة : أنّ الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله، فالدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[النمل:٦٢].

الثانية عشرة : الدعاء يفتح للعبد أبواب لذة مناجاة الله ﷻ، فيفتح الله على من يدعوه أبواب معرفته، ومحبته، والذل له، والخضوع له، والتملق بين يديه، ما ينسيه حاجته.

الثالثة عشرة : الدعاء من صفات الأنبياء والمرسلين كما قال الله عنهم : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠].

والدعاء من صفات أولياء الله المتقين :﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر:١٠].

الرابعة عشرة : الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء، كما قال الله عن طالوت وجنوده :﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (١١١٣٣) والبخاري في الأدب برقم (٧١٠) .

(٢)حسن: أخرجه الترمذي برقم (٢١٣٩) .

وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١].

الخامسة عشرة: أن الدعاء مفزع المظلومين، وملجأ المستضعفين، وحصن الخائفين، كما دعا نوح ربه فأجابه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٠-١٤].

السادسة عشرة: الدعاء دليل على صدق الإيمان بالله، والاعتراف له بالربوبية والألوهية والعبودية: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

٨ - موانع إجابة الدعاء

الأول: أن يكون الداعي ضعيفًا في نفسه، لضعف يقينه وإيمانه بربه، وضعف قلبه في إقباله على الله.

الثاني : أن يكون الدعاء ضعيفًا في نفسه، لما فيه من الاعتداء والاعتداء سؤال الله عما لا يجوز سؤاله،كأن يدعو ربه أن يخلده في الدنيا، أو يرزقه الولد بدون نكاح، أو يدعو على نفسه بالموت، أو يدعو بإثم أو محرم أو قطيعة رحم.

قال النبي ﷺ: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ للعبدِ ما لم يَدْعُ بإثمٍ أو قَطِيعةِ رَحِمٍ» متفق عليه(١)

الثالث : أن يكون في الدعاء سوء أدب مع الله عز وجل، كرفع الصوت بالدعاء، ودعاء الله دعاء المستغني، أو التكلف في اللفظ والانشغال به عن المعنى، أو تكلف البكاء والصياح دون وجوده.

الرابع : الوقوع في شيء من محارم الله مثلاًكل المال الحرام، ودخول الوظائف المحرمة، وكل هذا من أكبر موانع إجابة الدعاء.

قال النبي ﷺ:«يا أيُّها النَّاسُ إنَّ اللهَّ طيِّبٌ لا يقبلُ إلَّا طيِّبًا ، وإنَّ اللهَّ أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ بِهِ المرسلينَ فقالَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾[المؤمنون:٥١]وقالَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢]قالَ وذَكرَ الرَّجلَ يُطيلُ السَّفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يدَه إلى السَّماءِ يا ربِّ يا ربِّ ومطعمُه حرامٌ ومشربُه حرامٌ وملبسُه حرامٌ وغذِّيَ بالحرامِ فأنَّى يستجابُ لذلِك» أخرجه مسلم (٢).

الخامس : استعجال الإجابة، وترك الدعاء .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨١) ومسلم برقم (٢٧٣٥).

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) .

قال النبي ﷺ: «يُسْتَجابُ لأحَدِكُمْ ما لمَ يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» متفق عليه (١).

السادس : تعليق الدعاء، وعدم الجزم به، كأن يقول الداعي: اللهم اغفرلي إن شئت.

قال النبي ﷺ: «لا يقولُ أحدُكم اللَّهمَّ اغفِر لي إن شِئت اللَّهمَّ ارحَمني إن شِئت ليعزِم المسألةَ فإنَّه لا مُكرِه لهُ» متفق عليه (٢).

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران:٨].

اللهم آت نفوسنا تقواها،وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٠١) ومسلم برقم (٢٧٣٥) .

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٨) ومسلم برقم (٢٦٧٨).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الحادية والخمسون

عبادة الأوبة إلى الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الأوبة إلى الله ﷻ.

الثاني: صفات الأوابين..

الثالث: الأسباب المعينة على الأوبة إلى الله ﷻ

الرابع: جزاء الأوابين.

العبادة الحادية والخمسون

عبادة الأَوْبَةِ إلى الله ﷻ

١ - فقه الأَوْبَةِ إلى الله ﷻ

الأوبة: هي الرجوع.

والأوَّاب: هو كثير الرجوع إلى الله، كثير الرجوع إلى طاعة الله، كثير الذكر والتسبيح، دائم العودة والتوبة والرجوع إلى ربه.

الأوَّاب هو الذي كلما أخطأ وأذنب تاب وأناب، ورجع إلى ربه ﷻ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق:٣١-٣٣].

والأوّاب كثير التسبيح كما قال سبحانه عن داود ﷺ: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ:١٠].

الأواب الراجع إلى الله التائب إلى ربه، النادم على ذنوبه، كثير الرجوع إلى طاعة مولاه، كثير الطاعة والعبادة؛ الأوَّاب هو الذي يتذكر ذنوبه الماضية ثم يتوب منها فورًا؛ الأوّاب هو الذي إذا ذَكَر ذنبه في الخفاء استغفر منه في الحال .

الأوّاب هو كثير التوبة والرجوع إلى الله؛ الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، وأفضل الأوابين، وأعظم التائبين، وأصدق المنيبين،همالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم من آمن بهم من الخلق .

قال الله ﷻ عن داود ﷺ: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص:١٧].

وقال سبحانه عن سليمان ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص:٣٠].

وقال سبحانه عن أيوب ﷺ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص:٤٤].

والأَوْبة هي أعظم صفات المتقين، كما قال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ

مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ [ق:٣١-٣٣].

وكل بني آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابون، والخطّاء كثير الخطأ والزلل، وكثير الوقوع في الذنوب والمعاصي، والعبد لا بد أن يجري عليه ما سبق به القدر من الوقوع في فعل الخطايا والذنوب، لأن ذلك مكتوب على العبد .

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ على ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذلكَ لا مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، والنَّفْسُ تَتَمَنَّى وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ» متفق عليه [1].

فالعبد لا يُؤتى من قِبل المعصية التي فعلها وإن عَظُمتْ، وإنما يؤتى من ترك التوبة وتأخيرها، والله توّاب رحيم، يحبّ التوّابين الذين يعترفون بخطئهم، ويعودون إلى ربهم تائبين إليه من ذنوبهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢].

فعلى الإنسان أن يعترف بذنبه عند ربه، ويتوب إليه فورًا، ولا يتمادى في الإصرار على الذنب، وإنما يبادر إلى التوبة إلى ربه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة:٣٩].

والتوبة واجبة على كل أحد من كل ذنب: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١].

وقد مدح الله الأنبياء والرسل بكثرة التوبة والأوبة إلى الله ﷻ، كما قال سبحانه عن داود ﷺ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص:١٧].

وقال عن أيوب ﷺ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص:٤٤].

والله ﷻ حين يعطي هذه الصفة لأنبيائه ورسله، ويسجلها في كتابه العظيم، فإنما هي دعوة لجميع الأمة للتحلي بهذه الصفة العظيمة؛ التي تثمر رضوان الله، ودخول الجنة، كما قال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٤٣) ومسلم برقم (٢٦٥٧).

﴿تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣١-٣٥].

والعبد الأواب هو الذي يذنب ثم يستغفر، ثم يذنب فيستغفر، ثم يذنب فيستغفر؛ لأنه في صراع مع نفسه الضعيفة، ومع عدوه الشيطان الذي يزين له المعاصي: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

فالأواب عبد عرف ربه العظيم، وكلما أذنب ذنبًا لم يُصرّ على معصيته، وإنما يندم ويستغفر، ويتوب إلى ربه، ويرجع إليه، وهذا ديدنه حتى يفارق الحياة: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

والمؤمن توّاب وأوّاب، كلما كرر الذنب كرر بعده التوبة، وكلما أطاع هواه رجع وآب إلى مولاه: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٥].

والفرق بين التوبة، والأوبة، والإنابة:

أن هذه المفردات تشترك في الرجوع إلى الله، وترك المعاصي، وفعل الطاعات، لكن التوبة هي الرجوع عن الذنب، والندم على فعله، خوفًا من عقوبة الله ﷻ.

والأوبة هي الرجوع إلى الله حياءً منه، وطمعًا في ثوابه.

والإنابة هي الرجوع إلى الله بكمال الحب والتعظيم والذلّ له، وإحسان العبادة، ولزوم الاستقامة، تعظيمًا وحبًا للرب جل جلاله، وإذا صدق العبد في توبته صار منيبًا.

والمنيب: هو الراجع عن كل شيء يشغله عن الله، والإنابة درجةٌ أعلى من التوبة، فالمنيب هو الذي يرجع إلى الله في كل حال، ويترك كل ما يشغله عن الله ﷻ، تعظيمًا لربه، وحبًا له، وحياءً منه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥].

وجزاء التوابين الأوابين الخلود في نعيم الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣١-٣٣].

٢ - صفات الأوّابين

من أظهر صفات الأوابين التي يحْسُنُ بالعبد أن يتحلّى بها ما يلي:

الأولى: أن العبد الأوّاب كلما أذنب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا تاب منه، واستغفر ربه، ولم ييأس، ولم يستسلم لوساوس الشيطان.

قال النبيُّ ﷺ فِيما يحْكِي عن رَبِّهِ ﷻ: «قالَ الله تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ، فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» متفق عليه [(١)].

وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لهمْ» أخرجه مسلم [(٢)].

الثانية: الأوّاب إذا أذنب ذنبًا في خلوته بادر إلى التوبة منه، ولم يظهره لغيره، فالأوّاب الحفيظ الذي يذنب الذنب سرًّا، ثم يتوب منه سرًّا: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣١-٣٣].

الثالثة: الأوّاب هو الذي كلما تذكر الذنب، استغفر منه فورًا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

الرابعة: الأوّاب إلى ربه كلما جلس مجلسًا بادر إلى كفارة المجلس قبل أن يقوم منه، كما قال النبي ﷺ: «مَن جلسَ في مجلسٍ فكَثرَ فيهِ لَغَطُهُ، فقالَ قبلَ أن يقومَ من مجلسِهِ ذلِكَ: سُبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا أنتَ أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ، إلَّا غُفِرَ لَهُ ما كانَ في مجلسِهِ ذلِك» أخرجه أحمد والترمذي [(٣)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧) ومسلم برقم (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

(٣) صحيح/ أخرجه احمد برقم (١٠٤١٥) والترمذي برقم (٣٤٣٣).

الخامسة: الأوّاب إذا رجع من سفره أعلن أوبته إلى ربه، فقد كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر قال: «آيبونَ تائبونَ عابدونَ لربِّنا حامِدون» متفق عليه (١).

وكان ﷺ يكرر ذلك حتى يدخل المدينة.

السادسة: المحافظة على صلاة الضحى .

قال النبي ﷺ: لا يحافِظُ علىَ صلاةِ الضُّحى إلَّا أوَّابٌ، وهي صلاةُ الأوَّابينَ ". أخرجه ابن خزيمة (٢).

وقال النبي ﷺ: «صلاةُ الأوَّابين إذا رَمِضَتِ الفصالُ» أخرجه مسلم (٣).

السابعة: سؤال الله ﷻ أن يجعلك أوّابًا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

الثامنة: الأوّاب هو الذي رجع إلى ربه، واستقام على دينه، وحفظ أوامر الله بالامتثال، وحفظ نواهيه بالاجتناب، وحفظ قلبه وجوارحه عمّا يغضب الله، وحفظ وقته فشغله بالخير وما يرضي الله، وصان جوارحه عما حرم الله، وحفظها بالخير، وما يرضى الله، وحفظ حدود الله: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق:٣١-٣٣].

التاسعة: خشية الله ﷻ في السر والعلن، كما قال سبحانه عن الأوّاب: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق:٣١-٣٣].

العاشرة: الإنابة إلى الله ﷻ، والتسليم لأمره والإقبال على طاعته، والحذر من معصيته، كما قال سبحانه: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق:٣١-٣٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٧٩٧) ومسلم برقم (١٣٤٤).

(٢) حسن/ أخرجه ابن خزيمة برقم (١٢٢٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٤٨).

٣- الأسباب المعينة على الأوبة إلى الله ﷻ

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بصفات جلاله وجماله؛ فمن عرف الله حقًا أحبه وخافه ورجاه، وأطاعه ولم يعصه، وخشيه واتقاه:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

الثاني: مجاهدة النفس، وتزكيتها بالأعمال الصالحة، وإلزامها بفعل ما أمر الله ورسوله به، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[الشمس:٧-١٠].

وبالمجاهدة تحصُل الهداية إلى محاسن الأقوال والأعمال والأخلاق :﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت:٦٩].

الثالث: إخلاص العمل لله ﷻ؛ فمن أخلص عمله لله يسَّر له الخير، وصرف عنه السوء والشر، وخلّصه مما يضره، كما قال الله عن يوسف ﷺ:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤﴾[يوسف:٢٤].

الرابع: تذكُّر رحمة الله التي وسعت كل شيء، وأنه يغفر الذنوب جميعًا .

فمن عرف ربه بذلك آبَ إلى ربه، ورجع إليه، وأناب إليه، ولم يقنط من رحمة الله مهما كانت ذنوبه عظيمة أو كثيرة:﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزمر:٥٣].

وقال الله ﷻ:﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر:٤٩-٥٠].

الخامس: المواظبة على أداء الفرائض في أوقاتها خاصة الصلوات الخمس، لأنها تذكِّر العبد بالله، وتجدد إيمانه بمولاه، وتعينه على التوبة إلى الله، مع التقرب إلى الله بالنوافل، وكل ذلك يثمر محبة الله للعبد، ومحبة العبد للرب .

قال النبي ﷺ :إنَّ اللهَّ قالَ: «مَن عادَى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ

عَبْدِي بشيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مماَّ افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» أخرجه البخاري (1).

السادس: المداومة على قراءة القرآن وتدبره، فإن القرآن يهدي للتي هي أقوم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

السابع: المحافظة على أذكار الصباح والمساء، وجميع الأذكار المشروعة؛ لأنها تذكِّر العبد بربه، والإقبال عليه، والأوبة إليه، والتوبة والإنابة إليه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

الثامن: الإكثار من التوبة والاستغفار في كل يوم وليلة، فمن تذكَّر ذنوبه ومعاصيه تاب إلى ربه، واستغفر من ذنبه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

التاسع: تذكُّر الموت وسكراته وما بعده من الأهوال؛ ومن تذكَّر ذلك تاب إلى ربه، وأقلع عن ذنبه، وأقبل على طاعة مولاه، واجتنب معاصيه.

قال النبي ﷺ: " أكثروا ذِكْرِ هادم اللَّذات ". أخرجه الترمذي وابن ماجة (2).

العاشر: استشعار خطورة الذنوب وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة؛ ومن عرف ذلك سارع إلى التوبة إلى الله، والأوبة إليه، وفَعَلَ الطاعات، واجتنب

---

(١) أخرجه البخارية برقم (٦٥٠٢).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

المعاصي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

الحادي عشر: تذكُّر الوعد والوعيد على الطاعات والمعاصي، وتذكُّر الجنّة ونعيمها، والنّار وعذابها؛ فمن تذكَّر ذلك سارع إلى التوبة والإنابة والأوبة إلى ربه الغفور الرحيم، وحرصت نفسه على كل طاعة، وابتعدت عن كل معصية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة:٧٢].

وقال الله ﷻ عن أهل النار: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾[التوبة:٦٨].

الثاني عشر: مصاحبة الصالحين والأخيار، والبعد عن قرناء السوء والأشرار، ومواطن الغفلات والمعاصي؛ فالمرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

الثالث عشر: دعاء الله ﷻ أن يوفقه للتوبة والأوبة والإنابة إلى مولاه، وأن يرزقه الثبات على دينه إلى أن يلقاه، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء، ومن دعا الله أجابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر:٦٠].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة:١٨٦].

٤ - جزاء الأوّابين

قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣١-٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٥].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهُنّا، وارفعنا ولا تضعنا.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثانية والخمسون

عبادة حسن الخلق

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه حسن الخلق.

الثاني: فضائل الأخلاق الحسنة.

الثالث: أقسام الأخلاق.

الرابع: الأسباب المعينة على تحصيل الأخلاق الحسنة.

الخامس: كيفية التعبد لله بالأخلاق الحسنة.

السادس: أسباب سوء الخلق.

العبادة الثانية والخمسون

عبادة حسن الخلق

١ - فقه حسن الخلق

الأخلاق هي الطبع والسجية التي تصدر عن باطن الإنسان على هيئة سلوك وأدب جميل.

الأخلاق هيئة راسخة في النفس يصدر عنها العديد من الأفعال الحسنة بشكل سهل وميسر، مثل الرحمة والعفو والصدق والمحبة والكرم والإيثار والسماحة والمروءة وغيرها من مكارم الأخلاق.

وحسن الخلق عبادة قلبية عظيمة، والله سبحانه كما فاوت بين الناس في الأجسام،فاوت بينهم في الأخلاق، وكما أن زينة الأشجار بالأزهار والثمار، فكذلك زينة الرجال والنساء بالأخلاق والآداب: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ⑦﴾ [الكهف:٧].

وقيمة الإنسان بإيمانه وأخلاقه لا بذاته ولا نسبه، فأبو لهب ذو النسب والحسب سيصلى ناراً ذات لهب، لكفره بالله وإعراضه عن دين الله .

وبلال الحبشي لما آمن بالله أمره النبي ﷺ أن يؤذن فوق ظهر الكعبة عام الفتح، وهو أول الداخلين إلى الجنة لأنه يقود بالنبي ﷺ ناقته.

ومكارم الأخلاق كلها حسنة جميلة محمودة يسعد بها الإنسان في الدنيا والآخرة، وتثمر له محبة الله ﷻ، ومحبة الناس له، ورضوان الرب عليه، ودخول الجنة، كما قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ⑬⑬ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ⑬④﴾

[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وأصول الأخلاق مع الناس أربعة، وكلها شديدة المرارة على النفس وهي:

أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من

أساء إليك.
وهذه من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، ومن خلالها أحبهم الناس، وآمنوا بماجاؤوهم به ونصروهم على من عاداهم وخالفهم.
إن الأخلاق الحسنة من أعظم عبادات القلوب، وهي التي يراها الناس من المسلم، لأنهم يتعاملون معه، ويرون أخلاقه حيثما كان.
والأخلاق الحسنة تثمر المودة والمحبة كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].
والمؤمن حقاً يسعى لأن يكون محبوباً عند الخالق بحسن عبادته، ومحبوباً عند الخلق بحسن خلقه، وأن يكون وجيهاً في الدنيا والآخرة، وأن يحيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة، وأن يكون له لسان صدق في الآخرين، كما قال خليل الله إبراهيم ﷺ: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥)﴾ [الشعراء: ٨٤-٨٥].
ولن يجد الإنسان ذلك كله إلا في الدين الذي أكرم الله به عباده في الدنيا، ويثيبهم عليه في الآخرة بالجنة والرضوان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].
والدين كله هو حسن الخلق مع الخالق، والمخلوق.
فالدين ركنان: عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، كما قال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)﴾ [النساء: ٣٦].
فحسن الخلق مع الخالق بتوحيد من يستحق التوحيد، وعبادة من يستحق

العبادة، وشكر من يستحق الشكر، وحب من يستحق الحب، وتعظيم من يستحق التعظيم، وهو الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

وحسن الخلق مع المخلوق هو بذل الندى، وكف الأذى، والإحسان إلى الورى، وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وهذه ذروة الأخلاق مع الخلق :﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقد جمع الله محاسن الأخلاق في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذين بلغوا رسالة ربهم إلى أممهم، وصبروا على أذى أقوامهم، ونصحوا وجاهدوا في الله حق جهاده :﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾[الأنعام:٩٠].

وقد فرق الله محاسن الأخلاق في الأنبياء والرسل، ثم جمعها في سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ كما قال سبحانه :﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤].

ثم فرق الله محاسن الأخلاق في أمة سيد الأنبياء كما قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:١١٠].

وقال النبي ﷺ:«إنما بُعِثْتُ لأُتمِّمَ صالحَ» وفي روايةٍ«مكارمالأخلاقِ »أخرجه أحمد والبخاري في (الأدب المفرد) (١).

وأحب شيء إلى الله ﷻ التعبد له بأسمائه وصفاته، فتعبد لله يا عبد الله بأسماء ربك وصفاته على حسب قدرتك على شاكلة العبودية :﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

فعظم ربك العظيم، وكبر ربك الكبير، واحمد ربك الحميد، واشكر ربك الكريم، واستغفر ربك الغفور، واسأل ربك الغني الوهاب، واستعن بربك

---

(١)صحيح/ أخرجه احمد برقم (٨٩٣٩) والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣) .

القادر، وتوكل على ربك القوي، وتواضع لربك الجبار، وتذلل لربك العزيز: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

يا عبد الله وحّد ربك الذي يستحق التوحيد، واعبد من يستحق العبادة، وأطع ربك الذي يستحق الطاعة، وكبر من يستحق التكبير، واشكر من يستحق الشكر، واحمد من يستحق الحمد، واسأل من يملك خزائن كل شيء، واستغفر من يقدر على غفران الذنوب كلها، واستعن بمن يقدر على قضاء حوائجك، وادعُ من يجيب من دعاه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

وارحم يا عبد الله الخلق أجمعين، واغفر للمخطئين، واصفح عن زلات الجاهلين، واستر عيوب المذنبين، واحلم على السفهاء، وعلّم الجاهلين، وانصر المظلومين، وخذ بيد العاجزين، وأعطِ السائلين، واجبر قلوب المنكسرين، وأكرم الخلق أجمعين، وفرج كرب المكروبين، واصبر على الأذى من الناس أجمعين، وارفق بالخلق أجمعين، وأحسن إلى من أساء إليك، وافعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله، وامتثالاً لأمره، ورغبة في ثوابه، وخوفاً من عقابه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال النبي ﷺ: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كانَ اللهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ» متفق عليه(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) ومسلم برقم (٢٥٨٠).

٢ - فضائل الأخلاق الحسنة

الأولى: الأخلاق الحسنة سبب لمحبة الله لعبده كما قال سبحانه:﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البقرة:١٩٥].

وقال ﷻ:﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة:٤٢].

وقال النبي ﷺ لما سئل: من أَحَبُّ عبادِ الله إلى اللهِ تعالى، قال: «أَحسنُهم خُلُقًا» أخرجه أحمد وابن ماجة(١).

الثانية: الأخلاق الحسنة من أسباب محبة الرسول ﷺللعبد.

قال النبي ﷺ: «إنَّ أحبَّكم إليَّ، وأقربَكم منِّي في الآخرةِ أحاسنُكم أخلاقًا» أخرجه الترمذي(٢)

الثالثة: الأخلاق الحسنة أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة.

قال النبي ﷺ: «ما مِن شيءٍ أثقلُ في الميزانِ من حُسنِ الخُلُقِ »أخرجه أحمد والترمذي(٣)

الرابعة: الأخلاق الحسنة من أعظم أسباب دخول الجنة.

سُئل رسول الله عن أكثرَ ما يُدخِلُ النَّاسَ الجنَّةَ فقال: «تقوَى اللهِ، وحُسنُ الخُلُقِ» أخرجه أحمد والترمذي(٤)

---

(١) **صحيح/ أخرجه**احمد برقم (١٨٤٥٤) وابن ماجة برقم (٣٤٣٦) .

(٢)**صحيح/ أخرجه**الترمذي برقم (٢٠١٨) .

(٣) **صحيح/ أخرجه**احمد برقم (٢٧٥١٧) والترمذي برقم (٢٠٠٢).

(٤) **صحيح/ أخرجه**احمد برقم (٩٠٨٥) والترمذي برقم (٢٠٠٤) .

الخامسة: محاسن الأخلاق سبب لمغفرة الله للعبد :﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

السادسة: الأخلاق الحسنة من أسباب مضاعفة الأجر والثواب.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجلَ ليُدرِكُ بِحُسنِ خُلقِهِ درجاتُ قائمِ الليلِ، صائمِ النّهارِ» أخرجه أحمد وابو داود[1]

السابعة: الأخلاق الحسنة علامة على كمال الإيمان.

قال النبي ﷺ: «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا» أخرجه أحمد والترمذي[2]

الثامنة: الأخلاق الحسنة دليل على اقتداء العبد بأفضل الخلق، وأحسنهم أخلاقاً، وهو النبي ﷺ، الذي قال عنه ربه :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ [القلم: ٤].

(١) صحيح/ أخرجهابو داود برقم (٤٧٩٨) .

(٢) صحيح/ أخرجهاحمد برقم (٤٦٨٢) والترمذي برقم (١١٦٢) .

٣- أقسام الأخلاق

تنقسم الأخلاق من حيث أصلها إلى قسمين :

الأولى: أخلاق جبلية غريزية فطر الله عليها الإنسان وخلقها فيه.

قال ﷺ لأشج بن عبد القيس : «إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناة . قال : يا رسول الله ! أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما ؟ قال : بل الله جبلك عليهما . قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله» أخرجه مسلم(١)

الثاني: أخلاق مكتسبة يمكن للعبد تحصيلها بالمجاهدة والتعلم والتعود، ولهذا أرسل الله الرسل لتغيير حياة الناس من الشرك إلى التوحيد، ومن الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة..

قال النبي ﷺ: «إِنَّما العلمُ بِالتَّعَلُّمِ، و إِنَّما الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ» أخرجه الخطيب في تاريخه(٢)

وقال النبي ﷺ: «النَّاسُ مَعادِنُ كَمَعادِنِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ، خِيارُهُمْ في الجاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ في الإسْلامِ إذا فَقُهُوا» متفق عليه(٣)

وجمع النبي ﷺ بينها في قوله : «ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، ومَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وما أُعْطِيَ أحَدٌ عَطاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » متفق عليه(٤)

فالأخلاق الكريمة نوعان :

جبلية ومكتسبة، منها ما يطبع عليها بعض الناس فهذا يحمد الله على ما آتاه الله من مكارم الأخلاق، ومنها ما ينال بالاكتساب والمجاهدة :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩].

وتنقسم الأخلاق من حيث جهتها إلى قسمين :

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧) .

(٢) حسن/ أخرجه الخطيب في تاريخه برقم (٩/ ١٢٧) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٩٥) ومسلم برقم (٢٦٣٨) .

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣).

الأول: حسن الخلق مع الرب، ويكون بتوحيده، وتعظيمه، وتكبيره، وحمده وشكره وخوفه ورجائه، وحبه وتمجيده، والإيمان به، وعبادته وحده لاشريكله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

الثاني: حسن الخُلق مع الخَلق، ويكون ذلك ببذل الندى، وكف الأذى، والإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان، والسماحة والمروءة، والرحمة والرفق بهم، وقضاء حوائجهم، وإعانة الضعيف، ومواساة الفقير، وجبر الكسير، وإعانة المحتاج، والعفو والحلم، والصبر على أذاهم، وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وغير ذلك من مكارم الأخلاق كما قال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

حسن الخلق أحسن حلية يتحلى بها المسلم في الدنيا والآخرة.

وحسن الخلق مع الخالق، وحسن الخلق مع الخلق كلاهما عبادة من أعظم عبادات القلوب: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

وقال الله ﷻ: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وتنقسم الأخلاق من حيث نوعها إلى قسمين:

الأول: الأخلاق المحمودة:

وهي مكارم الأخلاق التي أمر الله ورسوله بها، من الإيمان والصدق، والصبر

والرحمة، والحلم والعفو، وغيرها من محاسن الأخلاق التي تعبّد بها رسول الله ﷺ لربه، وتزين بها بين خلقه، كما قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وقال الله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الثاني: الأخلاق المذمومة:

وهي مساوئ الأخلاق التي نهى الله ورسوله عنها، من الكفر والكذب والشرك، والظلم والغدر، والبغي والعدوان، وسائر الفواحش والمنكرات والآثام: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

وقد أرسل الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لدعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له، وترغيب الناس في التحلي بالأخلاق الحسنة، وتحذيرهم من الأخلاق السيئة التي تضرهم وتضر غيرهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

وقال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

٤ - الأسباب المعينة على تحصيل الأخلاق الحسنة

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف ذلك حقاً تخلق بتلك الأخلاق الكريمة على شاكلة العبودية: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: الإكثار من تلاوة وتدبر القرآن الكريم، فالقرآن كله آداب وأخلاق، وكان ﷺ خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

الثالث: إدامة النظر في سيرة وأخلاق الأنبياء والمرسلين، وماهم عليه من حسن الخلق، وكمال الأدب: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

الرابع: التفكر في الآثار الحسنة المترتبة على حسن الخلق: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

الخامس: التفكر في الآثار السيئة المترتبة على سوء الخلق.

قال النبي ﷺ: «ألا أُخْبِرُكُم بأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» متفق عليه(١)

السادس: التواصي بحسن الخلق والصبر على ذلك: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

السابع: مصاحبة الأخيار، أهل الأخلاق الحسنة، واعتزالالأشرار، وقرناء السوء: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩١٨) ومسلم برقم (٢٨٥٣).

الثامن: مجالسة أهل الحلم والصدق، والفضل والمروءة، وغيرها من مكارم الأخلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

التاسع: معرفة الأجور العظيمة لأهل مكارم الأخلاق، كما قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

العاشر: النظر في سيرة الصحابة الكرام، والأتقياء والأبرار، وأهل الفضل والإحسان.

الحادي عشر: مجاهدة النفس، وحملها على مكارم الأخلاق: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت:٦٩].

الثاني عشر: ترويض النفس، وحملها على التحلي بمكارم الأخلاق: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس:٧-١٠].

الثالث عشر: الإكثار من شكر الله ﷻ على نعمه، وسؤاله المزيد من فضله: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾﴾[إبراهيم:٧].

الرابع عشر: دعاء الله ﷻ أن يرزقك حسن الخلق.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِني لأَحْسَنِ الأخلَاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلَّا أَنْتَ» أخرجه مسلم(١)

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

٥ - كيفية التعبد لله بالأخلاق الحسنة

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، ولهذا وجب على جميع الخلق عبادته لجلاله وجماله وكماله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

ومقصود الرب جل جلاله من خلقه تحصيل صفاته، والتعبد لله بها على شاكلة العبودية كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله شكور يحب الشكر، وأهل الشكر، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، والله تواب يحب التوبة، والتائبين، والله كريم يحب الكرم، وأهل الكرم، والله رفيق يحب الرفق، وأهل الرفق، والله رحيم يحب الرحمة، وأهل الرحمة، والله عفو يحب العفو، وأهل العفو، والله سلام يحب السلام، وأهل السلام.. وهكذا.

فالله يحب أسماءه وصفاته، لأنها صفات كمال، وجلال، وجمال، وحسن، وتمجيد، وثناء: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

ويحب من عباده أن يتخلقوا بها، ويتعبدوا لله بها على شاكلة العبودية التي تليق بهم كعبيد لملك الملوك .

وأسماء الله وصفاته لا تنفك عنه أبداً، ولا أول لها ولا آخر، ولا بداية لها ولا نهاية، وهي مطلقة لا حد لها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

فالله رحمن أبداً، ورحمته لا حد لها، ولا أول لها ولا آخر، ولا بداية لها ولا نهاية، فهو وحده الحي بجميع صفات الكمال والجلال والجمال :﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

وليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله :﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١].

أما صفات الخلق فهي مخلوقة موهوبة محدودة، لها أول، ولها آخر، ولها بداية، ولها نهاية، فالله خلق الإنسان، وخلق صفاته :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام:١٠٢].

وقال ﷻ:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الصافات:٩٦].

فالله خالق كل شيء، وخالق صفاته: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾[الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

٦ - أسباب سوء الخلق

الأول: ضعف الإيمان بالله، فمن ضعف إيمانه بربه، قلت أعماله الصالحة، وزادت معاصيه، وساءت أخلاقه :﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

الثاني: ضعف اليقين على جزاء الآخرة، فمن كان لا يرجو لقاء ربه، ولا يؤمن بالحساب يوم القيامة، اتبع هواه، وانحدرت طباعه، وسفلت أخلاقه كما قال الله عن الكفار:﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾[الفرقان:٤٤].

الثالث: حب الدنيا، والطمع في زيادتها وزخرفها، فكل ذلك يعمي الإنسان عن معالي الأمور، والتعامل مع الناس بأحسن الأخلاق، وكم وقع بين الناس بسبب ذلك من قطيعة وخصومة، وتنافر وشحناء :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس:٧-١٠].

الرابع: مصاحبة قرناء السوء، وملازمة أهل الفسوق والعصيان، وحضور مجالس الغفلة والمعاصي، لأن الصاحب ساحب إلى خير أو شر بحسب أخلاقه كما قال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

الخامس: ضعف الرادع عن سوء الخلق، وغياب العقوبة، فمن الناس من لا يردعه عن سيئ الأخلاق إلا العقوبة من حدٍ أو غيره :﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن

تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢ - ١١٣].

السادس: متابعة وسائل الإعلام التي تنشر أنواع الفواحش التي تدمر الأخلاق، وتهدم القيم، وتقتل العفاف، وتفسد الرجال والنساء والأطفال وتثير غرائز الأولاد والبنات، وبهذا تتلوث أخلاق المجتمع، ويتحول الناس إلى أخلاق البهائم والسباع والشياطين: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩-١٨٠].

وقال الله عز وجل عن الكفار: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثالثة والخمسون

عِبَادة سلامةَ الصَّدرِ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فِقهُ سَلامةِ الصَّدرِ.

الثاني : مَنْزِلةُ سَلامةِ الصدرِ.

الثالث: فَضَائلُ سلامةِ الصدر.

الرابع: الأسبابُ المعينةُ على سلامةِ الصدرِ

الخامس : جزاءُ أهل سَلامةِ الصَّدرِ.

العبادة الثالثة والخمسون

عبادة سلامة الصدر

١ - فقه سلامة الصدر

سلامة الصدر هي صفاء القلب، وطيب النفس، وحُسن السريرة .
سلامة الصدر هي نقاء القلب، وخلوه من الغل والحقد والحسد .
سلامة الصدر هي امتلاء القلب بالإيمان واليقين، والبر والتقوى ، والحب والرحمة للخلق، وخلوه من ضد ذلك، وهذا هو الذي ينفع العبد : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الشعراء:٨٨-٨٩].
القلب السليمهو الذي لا غش فيه لأحد، ولا غل فيه، ولا حقد فيه، ولا حسد فيه، ولا ضغينة فيه، ولا كراهية فيه، ولا بغضاء فيه لأحد من المسلمين.
القلب السليمهو الذي سَلِمَ من الشرك، والنفاق، والرياء،
والكذب،والغل،والحسد،والظلم،والبغي، والشح، والبخل، والجزع،
والكبر،والعجب،وحب الدنيا والرياسة: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾[البقرة: ٥] .

القلب السليمهو الذي امتلأ بالإيمان والتقوى، ففاض بالخير والبر والإحسان، وتزين بكل خلق حسن، وانطوت سريرته على الصفاء، والنقاء، والسماحة، والبشر، وحب الخير للناس، فهو من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾
[الأنفال:٢-٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ (١٣٣) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٣٤) ﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

أما صاحب القلب الخبيث، والخلق الذميم؛ فالناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٥) ﴾[الرعد:٥].

وسلامة الصدر من أعظم صفات المؤمنين، فالمؤمن لا يكون إلا سليم الصدر، طاهر القلب، طيب النفس، لأنه راضٍ بقضاء الله وقدره، وعطائه ومنعه، وقسمته وعدله: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ (٧١) ﴾[التوبة:٧١].

وسلامة الصدر خُلق عظيم يثمر حب الخير للناس، وبذل الخير والمعروف والإحسان لهم، وكف السوء والأذى عنهم. من اتصف به عاش سعيداً مطمئنا، مرضياً محبوبًا، يحبه الناس، ويحبه رب الناس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٦٢) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (٦٤) ﴾[يونس: ٦٢ -٦٤].

وأفضل الأعمال سلامة الصدر من صفات الشحناء والبغضاء، وغيرها من الصفات السيئة التي تمزق شمل الأمة، وتزرع الرعب، والخوف، والأحقاد، والضغائن، والفرقة بين الناس: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ (٣٤) وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ (٣٥) ﴾[فصلت: ٣٤ – ٣٥].

وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا

اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» متفق عليه(١).

سلامة الصدر من الغل والحقد والحسد يؤلف قلوب الأمة، فتشيع بينهم المحبة والمودة، وتتحقق بينهم الألفة والأخوة، وتزول عنهم العداوة والبغضاء، والشحناء والتقاطع، والغل والحسد، كما حصل للمسلمين في القرن الأول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:١٠٣].

سلامة الصدر من أعظم عبادات القلوبالتي تثمر المحبة والمودة، والألفة بين المؤمنين: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣].

و الله ﷻ لا ينظر إلى صور وأجساد العباد، ولكن ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم(٢).

القلب السليم الموصل إلى رضوان الله والجنة هو القلب السالم من الشرك، والكفر، والنفاق، والرياء، والبدع، ومن الغل والحقد والحسد، ومن الشبهات، والشهوات المحرمة، فمن قدم على ربه بهذا القلب السليم سلم من عذابه، وفاز برضوانه وثوابه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

٢ - منزلة سلامة الصدر

سلامة الصدر للناس من النعيم المعجل للعبد في هذه الحياة الدنيا، بل هو جنة العبد في الدنيا، ولذة العيش في الدنيا؛ فسليم الصدر أسعد الناس بحب الله ورضاه، وحب الناس ورضاهم عنه، قلبه أشد بياضًا من ثوبه الأبيض، يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه، ويرى أن لكل أحدٍ عليه حقا، وليس له حق على أحد، يقضي حوائج الناس قبل قضاء حوائجه :

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتى يحِبَّ لأَخِيهِ مَا يحُبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه(١).

القلب السليم المليء بالإيمان والتقوى، والحب والإيثار هو مصدر العواطف الجميلة، وموجه التصرفات الحسنة، ومحرك الأخلاق العظيمة، فإذا صلح القلب صلحت كل الأعمال والأخلاق، وإذا فسد القلب فسدت كل الأعمال والأخلاق.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ» متفق عليه(٢).

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أسلم الخلق صدورا، وأطهرهم قلوبا، وأحسنهم سريرة، وأرحم الناس بالناس، وأنصحهم لأقوامهم كما قَالَ اللهُ سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

ونبينا محمد ﷺ قد من الله عليه بانشراح الصدر وسلامة القلب، كما قَالَ الله سبحانه له: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾ [الشرح:١-٤].

وفي سلامة الصدر اقتداء بسيد الأنبياء والمرسلين ﷺ الذي كان أسلم الناس صدرا، وأطيبهم قلبا، وأحسنهم خلقا، وأصفاهم سريرة، وأرحمهم بالخلق .

لقد أُوذي النبي ﷺ من قريش أشد الأذى، ولما مكنه الله منهم عام الفتح عفا عنهم، ولم ينتقم منهم ،لسلامة صدره، وكمال رحمته، وحبه الخير لكل الخلق : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالتْ لرَسُولَ اللهُ ﷺ: يَا رَسولَ الله، هلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ مِن يوم أُحُدٍ؟ فقالَ: «لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ وَكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَى ابْنِ عبدِ يَالِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ علَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بسَحَابَةٍ قدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقالَ: إنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَما رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، قالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللهَّ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بأَمْرِكَ، فَما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأخْشَبَيْنِ، فَقالَ له رَسولُ اللهِ

ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِن أَصْلَابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا» متفق عليه(١).

وسلامة الصدر من سمات عباد الله الصالحين، وفي مقدمة هؤلاء، أصحاب النَّبِيِّ ﷺ، أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، فلهم من هذه الصفة أوفر الحظ والنصيب، فقد كانت قلوبهم نقية سليمة، طيبة طاهرة، يرحم بعضهم بعضا، ويحب بعضهم بعضا، ويعطف بعضهم على بعض، ويؤثر بعضهم بعضا كما قال الله سبحانه عنهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨ – ١٠].

والمهاجرون والأنصار خير هذه الأُمة، فقد كانوا يعلمون يسيرا، ويؤجرون كثيرا، لسلامة صدورهم، وصدق إيمانهم، وكمال يقينهم، وصفاء قلوبهم، وحسن عِبادتهم رضي الله عنهم ورضوا عنه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) ومسلم برقم (١٧٩٥).

إن عبادة سلامة الصدر من أعظم العبادات القلبية التي تثمر محبة الله، ومحبة الناس،وصفاء القلوب، وتآلفها، دون غل ولا حسد، ولا بغي،ولا كيد، ولا بغض ولا ضغينة، لهذا حذر النبي ﷺمن جميع هذه الأخلاق السيئة التي تدمر الأمة .

فقال ﷺ: «لَا تحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» أخرجه مسلم(١).

والتطهر من الغل والحقد والحسد ،عبادة يدعو بها المسلم لنفسه ولإخوانه المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

وسلامة الصدر من صفات أهل الجنة، ومن تعبد لله بها أسعده الله في الدنيا والآخرة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

٣- فضائل سلامة الصدر

الأولى : سلامة الصدر من أعظم أسباب قبول الأعمال الصالحة، ودخول الجنة.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «تُفتَحُ أبوابُ الجنَّةِ يومَ الاثنينِ والخميسِ، فيغفرُ اللهُ عزَّ وجلَّ لِكلِّ عبدٍ لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا، إلَّا رجلًا كانَ بينَه وبينَ أخيهِ شحناء، فيقول: أنظِروا هذينِ حتَّى يصطلحا، أنظِروا هذينِ حتَّى يصطلِحا ،أنظِروا هذينِ حتَّى يصطلِحا» أخرجه مسلم(١).

الثانية : أَهلُ سلامة الصدر هم أفضل الناس، وهم صفوة الله المختارة.

فقد سَأل الصحابة رسول الله ﷺ عَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ ، قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْب، قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ، وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ» أخرجه ابن ماجة(٢).

الثالثة : أَهلُ سلامة الصدر هم أول زمرة تدخل الجنة .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ عُودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ » متفق عليه(٣)..

الرابعة : سلامة الصدر وطهارته من الغل والحقد والحسد من صفات أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الحجر:٤٧].

الخامسة : سلامة الصدر تثمر راحة البال، والسلامة من الهموم والغموم والأحزان، واتقاء العداوات .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥).

(٢) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٤٢١٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٦) ومسلم برقم (٢٨٣٤).

السادسة : سلامة الصدر تثمر المحبة والمودة بين الناس، وتحقق الألفة والأخوة بينهم .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ المؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّ» متفق عليه(١).

السابعة : سلامة الصدر من علامات الإيمان .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه(٢).

الثامنة : سلامة الصدر من أسباب دخول الجنة يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء:٨٨-٩١].

التاسعة : سلامة الصدر تزيل العيوب، وتقطع أسباب الذنوب.

فمن سلم صدره، وطهر قلبه من الإرادات الفاسدة، والظنون السيئة، عف قلبه ولسانه وجوارحه عن كل قبيح، واشتغل بكل عمل صالح يحبه الله ورسوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود:١١٤].

العاشرة : سلامة الصدر تجمع قلب العبد على الخير، والبر، والإحسان، والطاعة، والصلاح، والإصلاح، فلا يجد لذته إلا فيها، و لا تقر عينه إلا بها كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

٤ - الأسباب المعينة على سلامة الصدر

الأول : معرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد: ١٩] .

فمن عرف ذلك تعبد لله بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، وتحلى بأحسن الصفات والأخلاق :﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠].

الثاني : الإقبال على كتاب الله ﷻ تلاوة وتدبرا، وتعلما وتعليما.

فالقرآن شفاء لما في الصدور من جميع الأمراض والآفات:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس:٥٧].

الثالث :النظر في سير الأنبياء والمرسلين، وما هم عليه من سلامة الصدر، وطهارة القلب، وحسن الخلق، وكمال العبودية، وذلك للإقتداء بهم : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[الأحزاب:٢١].

وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾[مريم:٤١].

الرابع : دعاء العبد ربه أن يجعل قلبه سليما، من الغل والضغائن والأحقاد: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر:١٠].

الخامس : العلم بثواب أهل سلامة الصدر ومحاسن الأخلاق في الدنيا والآخرة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

السادس : العلم بعقوبات أهل مساوئ الأخلاق في الدنيا والآخرة .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ الجنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لو أقْسَمَ علَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، ألا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوّاظٍمُسْتَكْبِرٍ» متفق عليه(١).

السابع: استشعار الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، فمن استشعر ذلك أحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، وكره له ما يكره لنفسه من الشر:

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه(٢).

الثامن: إخلاص العمل لله، فمن أخلص لله في عبادته، هداه الله سبل رضاه، وحفظه مما يكره مولاه، وخلصه مما يضره في دنياه وأخراه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

وقال الله عز وجل عن يوسف ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

التاسع: مجاهدة النفس، وحملها على التحلي بمكارم الأخلاق: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

العاشر: لزوم البيئة الإيمانية، ومصاحبة الأخيار، والانقطاع عن مجالس الغفلة والمعاصي والفواحش، فالصاحب ساحب إما إلى خير، وإما إلى شر: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

الحادي عشر: الإكثار من الصدقة، لأن الصدقة تطهر القلب وتزكي النفس بمحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [التوبة: ١٠٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩١٨) ومسلم برقم (٢٨٥٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

الثاني عشر : إفشاء السلام بين المسلمين، لأن إفشاء السلام يجلب المحبة والمودة، ويزيل البغضاء والشحناء :

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا ، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ» أخرجه مسلم(١).

الثالث عشر : ترك كثرة السؤال، وترك تتبع أحوال الناس :

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» أخرجه أحمد والترمذي(٢).

الرابع عشر : عدم الغيبة والنميمة، ليبقى قلب العبد سليما، فلا يغتاب أحدا، ولا يسمع الغيبة من أحد، لأن الغيبة والنميمة توغر الصدور، وتورث الأحقاد، وتسبب القطيعة والفرقة بين الناس : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات:١٢].

الخامس عشر : السعي في إصلاح القلب، ومداومة علاجه :

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ. أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ» متفق عليه(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

(٢) صحيح/ أخرجه احمد برقم (١٧٣٧) والترمذي برقم (٢٣١٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

٥- جزاء سلامة الصدر

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر:٤٧].

وقال الله ﷻ: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣١-٣٥].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الرابعة والخمسون

عِبَـادة المروءة

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه المروءة .

الثاني :أقسام المروءة .

الثالث : مراتب المروءة .

الرابع : شروط المروءة .

الخامس :علامات أهل المروءة .

السادس : الأسباب المعينة على تحصيل خلق المروءة .

السابع : ثمرات المروءة .

الثامن :خوارم المروءة.

العبادة الرابعة والخمسون

عبادة المروءة

١ - فقه المروءة

المروءة هي أن يتحلى الإنسان بمحاسن الأخلاق، ويجتنب كل خلق ذميم .

المروءة هي استعمال ما يجمل العبد ويزينه من معالي الأخلاق، وترك ما يدنسه ويشينه من مساوئ الأخلاق.

المروءة هي مجامع مكارم الأخلاق، ومحاسن الأداب، وصيانة النفس عما يوجب ذمها من الأقوال والأفعال والأخلاق الرديئة.

المروءة اجتناب ما يكره الله من الخصال الذميمة، واستعمال ما يحبه الله من الخصال الكريمة.

المروءة أن تصون نفسك عن الأدناس، وكل ما يشينها عند الناس، وتحملها على ما يجمل من مكارم الأخلاق، وتؤدي حقوق الله ﷻ، وحقوق المخلوقين، وحقوق النفس حسب أمر الله ورسوله، وتجتنب كل ما يدنس العرض والشرف من قول أو فعل أو خلق وغير ذلك مما يهبط بالإنسان عن المراتب العالية : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف:١٩٩].

المروءة من أعظم العبادات القلبية، وهي خصلة كريمة رفيعة القدر والشأن، لما يترتب على التخلق بها من جمال وجلال، وكمال وإحسان.

المروءة خلق عظيم، وسلوك قويم، وأدب رفيع، لا تكتمل إنسانية العبد إلا بتوفرها في قوله وفعله وسلوكه.

المروءة اسم جامع للمحاسن والفضائل والمكارم كلها.

المروءة هي السمو والرفعة والعلو في الأخلاق والآداب، وأن يعلو الإنسان بنفسه عن أخلاق السفلة والبهائم، والسباع والشياطين، ويرقى إلى أخلاق الملائكة والأنبياء والمرسلين: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

والفرق بين العقل والمروءة:

أن العقل يأمرك بالأنفع والأكمل، والمروءة تأمرك بالأجمل والأحسن.

المروءة صدور الأفعال الجميلة الممدوحة شرعًا وعقلًا وعرفًا، لكافة المخلوقات من إنسانٍ أو حيوانٍ أو طير.

فالمروءة تدفع صاحبها إلى مساعدة الحيوان واللطف به، والإحسان إليه .

قال النبي ﷺ: «بَيْنمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ اشْتَدَّ علَيْهِ الْعَطشُ، فَوجد بِئرًا فَنزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذا كلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنزَلَ الْبِئْرَ فملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفيهِ، حتَّى رقِيَ فَسقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ له فغَفَرَ له. قَالُوا: يَا رسولَ اللهَّ إِنَّ لَنَا في الْبَهَائِم أَجْراً؟ فَقَالَ: في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» متفق عليه(١).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنْ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا» متفق عليه(٢) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧) ومسلم برقم (٢٢٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ( ) ومسلم برقم ( ).

وحقيقة المروءة اتصاف المرء بمحاسن الأخلاق التي فارق بها الحيوان البهيم، والسبع اللئيم، والشيطان الرجيم، فإن في النفس أربع دواعٍ متجاذبة .

أحدها :داعٍ يدعوها الى الاتصاف بأخلاق الحيوان، وهو داعي الشهوة والحرص والطمع .

الثاني : داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق السباع من الظلم والقسوة والعدوان .

الثالث : داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشياطين من العجب والكبر، والحسد والبغي، والعلو والفساد والإفساد .

الرابع : داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الملائكة من البر والإحسان، والنصح والسمع والطاعة .

فحقيقة المروءة إجابة الداعي الرابع، وبغض وهجر واجتناب الدواعي الثلاث الأولى.

وأهم دواعي المروءة علو الهمة، وطلب معالي الأمور، وشرف النفس، والرغبة فيما عند الله من الثواب، والأنبياء أول وأعظم الناس مروءة :﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال اله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة: ١٢٨] .

٢ - أقسام المروءة

تنقسم المروءة إلى قسمين :

الأول : مروءة الأفعال، وهي استعمال مكارم الأخلاق في كل حال

فمروءة اللسان حلاوته وطيبته، واستعماله فيما يؤلف القلوب، ويثمر المحبة بين الناس: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ومرؤة الخُلق سعته وبسطه لكل الخَلق: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ومروءة العين غض البصر وكفه عما لا يعنيه، والنظر في الآيات الكونية، ومحاسن الخلق .

ومروءة الأذن الإصغاء للحديث، والاهتمام به: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

ومروءة المال صرفه في مواقعه المحمودة، ومروءة الجاه بذله للمحتاج إليه .

ومروءة الإحسان توفيره، وتعجيله، وتيسيره، وستره، وعدم رؤيته، ونسيانه بعد وقوعه .

فهذه وأمثالها مروءة الأفعال: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

الثاني : مروءة الترك :

مثل ترك الخصام، وترك المعاتبة، وترك المجادلة، وترك المطالبة، وترك المماراة، وترك الاستقصاء في طلب حقك كله، والإغضاء عن الزلات، والتغافل عن العثرات، ونحو ذلك: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥] .

فهذا وهذا كله من المروءة ومكارم الأخلاق، وأهل مكارم الأخلاق هم أصحاب المروءات والنجدات، وأسعد الناس بذلك هم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام خاصة سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ الذي أثنى عليه ربه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] .

وسئل رسول الله ﷺ: «مَن أَكْرَمُ النّاسِ؟ قالَ: «أَتْقاهُمْ» فَقالوا: ليسَ عن هذا نَسْأَلُكَ، قالَ: «فيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قالوا: ليسَ عن هذا نَسْأَلُكَ، قالَ: «فَعَنْ معادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِ؟ خِيارُهُمْ في الجاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ في الإسْلامِ، إذا فَقُهُوا» متفق عليه[1] .

وقال النبي ﷺ لخديجة في قصة بدء الوحي: «لَقَدْ خَشِيتُ على نَفْسِي»، فقالَتْ خَدِيجَةُ: كَلّا واللَّهِ ما يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ» متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٨٣) ومسلم برقم (٢٣٧٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٨٢) ومسلم برقم (١٦٠).

٣- مراتب المروءة

للمروءة ثلاث مراتب .

الأولى : المروءة مع النفس :

ويكون ذلك بحملها على ما يجمل ويزيد من مكارم الأخلاق، وترك ما يدنس ويشين من رديء الأخلاق، ليكون لها ذلك ملكةً تتزين بها في جميع الأحوال والمناسبات: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

الثانية : المروءة مع الخلق :

بأن يستعمل العبد معهم مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، من الحياء والحلم،والبروالإيثار،والإكرام، والإحسان والعفو والصفح ونحو ذلك من مكارم الأخلاق التي تثمر المحبة والمودة بين الناس :﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثالثة : المروءة مع الحق سبحانه.

بالاستحياء من نظر الله إليك على حال قد نهاك الله عنها، فأنت عبده تسكن في ملكه، وتأكل من رزقه، وتتقلب في نعمه، فلا يليق بالعبد ان يسكن في ملك خالقه وسيده، ويخالف أمره .

فالمروءة أن تحبه، وتطيعه، وتؤمن به، وتوحده، وتشكره، وتعبده وحده لا شريك له، وهذه أعلى مراتب المروءة .

وعلى العبد ان يسعى لإصلاح عيوب نفسه قدر الإمكان، لأن الله قد اشتراها منه، وأعطاه ثمنها وهو الجنة، كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة:١١١].

وصفات هؤلاء الذين اشتراهم الله أحسن الصفات، وهي عشر صفات:﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة:١١٢].

فليس من المروءة تسليم المبيع على ما فيه من العيوب وتقاضي الثمن كاملًا .

فليستح العبد من ربه، ولا يخالف أمره في ملكه، وهو يعلم أن الله يراه ويسمعه في جميع أحواله :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة:٢١-٢٢].

وقال النبي ﷺ: «الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ.» متفق عليه(١) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩) ومسلم برقم (٣٥).

٤ -شروط المروءة

شروط المروءة ثلاثة :

الأول : العفة عن المحارم، والعفة عن المآثم

بأن يجتنب العبد كل قولٍ أو فعلٍ أو خلقٍ محرمٍ، تعبدًا لله ﷻ: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٦ – ٤٠] .

الثاني: النزاهة عن المطامع الدنيوية، والبعد عن مواطن الريبة لئلا يسقط العبد من عين الله وأعين الناس: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧].

الثالث : صيانة النفس عن الحاجة إلى غيرها من الناس، والتوكل على الله وحده.

بالسعي في تحصيل كفايتها، وصيانتها عن تحمل المنن من الناس، لأن المنة تورث ذلة، ولا مروءة مع ذلة: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق: ٢ – ٣].

٥ - علامات أهل المروءة

لأهل المروءات علامات :

الأولى : أن يكون صاحب المروءة ذا أناة وتؤدة، فلا يبدو في حركاته اضطراب أو عجلة، أو رعونة أو تهور .

الثانية : أن لا يفعل في الخفاء ما يستحي فعله أمام الناس .

الثالثة : أن يضبط العبد نفسه عن هيجان الغضب، أو دهشة الفرح .

الرابعة : أن يجتنب العبد تكليف ضيوفه وزائريه ولو بعمل صغير .

الخامسة : أن يحسن الإصغاء لمن يحدثه من الناس صغيرًا كان أو كبيرًا .

السادسة : أن يكون حافظًا لما يؤتمن عليه من الأسرار، فلا يفشي سر أحد .

السابعة :أن يترفع الإنسان بطوعه واختياره عن كل ما لا يليق به من الأخلاق السيئة، والأقوال الباطلة، والأفعال الشائنة.

الثامنة :ألا تخالف أقوال العبد وأفعاله العادات والتقاليد الحسنة الموافقة للشرع، ولا تخالف أفعاله أقواله .

وغير ذلك من العلامات التي تميز أهل المروءة من غيرهم .

ومن المروءة الإحسان إلى الناس، خاصة الضعفاء والفقراء، والأيتام والأرامل وغيرهم دون انتظار جزاء من أحد: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ ﴾[النساء: ٣٦ - ٣٧] .

وقال النبي ﷺ : «السَّاعِي على الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالمُجَاهِدِ في سَبيلِ الله»، وأَحْسِبُهُ قالَ، «وكالْقائِمِ لا يَفْتُرُ، وكالصَّائِمِ لا يُفْطِرُ» متفق عليه(١) .

ومن المروءة بر الوالدين والإحسان إليهما بالقول والفعل: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٧) ومسلم برقم (٢٩٨٢).

تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾[الإسراء: ٢٣ - ٢٤] .

ومن المروءة توقير الكبار، والأكابر من أهل العلم والبر والإحسان .

ومن المروءة رحمة الصغار، والرفق بهم، وتوجيههم إلى معالي الأخلاق، ومحاسن الآداب، ليتدربوا على مكارم الأخلاق .

ومن المروءة إكرام الضيف، ورعاية حرمة القريب، وقضاء حاجة المحتاج .

ومن المروءة حفظ الأهل والأولاد من كل فعل لا يليق بالمسلم والمسلمة، وصونهم عن الأماكن التي تزري بهم، وتحط من قدرهم .

ومن المروءة الإغضاء عن هفوات الإخوان والتغافل عن الزلات، واحتمال عثرات الإخوان، والتغافل عنها، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون .

قال النبي ﷺ : «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.» متفق عليه(١) .

ومن المروءة أن تسامح الناس في الحقوق والواجبات، وأن تصفح عنهم حسب الاستطاعة، كما قال سبحانه :﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور: ٢٢].

ومن المروءة أن تعين العاجز، وتأخذ بيد الضعيف، وتجبر خاطر الكسير، وتنفس كرب المكروب، وتفرج هم المهموم .

ومن المروءة أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وتفرح لفرحهم، وتحزن لحزنهم .

قال النبي ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى.» متفق عليه(٢) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

٦ - الأسباب المعينة على تحصيل خلق المروءة

الأول : قراءة القرآن وتدبره، لمعرفة مكارم الأخلاق التي يحبها الله ﷻ من الصدق، والبر، والإحسان، والإيثار، والرحمة، والحلم، والعفو، والمغفرة، ومعرفة فضائل تلك الصفات وأجورها العظيمة : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل:٨٩].

الثاني : النظر في سير الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق، للتأسي بأخلاقهم، والاقتداء بهم : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ﴾[الأنعام:٩٠].

وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب:٢١].

الثالث : كثرة مجالسة الضعفاء والمساكين وذوي الحاجات، فإن ذلك مما يرقق القلب ويلينه، ويدعو إلى الرحمة والشفقة والإحسان إلى هؤلاء وغيرهم: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥] .

الرابع : معرفة الآثار المترتبة على التحلي بخلق المروءة، والثمار التي يجنيها أهل المروءة في الدنيا قبل الآخرة، ومعرفة عقوبة الله لأهل الأخلاق السيئة والذنوب المهلكة : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات:٣٤-٤١].

الخامس : مجالسة الأخيار من أهل الإيمان ومكارم الأخلاق، واجتناب مجالس

أهل الفسق والمعاصي: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

السادس: دعاء الله عز وجل أن يرزق العبد خلق المروءة، ويعينه على الاتصاف بها: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: «وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» أخرجه مسلم(١).

السابع: معرفة فضائل المروءة، وما أعده الله من الثواب العظيم لأهل المروءة، ومكارم الأخلاق: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثامن: تذكر الموت، وما بعده من أهوال يوم القيامة، فمن تذكر ذلك حمله على التحلي بالأخلاق الحسنة، واجتناب الأخلاق السيئة.

قال النبي ﷺ: «أكثروا ذكرَ هادمِ اللذاتِ» أخرجه الترمذي وابن ماجة(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

٧- ثمرات المروءة

الأولى: المروءة خلق عظيم يثمر محبة الله للعبد، ومحبة الخلق له.

الثانية :المروءة تحجز العبد عن الوقوع في مواطن الريبة والرذائل والشبهات، وإن وقع في مثل هذه المواطن حملته على التخلص منها، وسرعة التوبة إلى الله منها : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾[آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

الثالثة : المروءة تصون النفس عما يشينها، وتحفظها من الوقوع في الأمور الرديئة، وتحميها مما يضرها ويعيبها من مساوئ الأقوال والأعمال والأخلاق .

الرابعة : المروءة تحفظ للعبد أوقاته في كسب الحسنات، وتوفير الحسنات المفعولة عن نقصانها وحبوطها، لأن السيئات تحبط الحسنات أو تنقصها.

الخامسة : المروءة خلق كريم يصون الإيمان عن النقص، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

السادسة : المروءة من أعظم سبل نيل المطالب العالية، والآداب الفاضلة والأجور العظيمة : ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

السابعة :المروءة تزيد في ماء الوجه، وبهجته، ونضارته، واستنارته، وسروره .

الثامنة : المروءة تحجز العبد عن كل لذة يعقبها ألم، وكل شهوة يعقبها ندم، فهي جنة عن اللذات المحرمة، والشهوات المهلكة، ومن صفات أولياء الله : ﴿ وَالَّذِينَ

﴿يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾[الشورى:٣٧].

التاسعة : المروءة داعية إلى إنصاف المرء جميع الخلق، سواء كان ذلك صديقه أو عدوه، وسواء كان ذلك الشخص مثله أو فوقه أو دونه .

العاشرة : المروءة داعية إلى الرفعة، ومعالي الأمور، والمنافسة في خيري الدنيا والآخرة، وعدم الرضا إلا بالأعلى والأفضل والأحسن : ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس:٢٦].

الحادية عشرة : المروءة تثمر التنافس بين الناس في الرحمة، والحلم، والبر، والإحسان، والإيثار، ومكارم الأخلاق: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾[المطففين: ٢٦] .

الثانية عشرة : المروءة من أعظم أبواب كسب الأجور العظيمة، والفوز بمغفرة الله، ودخول الجنة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

٨ - خوارم المروءة

من خوارم المروءة :

الأول : الخبل في العقل، فالإنسان سمي مرءًا، ووصف بالمروءة، لأنه لا يتصف بخلاف المروءة إلا الحمقى، ولهذا كان الخبل في العقل سببًا في اقتراف خوارم المروءة من الأخلاق السيئة، والأفعال المشينة .

الثاني : نقصان الدين، فلا يقدم على الكبائر والفواحش إلا فاسقٌ غير مبالٍ بدينه، قد خرم مروءته لنقصان دينه .

الثالث : قلة الحياء، فقلة الحياء من الله، ومن الناس، تعطي العبد الجسارة على فعل خوارم المروءة .

قال النبي ﷺ : «إنَّ مما أدْرَكَ النَّاسُ مِن كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إذا لَمْ تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ» أخرجه البخاري(١)

الرابع : مجالسة الأشرار والعصاة، فمن جالسهم صار مثلهم، وتخلق بأخلاقهم، لأن الصاحب ساحب إلى خير أو شر : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾[الأنعام:٦٨].

الخامس : رؤية النفس، وعدم المبالاة بالناس، فمن أعجب بنفسه فعل ما شاء ولو كان قبيحًا ولم يبال بأحد .

وخوارم المروءة متعددة .

فمن خوارم المروءة ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه،

ومنها ما هو مناف للأدب والحشمة، وإن لم يكن مخالفًا للشرع .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٣) .

وهذه بعض خوارم المروءة :

الأول : البول قائما، واعتياده من غير حاجة، والبول على قارعة الطريق المسلوك، والبول في أماكن الجلوس العامة كالحدائق ونحوها.

الثاني :الجشأ أمام الناس، والجشع عند أكل الطعام، كأن يأكل بنهم وشدة وإسراع.

الثالث : استخدام الضيف، وتكليف الزائر بالعمل ولو كان خفيفا.

الرابع : إضحاك الناس بحركاتٍ وأفعالٍ غريبة غير لائقة.

الخامس : أن يقلد شخصا في كلامه ومشيته وحركاته من باب السخرية وإضحاك الناس، كما يفعله الممثلون والمهرجون .

السادس : الرقص والتصفيق والتصفير للرجال، لما في ذلك من الخفة والرعونة والتشبه بالنساء.

السابع : كثرة السؤال، ومد اليد للناس في المجامع من غير حاجة.

الثامن : الجلوس في أماكن الأسافل والأراذل، كالمقاهي والأماكن المشبوهة.

التاسع : التصريح بأقوال وكلمات تستحي النفس من ذكرها بلا حاجة.

العاشر : تكتيف اليدين على الدبر حال القيام، ووضع اليدين على القبل أمام الناس .

الحادي عشر : تذوق الأطعمة والفواكه والخضروات عند الباعة من غير حاجة.

الثاني عشر : كشف العورة، وما جرت فيه العادة أنه عورة، كالظهر والصدر والبطن، وإفشاء الأسرار الزوجية.

الثالث عشر : التزين بلباس يلفت الأنظار، ويسخر منه الناس، كمن يلبس الأحمر الخالص، أو يلبس لباس شهرة.

الرابع عشر : نتف شعر اللحية أو الأنف أو الشارب أو الإبط أمام الناس، لما فيه

من الدناءة والتقزز والاشمئزاز، وسوء الأدب .

الخامس عشر : الإكثار من المزاح بين الناس، لأنه يذهب المروءة، ويسقط الهيبة، فمن كثر ضحكه قلت هيبته، ونقصت مروءته.

السادس عشر : الأكل من موضع يد صاحبك في الطعام . والأكل من غير ما يليه من الصحن أو المائدة .

السابع عشر : مد الرجلين في مجامع الناس،أو النوم بينهم من غير حاجة .

الثامن عشر :إخراج الريح بصوت مع القدرة على ضبط النفس .

التاسع عشر : التكلم بالأعجمية وترك العربية من غير حاجة .

وغير ذلك من خوارم المروءة التي تنافي كمال الأدب، وحسن الخلق .

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخامسة والخمسون

عِبَـادة الإيثـــــار

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الإيثار.

الثاني: فضائل الإيثار.

الثالث: أقسام الإيثار.

الرابع: درجات الإيثار.

الخامس: الأسباب المعينة على الإيثار.

السادس: ثمرات الإيثار.

العبادة الخامسة والخمسون

عبادة الإيثـــــار

١ - فقه الإيثار

الإيثارهو أن يُقدم الإنسانُ غيره على نفسه في جلب النفع له، ودفع الضر عنه.

الإيثارتقديم الغير على نفسه في الحظوظ الدنيوية، رغبة فيما عند الله من الحظوظ الدينية والدنيوية.

الإيثارهو تفضيل الغير على النفس، وتقديم مصلحته على المصلحة الذاتية.

الإيثارمن أعظم العبادات القلبية، وهو أعلى درجات السخاء، وأكمل أنواع الجود وأعلى مراتب الإحسان.

الإيثارعبادة عظيمة من أعظم عبادات القلوب التي تُورث محبة الله للعبد، ومحبة الخلق لصاحب الإيثار.

الإيثار مرتبة عالية من مراتب البذل والكرم والجود، ومنزلة عظيمة من منازل العطاء والسخاءوالإحسان.

الإيثارخُلق عظيم يُثمر المحبة والمودة، والرحمة والأخوة، ويدل على صفاء القلب، وطيب النفس، وسلامة الصدر .

الإيثاررحمة من الرحمن الرحيم، أسكنها الكريم في قلوب عباده المؤمنين؛ فبذلت وأكرمت وأعطت مالم يعطه الآخرون، وسعت إلى كل خير حين وقف القانعوناقتحم أصحاب الإيثار العقبة، ووصل برّهم إلى القريب والبعيد والمسكين والرقيق: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨﴾ [البلد:١١-١٨].

قلوبُ أهل الإيثار رقيقة لينة، حليمة رحيمة، تعطف على المساكين، وتؤثر غيرها

على نفسها، وتدعو للمصابين والمنكوبين، وتمد اليد بالعطاء والإكرام لكل من تراه من الخلق: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[البقرة:٢٧٤].

الإيثارهو السعي في بذل الخير والمعروف والإحسان، طمعاً في رحمة الرحمن الرحيم، ومغفرة الغفور الغفار؛ بإجابة دعوة من مكروب أو مهموم أو مغموم أو دعوة مديون معسر، أو دعوة من أرملة، أو دعوة من بائس أو بائسة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الإيثارعبادة قلبية عظيمة تُدخِل السرور على الناس، وتُثمر المحبة والمودة فيما بينهم، وتزيد الحسنات والأجور: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[آل عمران:٩٢].

الإيثار خُلق عظيم يدل على سماحة النفس، ومحبة الرب، ورحمة الخلق، وسخاء اليد، وتقديم محبة الله على محبة الأموال التي جُبلت النفوس على حبها وإمساكها.

الإيثار خُلق رفيع يدل على صفاء النفوس، ونقاوتها من الشُح والبخل، وسلامتها من الأنانية، ورغبتها في الإحسان،وقد أثنى الله ﷻعلى الأنصار لصدقهم في الإيثار، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر:٩].

الإيثارخُلق نبيل يزرع في النفوس المحبة والمودة ويغرس في القلوب الرحمة والرأفة، وينزع من القلوب البغضاء والكراهية، فالقلوب مجبولة على تعظيم صاحب الإيثار ومحبته، كما أنها مجبولة على بُغض البخيل المستأثر ومقته.

الإيثارعبادة بين المرء وغيره في أمور الحياة والمعاملات، ولا يكون الإيثار في القُربات، بل تعاون وتنافس في الخيرات: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ

﴿عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾[المائدة:٢].

فلا إيثار في القربات والعبادات والطاعات؛ لأن كل عبد يريد أن يكون قريباً من ربه، ويسعى أن يكثر من حسناته، ويخفف من سيئاته، كما قال سبحانه عن أوليائه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾[المؤمنون:٦١].

وقال النبي ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عليه لَاسْتَهَمُوا، ولو يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، ولو يَعْلَمُونَ ما في العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُما ولو حَبْوًا» متفق عليه(١).

وسيد المؤثرين، وإمام المحسنين، وقائد الأكرمين، هو محمد ﷺ، الذي كان أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً، وكان خُلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه.

وقد كان ﷺ أعظم الناس إيثاراً لغيره، لم يستأثر بشيء دون أصحابه، بل كان يشاركهم في طعامه وشرابه، وربما منع نفسه وأهله، ليعطي السائل والمحروم والمحتاج.

فيجب على المسلم الذي يريد رضوان ربه أن يقتدي بالرسول ﷺ في فكره وفي أقواله وأفعاله وأخلاقه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[الأحزاب:٢١].

ثم يليه ﷺ إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ثم أصحابه الكرام من المهاجرين والأنصار، ثم من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة:١٠٠].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» متفق عليه(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٠) ومسلم برقم (٤٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٢) ومسلم برقم (٢٥٣٣).

٢- فضائل الإيثار

قال الله تعالى عن الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

وقال الله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَالصَّٰبِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال الله تعالى عن الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٨-٩].

و سُئِلَ النبي ﷺ: «أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وتَأْمُلُ الغِنَى، ولَا تُمْهِلُ حتَّى إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، ولِفُلَانٍ كَذَا وقدْ كانَ لِفُلَانٍ» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذا أرْمَلُوا في الغَزْوِ، أوْ قَلَّ طَعامُ عِيالِهِمْ بالمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ واحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بيْنَهُمْ في إناءٍ واحِدٍ بالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وأنا منهمْ» متفق عليه(٢).

وقال النبي ﷺ: «طعامُ الواحدِ يَكفي الاثنينِ، وطعامُ الاثنينِ يَكفي الأربعةَ وطعامُ الأربعةِ يَكفي الثَّمانيةَ» أخرجه مسلم(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤١٩) ومسلم برقم (١٠٣٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٨٦) ومسلم برقم (٢٥٠٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٠٥٩).

٣- أقسام الإيثار

ينقسمُ الإيثار إلى قسمين :

الأول: إيثار رضا الله ﷻ على رضا الخلق، وإن عظمت فيه المحن، وأغضب الخلق .

ويكون بتقديم رضا الله على رضا الخلق، وإيثار حب الله على حب غيره، وإيثار خوف الله على خوف غيره، وإيثار رضا الله على رضا نفسه، وإيثار الذل لله على الذل لغيره. وإيثار الطلب من الله على الطلب من غيره، وإيثار الافتقار إلى الله على الافتقار لغيره، وإنزال الفاقات والحاجات به دون غيره :﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَـٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

ولهذا النوع من الإيثار علامتان تدلان عليه وهما :

الأولى :أن يفعل العبدُ كل ما يحبه الله ويأمر به حسب استطاعته، وإن كان ما يحبه الله مكروهاً إلى نفسه، ثقيلاً عليها.

الثانية :أن يترك العبدُ كل ما يكرهه الله وينهى عنه، وإن كان المكروه محبوباً للنفس تشتهيه وترغب فيه.

وبهذين الأمرين يكملُ الإيثارُ، ويتم به فلاح العبد وسعادته في الدنيا والآخرة، والمحنة في هذا الإيثار عظيمة والمئونة فيه شديدة وإنه ليسير على من يسره الله عليه :﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة:٤].

الثاني: إيثار الخلق على النفس، وتقديم مصلحة غيره على مصلحة نفسه، طمعاً في ثواب الله ﷻ.

وشروط هذا النوع من الإيثار :

الأول: ألا تؤثر غيرك بما يجب عليك شرعاً، لأنه يستلزم إسقاط الواجب عليك شرعاً.

الثاني :أن يكون الإيثار بالدنيا لا بالدين.

الثالث : ألا يضيعُ الإيثارُ على المؤثر وقته.

الرابع: ألا يتسبب الإيثار في إفساد حاله.
الخامس: ألا يكون الإيثار سبباً في سد طريق خير على المُؤثر.
السادس: ألا يهضمُ الإيثارُ للمؤثر دينه.
السابع: ألا يمنع الإيثار للمُؤثر ورداً.
فإذا توفرت هذه الشروط كان الإيثار إلى الخلق محموداً.
وإن لم تتوفر هذه الشروط، فالإيثار إلى النفس أولى من الإيثار إلى الغير؛ لأن الإيثار يكون بالدنيا، لا بالوقتِ والدينِ وما يعود على القلب بالصلاح.
وخُلق الإيثار نوعان:
الأول: إيثار فطري غريزي: كالإيثار الذي عند الآباء والأمهات لأولادهم، فإن الباعث عليه فطري في النفوس، ينتج عنه حبُ شديدُ عارم.
والحب أعظم باعث على الإيثار، ولا أقوى من حب الوالدين لأولادهم، ولا أشد رحمة من الأب والأم بأولادهم.
قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لهَا، فأطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تمَرَاتٍ، فأعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ منهما تمْرَةً، وَرَفَعَتْ إلى فِيهَا تمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بيْنَهُمَا، فأعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الذي صَنَعَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ قدْ أَوْجَبَ لهَا بهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بهَا مِنَ النَّارِ» أخرجه مسلم(1).
الثاني: إيثار إيماني: وهو حب الخير للغير على حساب النفس وملذاتها وشهواتها؛ ابتغاء مرضاة الله، وطمعاً في ثوابه، كما قال الله ﷻ عن الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: 9].

(1) أخرجه مسلم برقم (2630).

٤ - درجات الإيثار

للإيثار ثلاث درجات:

الأول: أن تؤثر الخلق على نفسك، وتقدم مصالحهم على مصلحتك، فتُطعمهم وتجوع، وتُسقيهم وتظمأ، وتُقدمهم في الدخول، وتؤثرهم بالمجلس الأحسن، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق .

الثاني: أن توثر رضا الله على رضا غيره من الخلق، فتفعل ما فيه مرضاة الله ولو أغضب الخلق، وعظمت فيه المحن، وقلّت به المؤن، وقصر عنه الطول .

وفي أعلى هذه الدرجة الأنبياءُ والمرسلون عليهم الصلاة والسلام.

الثالثة: إيثار الله على إيثارك، بنسبة ذلك الإيثار إلى الله دون نفسك، وأنه هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت، فإذا أثرت غيرك بشيء فإن الذي آثره هو الله في الحقيقة لا أنت: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣].

فإيثارُ الخلقِ على النفسِ يكون بحب الخير للناس، والإحسان إليهم، وتطهير النفس من كل أنانية وكراهية وشحناء، وذلك يثمر الحب والمودة، والأخوة والألفة بين المؤمنين.

قال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم ، وتَراحُمِهم ، وتعاطُفِهِمْ . مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه(١).

وإيثارُ الخالقِ على المخلوق أفضل أنواع الإيثار، وأرفعهما قدراً، وأعلاهما منزلةً.

وإيثارُ الله هو إيثار رضاه على رضا غيره، وإيثار حب الله على حب غيره، وإيثارخوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه.

والإيثار مع الله أن يفعل العبدُ كل ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به، وأن يترك ما يكرهه الله وينهى عنه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر:٧].

وقال النبي ﷺ: «ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

٥ - الأسباب المعينة على خلق الإيثار

الأول: الإيمانُ بالله، والسعي إلى مرضاته، والطمع في ثوابه، والخوف من عقابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الثاني: الإكثارُ من تلاوة القرآن، وتدبر آياته، وما فيها من الترغيب في مكارم الأخلاق، وعظيم ثواب أهل الإيمان والإيثار والإحسان: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الثالث: النظرُ في سير الأنبياءِ والمرسلين، وماهم عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأقوال والأعمال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الرابع: تذكر الموت ومابعده من الأهوال، فمن ذكر الموت سارع إلى التوبة إلى ربه، وبادر إلى أنواع الإحسان، من تفريج كرب المكروبين، وستر عورات المحتاجين، وإطعام الفقراء والمساكين.

قال النبي ﷺ: «أكثروا ذكرَ هادمِ اللذاتِ» أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

الخامس: معرفةُ فضائلِ الإيثار، وما يثمره من الثواب العظيم، والأجر الكبير: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

السادس: الرغبةُ فيما عند الله من المغفرة والثواب العظيم، فمن يرغب في الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فليكن من أهل الإحسان والإيثار، كما قال الله عز وجل عن الأبرار: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: ٥-١٣].

السابع: مصاحبةُ الأخيارِ من أهل البذل والإيثار، والانقطاع عن الأشرار من أهل البخل والشح، والغفلة والمعاصي: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

الثامن: دعاء الله عز وجل أن يرزق العبد خلق الإيثار ومحاسن الأخلاق: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِني لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» أخرجه مسلم(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

٦ - ثمرات الإيثار

خُلق الإيثار له ثمرات عظيمة منها :

الأولى: أن الإيثار من أسباب حب الله ﷻ للعبد كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البقرة:١٩٥].

الثانية: إن خُلق الإيثار من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة :﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر:٩].

الثالثة: أن التحلي بخُلق الإيثار فيه اقتداء بالأنبياء والمرسلين، خاصة سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ، الذي قال الله عنه :﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤].

الرابعة: أن الإيثار من أسباب الكمال الإيماني

قال النبي ﷺ:«لا يؤْمِنُ أَحَدُكم حتى يحِبَّ لأخيه ما يحِبُّ لنفْسِه»متفق عليه(١)

الخامسة: أن صاحب الإيثار يجني ثمار إيثاره في الدنيا قبل الآخرة ،؛وذلك بمحبة الناس له، وثنائهم عليه، وبعد موته بحسن الذكر من الناس، فيكون قد أضاف عمراً آخر إلى عمره .

السادسة: أن الإيثار يُثمر المحبة والمودة والأخوة، ويحقق التعاون والتكافل بين الناس، وفقده يأت بضد ذلك.

السابعة: أن الإيثار جالب للبركة في الطعام والمال والممتلكات.

الثامنة: أن الإيثار من أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار:﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ ﴿١٠﴾

[الإنسان: ٥-١٢].

التاسعة: أن الإيثار تدريب عملي على الإيثار، ومكارم الأخلاق، وفي ذلك انتشار للإيثار بين الناس، فمن آثرته بمجلس أو طعام، فقد حركت فيه خُلُق الإيثار، فآثر غيره، فزاد أجرك وأجره، فمن دل على خير فله مثل أجر فاعله.

العاشرة: الإيثار سبب لمغفرة الله للعبد، وحبه له، ودخول جنته: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

[آل عمران: ٥٣].

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولاتنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا.. اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأقوال والأعمال، لايهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السادسة والخمسون

عِبَادة الإنفاق في سبيل الله

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الإنفاق في سبيل الله.

الثاني: أنواع الإنفاق في سبيل الله.

الثالث: آداب الإنفاق في سبيل الله.

الرابع: الأسباب المعينة على الإنفاق في سبيل الله.

الخامس: ثمرات الإنفاق في سبيل الله.

العبادة السادسة والخمسون

عِبَادة الإنفاق في سبيل الله

١ - فقه الإنفاق في سبيل الله

نِعمُ الله ﷻ على عباده كثيرة، لا تعد ولا تحصى، ومن أعظم النعم بعد نعمة الإيمان والعلم، نعمة المال والرزق: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤].

و هذاالمالُ الله تعالى ابتلى به بعض عباده، لينظر أيشكرونه أم يَكفرونه؟ هل يَصرفونه على هدى ربهم، أم يصرفونه على هواهم؟ هل يُنفقونه في مرضاة الله، أم يُنفقونه فيما يُسخط الله؟: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد:٧].

الإنفاق في سبيل الله ﷻ من أعظم عبادات القلوب، ومن أعظم أبواب البر والخير والإحسان، ومن أجلِّ القُرب وأبركها وأنفعِها، فما أنفق أحدٌ في سبيل الله إلا رفع الله شأنه، وأعلى مكانه، فهو في سعادة وطمأنينة، ومالُهُ في نمو وزيادة، وحسناته كل يوم في زيادة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة:٢٦١].

وهذه المضاعفة في الأجر تكون بحسب إيمان المُنفق، وإخلاصه، ونفْع نفقته، وانشراح صدره، وسروره بإنفاقه، وطيب المال المنْفَق منه، وثباتُ قلب المنفق عند الإنفاق، كما قال سبحانه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة:٢٦٥].

والإنفاق في سبيل الله عبادة عظيمة، تطهّر النفس وتزكّيها، وتخلّصها من البخل والشح: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٦-١٧].

والإنفاق في سبيل الله فيه ثواب عظيم، وأجر كبير: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧].

وقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ومن أنفق مالَه في سبيل الله، زاد مالُه وكثر ثوابه، وأغناه الله من فضله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقَالَ ﷻ: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

واليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي اليد المُنفقة، واليد السفلى هي اليد الآخذة.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بِمَن تَعُولُ، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عن ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ» متفق عليه(١).

ومن رحمة الله ﷻ بعباده، وعظيم فضله عليهم، أن شَرعَ لهم من الدين مايُقرّبهم إليه، ويوصلهم إلى مرضاته، ويكون سببًا في مغفرة الذنوب، وزيادةَ الأجور، ودخول الجنّة، والنّجاة من النّار، من الإنفاق في وجوه البر والإحسان، ومواساة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٢٧) ومسلم برقم (١٠٣٤).

الفقراء،والمحتاجين، كما قال سبحانه:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والإنفاق في سبيل الله عبادة عظيمة، تشمل إخراج الزكاة الواجبة، والصدقة المُستحبَّة، والهديَّة والعطيَّة، وتشمل الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، والإنفاق في سبيل نشر الإسلام، وتعليم أحكام الدين، والإنفاق على النفس والأهل، والإنفاق على الأقارب، والإنفاق في أعمال البرّ والخير والإحسان، وهذا الإنفاق كله في سبيل الله،وفيه ثوابٌ عظيم من الربّ الكريم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾[البقرة:٢٧٤].

واعلم يا عبد الكريمأن كل مال أنفقته في سبيل الله فهو محفوظ لك عند الله، وسيأتيك ويرجع إليك أضعافًا مضاعفة، مقرونًا بمغفرة ذنوبك: ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[التغابن:١٧-١٨].

الإنفاق في سبيل الله هو بَذْلُ الخير ابتغاء مرضاة الله، وكلّ ما أمر الله به من الخير فهو من سبيل الله، وكلّ سبيلٍ أُريد به وجه الله وهو بِرّ فهو داخلٌ في سبيل الله كالأوقاف، وحفر الآبار، وبناء المساجد، والمدارس الإسلامية،.. ونحو ذلك من أعمال البر والخير والإحسان: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾[البقرة:١٧٧].

وسبيل الله ﷻ كل عملٍ صالحٍ سلك به العبد طريق التقرب إلى الله ﷻ؛ بأداء الفرائض والنوافل، وأنواع التطوعات، وأنواع البرّوالإحسان، وأفضل النفقة الإنفاق على الأهل، والإنفاق في سبيل الله، لنشر الحقّ بين الناس: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات:١٥].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: " أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دابَّتِهِ في سبيلِ اللهّ، ودِينارٌ يُنفِقُهُ على أَصْحابه في سَبِيلِ اللهّ". أخرجه مسلم[١].

فدينارٌ ينفقه الرجل على عياله، وديناران ينشر بهما الحق على دابته، وعلى أصحابه في سبيل الله.

والنفقة على العيال هي أول النفقات، وهي صدقةٌ من الرجل على أهله، وهي أفضل أنواع الإنفاق.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ:«إِنَّ المُسْلِمُ إِذا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يحْتَسِبُها كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»متفق عليه[٢].

وأي نفقة يبتغي بها المسلم وجه الله فإنه يُؤجَر عليها؛ حتى اللقمة يضعها الرَّجل في فِي امرأته.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ:«ولَسْتَ بنافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بهَا وجْهَ اللهّ، إِلَّا آجَرَكَ اللهُّ بهَا، حتَّى اللُّقْمَةَ تجْعَلُهَا في فِيامْرَأَتِكَ»متفق عليه[٣].

والإنفاق على القريب المحتاج أفضل من النفقة على البعيد المحتاج.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ:«إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثْنْتَانِ، صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ »أخرجه أبو داود والترمذي[٤] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٩٩٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥) ومسلم برقم (١٠٠٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦) ومسلم برقم (١٦٢٨).

(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٦٥٨) والنسائي برقم (٢٥٨٢).

والله ﷻ ابتلى عباده بما رزقهم من أنواع المال، فمن استعان به على طاعة الله، وأنفقه في سبيل الله، وأبواب البِرّ والخير، كان سببًا موَصِّلًا للعبد إلى رضوان الله والجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

ومن استعان بماله على معصية الله، وأنفقه على شهواته المحرمة، واشتغل به عن طاعة الله ﷻ، كان سببًا في غضب الله عليه، واستحقاقه العذاب: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وَقَالَ الله ﷻ عن أنبيائه وأوليائه: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

والإنفاق في سبيل الله عبادةٌ من أعظم العبادات نفعًا، وأكثرها أجرًا؛ فبها تُستر العورات، وتفرج الكربات، وتدفع الشدائد، وبها يحصل السرور للمنفِق والمنفَق عليه، وتحصل بها مغفرة الذنوب، ودخول الجنة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

والأصل إخفاء النفقات والصدقات، لينال المنفق أجره كاملًا عليها، ويحفظ كرامة من أنفق عليه: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا

ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة: ٢٧١].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، ورَجُلانِ تحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمعا عليه وتَفرَّقَا عليَه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجمَالٍ فَقالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، ورَجُلٌ تَصدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» متفق عليه(١).

وعلى المسلم أن يبادر إلى عبادة الإنفاق في وجوه البرّ والخير قبل أن ينزل إليه الموت فجأة، فيندم على تفريطه وتسويفه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ٩-١١].

والإنفاق في سبيل الله عبادة عظيمة عامة، يتعبّد المسلم بها لربه سرًا أو جهرًا، بالليل أو النهار، كذكر الله مشروعٌ في كل وقت، والصدقات كذلك مشروعة في كل وقت، وليس للإنفاق في سبيل الله حد أقصى، وإنما هو موكول إلى استطاعة المسلم، ودرجة صلاحه وتقواه، ورغبته فيما عند الله من الثواب: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦].

والمال في الأصل مال الله، وأمر سبحانه من يملكه بالتعبّد لله بإنفاقه في سبيل الله، لينال المنفق محبة الله، ومحبة الناس، وينال على ذلك الأجر العظيم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٠) ومسلم برقم (٢٤٢٧).

٢ - أنواع الإنفاق في سبيل الله

الإنفاق المشروع نوعان:

الأول: إنفاقٌ واجب:

كالإنفاق على النفس، والزوجة، والأولاد، وأداء الزكاة المفروضة، وقضاء الديون، والإنفاق في سبيل الله، ونحو ذلك من أنواع الإنفاق الواجب: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

الثاني: الإنفاق المستحب:

كصدقة التطوع، والإنفاق في أوجه البرّ المختلفة؛ كالنفقة على اليتامى والأرامل، والفقراء والمساكين، والضعفاء والعاجزين، والتبرّع لمؤسسات البرّ والإغاثة، التي تقوم بالإنفاق على الأفراد والأُسر المحتاجة.

فالدين ركنان: عبادة الحق سبحانه، والإحسان إلى خلقه: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾ [النساء: ٣٦-٣٧].

ومن أعظم أبواب الإنفاق المستحب:

الأول: بناء المساجد، لما في ذلك من الأجور العظيمة، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ بَنَى مسجِداً يَبْتَغِي بِهِ وجهَ الله، بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ في الجنَّةِ» متفق عليه[1].

الثاني: بناء المدارس، والمعاهد الإسلامية، وكفالة الدعاة، والأئمة، والمدرّسين الذين يعلِّمون القرآن وشرع الله، وهذا من الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢].

الثالث: كفالة الأيتام ورعايتهم، وتعليمهم أمور دينهم: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٥ – ٩].

وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «كَافِلِ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ» أخرجه مسلم[2].

الرابع: سَقيُ الماء للإنسان والحيوان والطير: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

وَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهَّ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا ؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» متفق عليه[3].

الخامس: الإنفاق على المجاهدين في سبيل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٥٠) ومسلم برقم (٥٣٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧) ومسلم برقم (٢٢٤٥).

السادس: الإنفاق على الأوقاف الإسلامية التي يعود نفعها على المحتاجين من المسلمين، والوقف: صدقةٌ جارية، يستمر أجره في الحياة وبعد الممات:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَنْ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ أصابَ أرْضًا بخَيْبَرَ، فأتَى النبيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فيها، فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي أصَبْتُ أرْضًا بخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مالًا قَطُّ أنْفَسَ عِنْدِي منه، فَما تَأْمُرُ بهِ؟ قالَ: «إنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أصْلَها، وتَصَدَّقْتَ بها"، قالَ: فَتَصَدَّقَ بها عُمَرُ، أنَّه لا يُباعُ ولا يُوهَبُ ولا يُورَثُ، وتَصَدَّقَ بها في الفُقَراءِ، وفي القُرْبَى وفي الرِّقابِ، وفي سَبيلِ اللَّهِ، وابْنِ السَّبِيلِ، والضَّيْفِ، لا جُناحَ علَى مَن ولِيَها أنْ يَأْكُلَ مِنْها بالمَعروفِ، ويُطْعِمَ غيرَ مُتَمَوِّلٍ» متفق عليه(١) .

السابع: بناء المراكز الصحية لعلاج الفقراء والمساكين، وحفر الآبار لسقي الناس والحيوانات، وإفطار الصائمين، وتوزيع المصاحف، والكتب النافعة، وإطعام الفقراء والمساكين، وكسوة المحتاجين، ونحو ذلك من أعمال البِرّ والخير والإحسان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥].

والإنفاق في سبيل الله عبادة عظيمة، أول ما يَدخُل فيها إنفاق المال في الجهاد في سبيل الله، وفي جهات البِرّ والخير والإحسان، والإنفاق على النفس والأهل، والإنفاق على اليتامى والفقراء والمساكين، وغيرهم من ذوي الحاجات: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

والإنفاق في سبيل الله ﷻ أوسع أنواع العبادات، وأكثرها أجرًا، وأعظمها نفعًا، وتشمل:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٧) ومسلم برقم (١٦٣٢).

الأول: إنفاق الأموال في سبيل الله في وجوه البِرّ والخير والإحسان ابتغاء مرضاة الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

الثاني: نشر الإسلام بين الناس، حتى يدخل الإسلام في كل بيت: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

الثالث: نشر العلم بين المسلمين؛ فالعالِم يُنفق من علمه على الجاهل، ليكون عالماً و معلّمًا لغيره: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

الرابع: نشر الأخلاق الحسنة بين المسلمين، فمن رزقه الله من محاسن الأخلاق فليصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، و ينشر مكارم الأخلاق، لتكون الأمة كلها على هذا الخلق العظيم: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وغير ذلك من أبواب الإنفاق النافعة، المستحبة والواجبة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠].

٣- آداب الإنفاق في سبيل الله

للإنفاق في سبيل الله آداب:

الأول: الإخلاص: بأن يكون إنفاق المسلم ابتغاء مرضاة الله ﷻ، لا يشوبه شائبة مِن رِياء أو سُمعة، أو تحصيل منفعة، أو دفع مضرّة، أو طلب شهرة، ونحو ذلك مما يحُبط الأجر والثواب: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» متفق عليه[١].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» أخرجه مسلم[٢].

الثاني: الاعتدال في الإنفاق، لأن المال مال الله، وصاحبه أمينٌ عليه، فينفق منه حسب أمر الله ورسوله، ويسلك فيه سبيل الوسط، فلا إسرافٍ ولا تبذير، ولا شُحٍّ ولا بخل، كما وصف الله عباد الرحمن بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

﴿يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧].

الثالث: اجتناب المنّ والأذى:

والمنّ هو التحدث بما أعطى بين الناس، حتى يبلُغ ذلك الشخص المُعطى، فيتأذّى ويخجل، لأن ذلك يخدش كرامته، ويجرح مشاعره.

الصدقة المقرونة بالمنّ والأذى باطلة غير مقبولةٍ عند الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والمانّ بعطيته أو صدقته يريد الاستعلاء على الناس، وإذلال من أعطاه بعطيته؛ لهذا لا يكلّمه الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يُزكيه، وله عذاب أليم.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ» أخرجه مسلم(1).

الرابع: الإنفاق من المال الحلال الطيّب المحبوب إلى النفس: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [البقرة: ٢٦٧].

الخامس: أن ينفق سرًا وعلانيةً حسب المصلحة؛ فإن كان يريد الاقتداء به فليعلن النفقة، وإلا فليُسِرَّها وهو الأصل: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا

---

(1) أخرجه مسلم برقم (١٠٦).

﴿تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾[البقرة: ٢٧١].

السادس: أن يَشكر الغنيّ ربه على أن جعله منفقًا لا آخذًا، ويعلم أن الله سيعطيه من فضله أكثر مما أنفق: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾[إبراهيم: ٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ: ٣٩].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» متفق عليه(١).

السابع: أن تكون النفقة في موضعها المناسب من أعمال البِرّ والخير والإحسان، وأن يبذُلها المنفق بسخاء نفس، وأن يفرح ويُسَرّ بالنفقة، وينشرح بها صدره، ولا يَمُنّ بها، ولا يذكُرها، ولا يستكثرها، وأن يعلم أن الفضل لله الذي أكرمه بهذا المال لينفق منه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].

الثامن: أن يعلم المنفق أن الله ﷻ عندما يقبل الصدقة يربّيها كما يربّي أحدكم فَلُوَّهُ، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «لا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بتَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَها اللهُ بيَمِينِهِ، فيُرَبِّيها كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ، حتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ» متفق عليه(٢).

التاسع: أن يعلم العبد أن الصدقة لا تنقُص المال بل تزِده: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾[البقرة: ٢٧٦].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا نَقَصتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» أخرجه مسلم(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٤٢) ومسلم برقم (١٠١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤١٠) ومسلم برقم (١٠١٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

٤ - الأسباب المعينة على الإنفاق في سبيل الله ﷻ

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمن عرف أن الله كريمٌ أكرم الناس، ومن عرف أن الله محسنٌ أحسن إلى الناس، ومن عرف أن الله رحيمٌ رَحِمَ الناس:

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: العلم بسيرة الأنبياء والمرسلين، وما هم عليه من حُسن الخلق، والبذل والعطاء، والإحسان والبِرّ، خاصةً سيدهم محمدٌ ﷺ .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ» متفق عليه(١) .

الثالث: العلم بفضائل الإنفاق في سبيل الله: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وَقَالَ اللهﻷ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة:٢٧٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٢٠) ومسلم برقم (٢٣٠٨).

الرابع: دعاء الله ﷻ أن يرزقه فضيلة الإحسان إلى الخلق، والإنفاق في سبيل الله، لأن خزائن كل شيء بيد الله وحده: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

الخامس: الإكثار من مخالطة الفقراء، والمساكين، والمحتاجين، ومن رأى أحوال هؤلاء أحسن إليهم، وأنفق عليهم مما أتاه الله، لأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣] .

السادس: مجالسة المحسنين، والمنفقين في سبيل الله، والانقطاع عن أهل البخل والشح والغفلة، فالمرء على دين خليله، والصاحب ساحب إلى خيرٍ أو شرٍّ :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

السابع: معرفة ثواب المنفقين في سبيل الله، وعقوبة من أمسك أمواله ولم ينفقها في سبيل الله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال سبحانه عمّن أمسك أمواله عن الإنفاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤].

الثامن: تذكُّر الموت، وما بعده من أحوال يوم القيامة، فمن ذكر ذلك سارع في الإنفاق في سبيل الله، وفعل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «أَكثروا ذِكرَ هادمِ اللَّذَّات» أخرجه الترمذي وابن ماجه(١).

التاسع: مجاهدة النفس، لتقوم بأعمال البرّ والخير والإحسان: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

العاشر: تزكية النفس بالإيمان والتقوى، لتسارع إلى الطاعات، وتحذر المعاصي: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

٥ - ثمرات الإنفاق في سبيل الله

الأولى: في الإنفاق في سبيل الله طُهرةٌ للمنفق، وتزكيةٌ لقلبه، وتنميةٌ لماله، وسلامته من الآفات:

قال الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة:١٠٣].

الثانية: الأمن في الدنيا والآخرة.

قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة:٢٧٤].

الثالثة: مغفرة الذنوب والفوز بالجنّة: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الرابعة: الوقاية من عذاب النّار.

قَالَ النَّبِيّ ﷺ: " اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقَّةِ تمْرَة، فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة ". متفق عليه(١).

الخامسة: تكثير الحسنات، ومضاعفة الأجور:

قال الله ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة:٢٦١].

السادسة: الحصول على عظيم الأجر والثواب:

قال الله ﷻ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد:٧].

السابعة: أنّ الإنفاق سببٌ لزيادة المال، والإمساك سببٌ لتلفه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٩٥) ومسلم برقم (١٠١٦).

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : للَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» متفق عليه(١).

الثامنة: أن النفقة والصدقة فيها تيسير على العباد، وتفريجٌ لكرباتهم، ومن فعل ذلك يسَّر الله أموره في الدنيا والآخرة.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَن نفَّسَ عن مُؤمنٍ كُربةً مِن كُرَبِ الدُّنيا، نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَبِ يومِ القِيامةِ، ومَن يسَّرَ على مُعسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرةِ» أخرجه مسلم(٢).

التاسعة: أنّ كل من أنفق في سبيل الله، أخلفَ الله عليه بما أنفق:

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) ﴾ [سبأ: ٣٩].

وَقَالَ ﷻ في الحديث القدسي: « أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ ». متفق عليه(٣).

العاشرة: إن الصدقة لا تنقص المال؛ بل تزيده بركة وكثرة ونماء: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا نَقَصتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» أخرجه مسلم(٤).

الحادية عشرة: أن النفقة تنفع صاحبها قبل من أنفقَ عليه:

قال الله ﷻ: ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

الثانيةعشرة : الفوز بمحبة الله للمنفق، ومحبة الناس له

لأن النفوس مجبولةٌ على حب من أحسن إليها: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٤٢) ومسلم برقم (١٠١٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) ومسلم برقم (٩٩٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

﴿إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

الثالثة عشرة: الحصول على رحمة الله:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦].

الرابعة عشرة: الفوز بمعية الله:

قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الخامسة عشرة: أنّ الصدقة تُظلُّ العبد من حرِّ الشمس يوم القيامة:

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ قَالَ: يحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ» أخرجه أحمد وابن حبان(١).

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: ٨].

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا.

اللَّهُمَّ أَعطِنَا وَلَا تحْرِمْنَا، وَزِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تهِنَّا، وَارْفَعْنَا وَلاَ تَضَعْنَا.

اللهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٧٣٣٢) وابن حبان برقم (٣٣١٠).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السابعة والخمسون

عِبَـادة الإصلاح بين الناس

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الإصلاح بين الناس.

الثاني: فضائل الإصلاح بين الناس.

الثالث: صور الإصلاح بين الناس.

الرابع: شروط الإصلاح بين الناس.

الخامس: الأسباب المعينة على الإصلاح بين الناس.

السادس: ثمرات الإصلاح بين الناس.

العبادة السابعة والخمسون

عِبَادة الإصلاح بين الناس

١ - فقه الإصلاح بين الناس

الإصلاح بين الناس عبادةٌ عظيمة من أعظم عبادات القلوب التي تكون بين العبد وغيره من الناس: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)﴾[الأنفال:١].

وإصلاح ذات البين هي إزالة أسباب الخصام والنزاع بين الطرفين بالتسامح والعفو والتراضي.

الإصلاح عبادةٌ عظيمة، وخلقٌ عظيم، به تنتشر المحبة والمودة، وتتحقق الوحدة والألفة، وتزول الأحقاد والضغائن، وتصفو القلوب من كل كراهية وبغضاء، وتزول جميع أسباب الفرقة والعداوة بين الناس، وينال من قام به الأجر العظيم من ربه كما قال سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾[النساء:١١٤].

ولعظمة هذه العبادة، وعموم نفعها، أمر الله بها جميع المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾[الحجرات:١٠].

والإصلاح عبادةٌ جليلة تشمل الإصلاح بين الأشخاص، والأسر، والأقارب، والقبائل، والأزواج، والجيران، والآباء وأولادهم، والإخوة والأخوات،

والشركاء فيما بينهم، والعمال والموظفين وغيرهم، سواء كان ذلك في الأموال أو الدماء، أو الأقوال والأفعال، أو غير ذلك من الأمور التي تسبب الفرقة والخلاف، والشحناء والبغضاء بين الناس: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

والصلح المشروع بين المسلمين هو الذي يحصل به رضا الله سبحانه، ورضا الخصمين، ويتحقق فيه العدل بين الطرفين، ويكون خالصاً لله عز وجل.

وقد رخّص الشرع بالكذب في الصلح بين الناس، لإزالة الوحشة بين المتخاصمين، وعودة المحبة والألفة بين المختلفين.

قال النبي ﷺ: «ليسَ الكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يقولُ خَيْرًا» متفق عليه(١).

ومن فوائد الإصلاح بين الناس سعادة القلوب، وراحة النفوس من الغلّ والحقد، والشحناء والبغضاء، وأن تحلّ الصلة محل القطيعة، وتحلّ المحبة محل الكراهية وتنشأ في النفوس فضيلة العفو والصفح، وتزيد الحسنات، وترفع الدرجات: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

ومن أعظم عبادات القلوب، وأعظم صنائع المعروف، الإصلاح بين الناس إذا تقاطعوا، والإصلاح بين الإخوة إذا تهاجروا، والإصلاح بين الجيران إذا تدابروا،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣) ومسلم برقم (٥٨).

وقطع أسباب الضغائن والشحناء، وقطع أسباب العداوة والبغضاء بين المسلمين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات:١٠].

وقال النبي ﷺ: «لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ» أخرجه مسلم(١)

إن الله ﷻ جمع قلوب المسلمين على الحق، وقطع أسباب الفرقة والتنازع، ليعيش الناس إخوةً مؤمنين، يحب بعضهم بعضًا، ويعين بعضهم بعضًا، ويرحم بعضهم بعضًا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران:١٠٣].

إن التنازع بين الناس مفسد للأفراد والأسر، مدمر للأخلاق والقيم، مهلك للشعوب والأمم، سافك للدماء، مبدد للثروات، ممزق للشمل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال:٤٦].

والفرقة والخلاف، والخصومة والنزاع، كلها من سعي الشيطان ومَكره وكيده، لأن همّ الشيطان أن يصرف الناس عن عبادة الله ﷻ بنشر الخلاف والنزاع بين الناس، وزرع الأحقاد والضغائن فيما بينهم، وإشغال الناس بالشهوات عن العبادات، وصرف الناس عن المباحات إلى المحرمات، وجر الناس من الصراط

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

المستقيم إلى الصراط المعوج: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٦].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» أخرجه مسلم(١).

والشيطان يسعى للتحريش بين المسلمين، وإفساد علاقاتهم، بالخصومات والنزاعات، وإيقاد نار العداوة والبغضاء فيما بينهم، وإشعال نار الحروب والفتن وسوء الظن بين الناس: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧﴾ [الزخرف: ٣٦ – ٣٧].

ومن كيد الشيطان أنه يصور لبعض المتخاصمين والمتهاجرين أن الصلح هزيمةٌ ومذلة وهو للآخر انتصار وعزة فيزداد الأمر سوءًا وتنقطع حبال المودة والمحبة والرحمة والأخوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

إن الصلح والإصلاح بين الناس عبادةٌ عظيمة وله فضلٌ عظيم وأجرٌ كبير وخيرٌ كثير: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى: ٤٠].

فالصلح خير من الهجر والفراق، وخير من النزاع والخصام، وخير من القصاص والانتقام: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾ [النساء: ١٢٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٢).

فالصلح ثمرة الإيمان والأخوة والمحبة، ومصدر الطمأنينة والأمن والاستقرار: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾[الأنفال:١].

إن الاشتغال بالإصلاح بين المتخاصمين أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات، لما في الإصلاح بين الناس من المنافع العظيمة الكثيرة.

فالصلح أعظم سبب في وصل أرحام قطّعت، وتواصل إخوان تهاجروا، ونظافة قلوب مما علق بها من أدران الحقد والكراهية .

وبالصلح تعود المحبة والإلفة بين الناس، وتتحقق الأخوة الإيمانية بينهم، ويسعد الجميع بالأمن والطمأنينة والاستقرار، ويتفرغوا لعبادة ربهم، والتعاون على البر والتقوى فيما بينهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾[الحجرات:١٠].

وقال النبي ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ، قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ ، و فَسَادُ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَة لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ» أخرجه أبو داود والترمذي[1].

فساد ذات البين تحلق الدين، لأن النزاع والعناد يؤديان إلى الفجور والعدوان والافتراء والكذب، والغدر وإفشاء الأسرار، وقطع صلة الأرحام، وهذا ما يريده الشيطان من الناس: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾[المائدة:٩١].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٩١٩) والترمذي برقم (٢٥٠٩).

وقال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ» أخرجه مسلم(١).

الإصلاح بين الناس فيه مصالح عظيمة، وهو رأب للصدع، ولم للشعث، وإصلاح لذات البين، وإصلاح للمجتمع كله، وثوابه عظيم لمن ابتغى به وجه الله ﷻ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

والخصومات والنزاعات إنما تكون في أمور الدنيا، لأن النفوس مجبولة على الطمع في ملذات الدنيا وشهواتها، فيقع بسبب ذلك الخصام والنزاع والظلم والعدوان، فيما بين الناس وينصرفون عن طاعة ربهم وعبادته إلى الاشتغال بالشهوات والتنافس فيها، والاستكثار منها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١).

٢ - فضائل الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء: ١٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وقال النبي ﷺ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يوم تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ على دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «ألا أُخبِرُكم بأفضلَ من الصَّلاة والصِّيام والصَّدَقة ؟ قُلنا: بلَى يا رسول الله، قال إصلاحُ ذاتِ البَيْن ، وإفسادُ ذات البَيْن هي الحَالقةُ لا أقولُ: تحلِق الشَّعرَ، ولكن تحلِق الدِّين» أخرجه أبو داود والترمذي(٢).

والإصلاح بين الناس من هدي المصطفى ﷺ.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه «أنَّ أهْلَ قُباءٍ اقْتَتَلُوا حتَّى تَرامَوْا بالحِجارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بذلكَ، فَقالَ: اذْهَبُوا بنَا نُصْلِحُ بيْنَهُمْ» أخرجه البخاري(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٨٩) ومسلم برقم (١٠٠٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٩١٩) والترمذي برقم (٢٥٠٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٣) .

٣- صور الإصلاح بين الناس

للإصلاح بين الناس صور كثيرة منها:

الأولى: الإصلاح بين المسلمين المتقاتلين، حقنًا للدماء، وصيانة للأنفس والأعراض والأموال، فإن إراقة الدماء بين المسلمين من أعظم الكبائر: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات:٩-١٠].

فكل من سعى في حقن دماء المسلمين في الصلح بينهم، ابتغاء مرضاة الله، فقد حاز المجد والشرف، ونال من ربه أعظم الثواب والأجر: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء:١١٤].

الثانية: فض الخصومة بين المتنازعين في دَين أو إرث أو وصية أو غير ذلك من الحقوق، فيصلح بينهم بالعدل حسب شرع الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات:١٠].

الثالثة: الإصلاح بين الأقارب إذا تهاجروا، فأشد أنواع الخصومة ما يكون بين الأقارب من الخلاف، فتقطع بسببه الأرحام، ويتهاجر الإخوان والأعمام والأخوال ويمكثون متقاطعين سنين عديدة، فمن أصلح بينهم فقد نال شرفًا عظيمًا، وحاز أجرًا كبيرًا، وفاز بمحبة الله له، ومحبة الناس له.

فصلة الرحم عبادة عظيمة فيها أجر وثواب، وقطع صلة الرحم ذنب عظيم له عقاب أليم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد:٢٢-٢٣].

وقال النبي ﷺ: «الرَّحِمُ معلَّقةٌ بالعرشِ تقولُ : مَن وَصَلني وصلَه اللهُ، ومَن قطعني قطعه اللهُ» أخرجه مسلم (١) .

الرابعة: الصلح بين الزوجين المختلفين، وهو من أعظم أنواع الصلح، لأن الصلح بين الزوجين تبنى عليه البيوت، وتترابط به الأسر، وتصلح به أحوال الأبناء والبنات ويتحقق به الأمن والطمأنينة والسعادة الزوجية .

ولهذا ندب الله إليه أهل الخير والإصلاح بقوله : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٥].

وكلما كانت النية طيبة جاءت النتائج طيبة : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١].

إن أعظم ما يحبه الشيطان ويسره ويعجبه هو التفريق بين المرء وزوجه، لما يترتب على ذلك من المفاسد العظيمة، بضياع الأبناء والبنات، وفساد البيوت .

قال النبي ﷺ: «إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ، فأدْناهُمْ منه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: فَعَلْتُ كَذا وكَذا، فيَقولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا، قالَ ثُمَّ يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: ما تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بيْنَهُ وبيْنَ امْرَأَتِهِ، قالَ: فيُدْنِيهِ منه ويقولُ: نِعْمَ أنْتَ» أخرجه مسلم (٢).

وينقسم الإصلاح بين الناس إلى أقسام :

الأول : إصلاح بين الأفراد : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤].

الثاني: إصلاح بين طوائف المؤمنين: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٣) .

﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات:٩-١٠].

الثالث: إصلاحٌ بين أصحاب الحقوق: كالوصايا والأوقاف والمواريث، كما قال سبحانه: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ [البقرة:١٨٢].

الرابع: إصلاح في نطاق الأسرة وبيت الزوجية، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء:٣٥].

وصور الإصلاح بين الناس كثيرةٌ ومتنوعة: كالإصلاح بين الحكام، والإصلاح بين الأمراء، والإصلاح بين الأقارب، والإصلاح بين الجيران، والإصلاح بين الشركاء، والإصلاح بين المؤمنين والكفار، والإصلاح بين أهل العدل وأهل البغي، والإصلاح بين الآباء والأمهات، والإصلاح بين الأزواج والزوجات، والإصلاح بين الأبناء والبنات.

فالإصلاح ميادينه كثيرة، وأجوره عظيمة، فهنيئًا لمن وفقه الله وأعانه للقيام بعبودية الإصلاح بين الناس: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء:١١٤].

٤ - شروط الإصلاح بين الناس

الأول: الإخلاص في الإصلاح بين الناس :

بأن يكون قصد المصلح بإصلاحه ابتغاء مرضاة الله، لا لطلب الشهرة والرياء، والذكر والاستعلاء، والأهواء الشخصية، والمنافع الدنيوية .

فإذا تحقق الإخلاص حصل التوفيق، وجرى التوافق بين الطرفين بإذن الله، وثبت للمصلح الأجر العظيم من ربه ﷻ : ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

الثاني: سلوك مسلك السر والنجوى في الإصلاح:

فذلك أقرب للإخلاص، وأحفظ لسمعة الطرفين المتنازعين، وصون أسرارهما أن تفشوا بين الناس، وقطع الطريق على النمامين، ونقلة الكلام الذين يعجبهم أن تسود البغضاء ببن الناس.

الثالث: التسلح بالعلم الشرعي:

فعلى المصلح بين الناس أن يتسلح بالعلم والحكمة، حتى لا يفسد من حيث يريد الإصلاح، وحتى لا يشتت الشمل من حيث يريد جمعه، ويسأل أهل العلم ويشاورهم، ويستعين بمن حول الطرفين من الثقات، ليتبين الظالم من المظلوم،والمخطئ من المصيب :﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

الرابع: اقتراح ما فيه مصلحة الطرفين:

فيبذل المصلح وسعه في تقريب وجهات النظر بين المتخاصمين، ويقترح أنفع الحلول وأحسنها وأعدلها، مما يحقق مصلحة الطرفين بلا ظلم لأحدها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[النحل: ٩٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِن رَجُلٍ عَقارًا له، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الذي اشْتَرَى العَقارَ في عَقارِهِ جَرَّةً فيها ذَهَبٌ، فقالَ له الذي اشْتَرَى العَقارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إنَّما اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأرْضَ، ولَمْ أبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وقالَ الذي له الأرْضُ: إنَّما بعْتُكَ الأرْضَ وما فيها، فَتَحاكما إلى رَجُلٍ، فقالَ: الذي تَحاكما إلَيْهِ: أَلَكُما ولَدٌ؟ قالَ أحَدُهُما: لي غُلامٌ، وقالَ الآخَرُ: لي جارِيَةٌ، قالَ: أنْكِحُوا الغُلامَ الجارِيَةَ وأَنْفِقُوا على أنْفُسِهِما منه وتَصَدَّقا» متفق عليه(١).

الخامس: أن يختار المصلح بين الناس الكلام الحسن الجميل، والموعظة الحسنة التي تزيد الإيمان، وترغب في فعل الخير والعفو والتسامح، والكلمات الطيبة التي تطيب خواطر الخصمين، وتزيل الأحقاد والضغائن من النفوس: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

السادس: أن يتحرى المصلح بين الناس العدل في صلحه، فلا يميل إلى أحد الخصمين لمنصبه أو لقوته او لإلحاحه وعناده، فيظلم الآخر على حسابه، فيتحول من مصلح إلى ظالم، ومن عادل إلى جائر، لاسيما إذا ارتضاه الخصمان حكمًا بينهما: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٢) ومسلم برقم (١٧٢١).

عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

فالشر لا يطفأ بالشر، وإنما يطفأ الشر بالخير، وتدفع الإساءة بالإحسان ويزال الظلم بالعدل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

السابع: الموعظة والتذكير بالله عز وجل:

على المصلح أن يختار من الكلام ما يرقق القلوب، ويؤثر في النفوس، ويبين للخصمين حقارة الدنيا، وأنها لا تستحق أن يتعادى الإخوان من أجلها، ولا أن تقطع القرابة بسببها، ويذكرهما بالموت، وما بعده من الأهوال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].

٥ - الأسباب المعينة على الإصلاح بين الناس

الأول: العلم بأن الله ﷻ أمر بالإصلاح بين الناس: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال: ١].

الثاني: العلم بأن الله ﷻ رغّب في الإصلاح بين الناس، وأثاب من قام به بالأجر العظيم: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

الثالث: تدبر القرآن الكريم، لمعرفة فضائل الإصلاح بين الناس: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

الرابع: مطالعة سيرة النبي ﷺ، وما قام به من أنواع الإصلاح بين الناس، والاقتداء به، للتعبد لله بهذه العبادة العظيمة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

الخامس: دعاء الله ﷻ أن يرزقه عبودية الإصلاح بين الناس، والله كريم لا يرد سائله، ولا يخيب مؤمله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

السادس: استشعار الأخوة الإيمانية بين المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَراحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ، مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه[1].

وقال النبي ﷺ: «لا يؤْمِنُ أحَدُكم حتى يحِبَّ لأخيه -أو: لجارِه- ما يحِبُّ لنفْسِه» متفق عليه[2].

السابع: كثرة مخالطة أهل الإصلاح والمروءات والإحسان، والانقطاع عن أهل الظلم والفساد: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

الثامن: مجاهدة النفس، لتقوم بالإصلاح بين الناس: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

٦- ثمرات الإصلاح بين الناس

للإصلاح بين الناس ثمرات كثيرة ومنها:

الأولى: الإصلاح بين الناس يزرع بينهم الصلة مكان القطيعة، ويبث بينهم المحبة والألفة بدل الكراهية، ويقل العداوة إلى صداقة: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

الثانية: نشر فضائل العفو والتسامح بين الناس: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثالثة: تحصيل الحسنات الكثيرة، والأجور العظيمة، والدرجات الرفيعة: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾ [النساء:١١٤].

الرابعة: راحة القلوب من طلب التشفي والانتقام، والظلم والعدوان، والأحقاد والبغضاء: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)﴾ [الشورى:٤٠].

الخامسة: الفوز بمحبة الله ﷻ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الحجرات:٩-١٠].

السادسة: نيل رحمة الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الحجرات:١٠].

السابعة: إحياء صفة الأخوة والمحبة الإيمانية بين الناس.

قال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَراحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ مثلُ الجسَدِ

إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه(١).

الثامنة: الإصلاح بين الناس سبب في وحدة الأمة وترابطها وتعاونها على البر والتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾[الحج:٧٧].

التاسعة: الإصلاح بين الناس يزيل العداوة والبغضاء بين الناس، ويفتح أبواب التعاون على البر والتقوى، والتفرغ لأنواع الطاعات والقربات التي تنفع العبد في دنياه وأخراه: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[التوبة:٧١].

العاشرة: الفرح والسرور في الدنيا، فالمصلح بين الناس أسعد الناس قلبًا، لأنه سعى في الخير وجمع القلوب، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجاته.

الحادية عشرة: في الإصلاح بين الناس قوة الأمة الإسلامية، واتحاد قلوبها، كما قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[الأنفال:٤٦].

الثانية عشرة: قطع الطريق على المفسدين الذين يسعون في الأرض فسادًا .فبالإصلاح بين الناس تظهر في الأمة الأخلاق الفاضلة من العفو والتسامح، والمحبة والرحمة، ويتحقق لهم الأمن والطمأنينة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾[المائدة: ٢].

قال النبي ﷺ: «المؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا» متفق عليه(٢).

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾[آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾
[آل عمران: ٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦) ومسلم برقم (٢٥٨٥).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثامنة والخمسون

عِبَادة الأدب مع الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه الأدب مع الله ﷻ.

الثاني : كيفية الأدب مع الله ﷻ.

الثالث : صور الأدب مع الله ﷻ.

الرابع : الأسباب المعينة على حُسن الأدب مع الله ﷻ.

الخامس: ثمرات حُسن الأدب مع الله ﷻ.

العبادة الثامنة والخمسون عَجَلَّ

عِبـادة الأدب مع الله

١ - فقـه الأدب مع الله عَجَلَّ

الأدب مع الله عَجَلَّ هو مقصود الرب من خلقه.

ويكون بكمال توحيده والإيمان به، وحُسن عبادته، بكمال الحب والتعظيم والذُّل له، وكمال الطاعة له، وكمال التسليم لأمره: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥].

الأدب مع الله عَجَلَّ يكون بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

الأدب مع الله عَجَلَّ يكون بتوحيده، والخضوع له، والذل له، والافتقار إليه ظاهرا وباطنا: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

الأدب مع الله عز وجل هو إجلاله وتعظيمه، وتكبيره وتمجيده، وحمده وشكره، وحبه، والرغبة إليه، والخوف منه، والرجاء له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والافتقار إليه، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الله عز وجلهو الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والأحكام المجيدة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

هذا الرب العظيم، والملك الكبير، والإله الرحيم، والغني الكريم، يجب على العباد أن يُكبروه، لأنه وحده الكبير، ويجب عليهم أن يُوحدوه، لأنه وحده الواحد الأحد، ويجب عليهم أن يحُبوه، لجمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولعظمة نعمه وإحسانه.

ويجب عليهم أن يُعظموه لجلاله وجماله وكماله، وعظمة مُلكه وسلطانه. ويجب عليهم أن يحمدوه ويشكروه على عظمة نعمه التي لا تعد ولا تحصى. ويجب عليهم أيعبدوه وحده لا شريك له لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، يجب علينا أن نتأدب معه بتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، مع كمال الحب والتعظيم والذل له، والتصاغر لكبريائه، والخضوع لعزته: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر:٦٧].

إن أعظم عبادات القلوب حُسن الأدب مع الله ﷻ.

والإسلام يقوم على أربعة أصول:

عقيدة ..وعبادات.. ومعاملات .. وآداب.

وإذا صحت عقيدة المسلم، صحت عباداته ومعاملاته، وبقي عليه تاج يضعه على رأسه وهو حسن الأدب.

والأدب ثلاثة أقسام:

أدب مع الله، وهو أعظم أنواع الأدب، وأدبمع رسول الله ﷺ، وأدب مع خلق الله.

فإذا كنت أيها الإنسان تتأدب مع والدك، لأنه رباك، وتتأدب مع معلمك لأنه علمك، فأولى من ذلك كله أن تتأدب مع ربك العظيم، الذي خلقك ورزقك،ورباكوهداك، وأطعمك وسقاك.

فأدب القلب مع الله يكون بتوحيده، والإيمان به، وإجلاله وتعظيمه، وحبه وتمجيده، وحمده وشكره، والخوف منه، والرجاء له، والرغبة إليه، والخضوع له، والتسليم لأمره، ولافتقار إليه، والتوكل عليه، وعدم الالتفات لأحد سواه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وأدب اللسان مع الله ﷻ أن يكبر الله، ويوحده، ويمجده، ويحمده، ويسأله، ويدعوه، ويُسبحه، ويُقدسه، ويستغفره، ويتوب إليه، ويدعو الناس إليه، ويعلم شرعه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾[فصلت:٣٣].

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

ومن أدب اللسان أن لا يقول شيئا يُنافي تعظيم الله، وأن لا ينسب إليه نقصا كالعجز والعيب، والظلم والجور، وأن لا يصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله،وأن لا يقول على الله إلا الحق : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾[النحل:١١٦-١١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾[الأعراف:٣٣].

فهذه بعض آداب اللسان مع الرب عز وجلاأن يُكبره ويُمجده،ويحَمده، ويشكر، ويدعو إليه، ويُعلم شرعه، ولا يقول عليه إلا الحق.

وأدب العين مع الله أن ينظر بها الى الآيات الكونية التي تُثمر تعظيم الله وتكبيره، وحبه وتمجيده، وحمده وشكره، وتوحيده والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك

له: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ٨﴾ [ق:٦-٨].

وينظر كذلك بعينه لكتاب ربه العظيم، الذي فيه تِبيان كل شيء، وفيه مفاتيح العلم الإلهي، من بيان أسماء الله وصفاته وأفعاله، وأحكامه، ووعده ووعيده: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل:٨٩].

وأدب الأذن مع الله ﷻ أن تسمع القرآن العظيم، والذكر والمواعظ، والدروس النافعة التي تزيد الإيمان، وتُقوي التوحيد، وتُثمر حُب الله وتمجيده وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر:١٧-١٨].

ولا يسمع العبد بأذنه اللغو والإثم، والغيبة والنميمة، وكل ما يورث الشك في الدين، أو يُثير الغرائز المحرمة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾ [الإسراء:٣٦].

وأدب العقل مع الله أن يُفكر فيما يحُبه الله ويرضاه ليفعله ويتفكر في عظمة الآيات الكونية، ويتدبر الآيات القرآنية، ويتفكر في كل ما ينفعه ويُسعده في دنياه وأخراه من أمور الدين ويفعله، ويتفكر في كل ما يضره في دينه ودنياه وآخرته ويحذره: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي

فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

وأدب اليدين والرجلين مع الله أن يستعملها في كل ما يحبه الله ويرضاه.

إن الأدب مع الله ﷻ عبادة قلبية عظيمة، تقتضي توحيد الله، وتعظيمه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والحب له، والحياء منه، والشكر له، والتسليم لأمره، والإخبات له، والانكسار بين يديه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

والأدب مع الله ﷻ من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى؛ ومن لوازم الإيمان بأسماء الله الرب، الملك، القوي، العزيز، الجبار وغيرها من أسماء الجلال؛ والإيمان بأسماء الله الرزاق، الكريم، التواب، الرحيم المحسن وغيرها من أسماء الجمال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

فمن عرف الملك تأدب معه، وسأله حوائجه، ولم يلتفت إلى غيره.

ومن عرف الرزاق وقف ببابه وحده، وسأله من فضله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٣].

وحُسن الأدب مع الله ﷻ أعلى مراتب العبودية، وأعظم وأجل وأزكى مراتب الأدب، فما تأدب متأدب بأحسن من أدبه مع ربه وخالقه ورازقه، وما أساء امرؤ الأدب بأشنع من إساءة الأدب مع ربه وسيده ومالكه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

ولا يستقيم لأحد الأدب مع الله تعالى إلا بثلاثة شروط:

الأول: معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فمن عرف الله حقاً أحسن الأدب معه حقا، : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الثاني: معرفة دينه وشرعه، ومعرفة ما يحب وما يكره، والعمل بموجب ذلك.

فمن عرف ذلك آمن بالله واتقاه، وأحسن الأدب معه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

الثالث: نفسٌ مستعدة لينة، قابلة لقبول الحق علمًا وعملاً، وسلوكا وأدبا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

٢ - كيفية الأدب مع الله ﷻ

حُسن الأدب مع الله ﷻ يكون بما يلي :

الأول : صيانة معاملة الله أن يشوبها نقيصة.

فنؤدي عبادة الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها أداءً كاملا في ظاهرها وباطنها : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

وغض البصر عن المحرمات، ونتحرى الحلال، ونجتنب المحرمات، ولا يأخذ الإنسان ما ليس له.

فمن كمال الأدب مع الله في عباداتك ومعاملاتك أن لا يشوبها نقص أو تقصير أو غفلة،فأداؤها فرض عليك، لكن أن تُؤديها أداءً كاملا أدب.

فالأدب أن تُؤدي كل شيء أمرك الله به كاملا كما أمرك الله كالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

الثاني : أن تصون قلبك أن يلتفت إلى غير الله. وأن تُؤدي العبادات والمعاملات بجوارحك أداءً كاملا كما أمرك الله : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثالث: صيانة الإرادة من التعلق بما يمقتك الله عليه.

فلا ننوي إلا الخير، ولا ننوي إلا ما يُحبه الله ويرضاه.

فطهر إرادتك مما يُغضب ربك، وطهر قلبك من غير الله، وطهر أدائك للعبادات والمعاملات من أن يشوبها غفلة أو نقيصة، تكون في أعلى مقامات الأدب مع الله، وتنال أجره العظيم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

٣- صور الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ

حُسن الأدب مع الله جل جلاله يكون بتلقي أخباره بالتصديق واليقين، وتلقي أحكامه بالتسليم والتنفيذ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

ومن الأدب مع الله تلقي أقداره بالصبر، والرضا، ثم الحمد والشكر: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن:١١].

ومن الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ إجلال كل ما ينسب إليه كملائكته وكتبه ورسله، وتعظيم شعائره، وبيوته، ومعالم دينه: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج:٣٢].

ومن الأدب مع الله إحسان عبادته، والإكثار من ذكره وشكره، وتكبيره وتمجيده، وتسبيحه وتقديسه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

ومن الأدب مع الله التصديق بكل ما أخبر الله به من أمور الغيب، ومن ذلك عالم البرزخ، وما يجري في القبور من النعيم أو العذاب، وما يجري في عرصات القيامة من البعث والحساب، والصراط والميزان، والجنة والنار: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء:٨٧].

ومن الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ حُسن الخُلق مع الخالق عز وجل، بتلقي أخباره بالتصديق، وأحكامه بالتطبيق: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب:٣٦].

ومن الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ التوجه إلى الله وحده بالدعاء، والدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله وحده: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر: ٦٠].
ومن الأدب مع الله ﷻ لُبسُ أحسن الثياب عند القيام بين يدي الله في الصلاة.
فالله ﷻ أحق مَن تجمل له العباد، والله يُحب أن يرى أثر نعمته على عباده.
قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» أخرجه مسلم(١).
والتجمل عبادة بين يدي الخالق، وبين الناس: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[الأعراف: ٣١].
ومن الأدب مع الله ﷻ الخشوع بين يديه في الصلاة، إجلالا لله، وتعظيما له، لما له من صفات الجلال والجمال والكمال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾[المؤمنون: ١-٢].
ومن الأدب مع الله عدم استقبال بيت الله أو استدباره عند قضاء الحاجة.
فالكعبة بيت الله في الأرض، وقبلة المسلمين في كل مكان، فلا تُستقبل ولا تُستدبر بغائط أو بول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠].
ومن الأدب مع الله وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى أثناء القيام بين يدي الله في الصلاة، تعظيما لله العزيز الجبار، وإعلان التسليم له ظاهرا وباطنا: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾[الحج: ٣٢].
ومن الأدب مع الله ﷻ الخشية له، والخوف منه، وإظهار الهيبة لله، تعظيما لشأنه وتصاغرا لكبريائه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر: ٢٨].
ومن الأدب مع الله ﷻ تعظيم أسماء الله الحسنى عند سماعها، أو قراءتها، أو كتابتها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه: ٨].
فإذا ورد اسم الله تعالى كالعزيز والجبار وغيرهما من الأسماء الحسنى أتبعناه بالتعظيم مثل تعالى، أو سبحانه، أو عز وجل، أو ﷻ، أو تبارك، ونحو ذلك من

---
(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

ألفاظ التعظيم: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣﴾ [الإسراء:٤٣].

ومن الأدب مع الله ﷻ الإكثار من حمد الله وشُكره على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، والشكر لله يكون بالقلب خُضوعا واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ:١٣].

أما الحمد لله فيكون بالثناء على الله بالجميل على جهة التعظيم. كما قال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء:١١١].

ومن الأدب مع الله عز وجلاأن تعبد الله بصفة الإحسان.

فتعبد الله ﷻ كأنك تراه بصفات جلاله وصفات جماله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

ومن الأدب مع الله سبحانه الإكثار من ذكره في المجالس والمواعظ، والدروس والخطب، تعظيما لشأنه، وإظهارا لجلاله، وتصاغرا لكبريائه، حتى تمتلئ القلوب بحبه وتعظيمه، فتُسارع إلى طاعته، وتبتعد عن معصيته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ [المزمل:٨].

ومن الأدب مع الله عز وجل طاعة رسوله محمد ﷺ في كل ما جاء به من ربه ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر:٧].

ومن الأدب مع الله ﷻ حُب رسله وأوليائه، وإكرام عباده المؤمنين، والإحسان إليهم بأنواع الإحسان، والرحمة لهم، والرفق بهم، والشفقة عليهم، والرأفة بهم: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة:٧١].

وقال النبي ﷺ: « لا يؤْمِنُ أَحَدُكم حتى يحُبَّ لأخيه ». متفق عليه[1].

ومن الأدب مع الله تعالى مراقبة الله تعالى في الغيب والشهادة، وفي السر والعلانية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك: ١٢].

وقال النبي ﷺ: «الإحْسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ». متفق عليه[2].

ومن الأدب مع الله ﷻ نِسْبَة الخير كله إلى الله وحده، ونفي الشر عنه ورد الفضل كله إليه وترك نسبة الشر والضر إليه، وإن كان هو خالقهما، تأدبا مع الله ﷻ كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[الشعراء: ٨٠].

وكما أخبر الله عن أيوب ﷺ بقوله: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[الأنبياء: ٨٣].

ومن الأدب مع الله ﷻ تعظيم شعائره وحرماته. فيُعظم ما عظمه الله من أشخاص، أو زمان أو مكان، أو أقوال أو أعمال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج: ٣٢].

ويُراعي ما يجب له من أدب وحُرْمَة، تأدبا مع الله عز وجل.

فيتأدب مع الأنبياء والرسل الأدب اللائق بهم وبمنزلتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾[الحجرات: ٢].

ويتأدب مع أهل العِلم والفضل، ويُقدِّرهم قَدْرَهم، ويتأدب مع المؤمنين، ويتأدب مع والديه، ويحُسن إليهما: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الإسراء: ٢٣].

ويتأدب مع الأزمنة المُعَظَّمة، ومواسم العبادة كالأشهر الحُرُم، ويوم عرفة، وليلة القدر وغيرها من الأزمنة الفاضلة، فيُسارع فيها إلى أنواع الطاعات والقربات

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٧) ومسلم برقم (١٠).

المشروعة، ويبتعد عن المعاصي والمُحرمات: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾[التوبة: ٣٦].

ويتأدب مع الأماكن المُعظمة كالمسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، وبيوت الله ومساجده في كل مكان: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾[الحج: ٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾[الحج: ٣٢].

ومن الأدب مع الله ﷻ التسليم لأمره، وقبول جميع أخباره وآياته وأحكامه، والعمل بموجبها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[النساء: ٦٥].

ومن أعظم الأدب مع الله عز وجلتوحيده، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له. وأعظم سوء الأدب مع الله هو الإشراك به، وعبادة ما سواه من الخلق: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾[الزمر: ٦٤-٦٦].

أن الأدب مع الله أصل كل أدب.

والأدب هو اجتماع خِصال الخير في العبد، والأخذ بمكارم الأخلاق، واستعمال ما يُحمد من الأقوال والأفعال، والأخلاق والآداب.

والأدب مع الله هو حُسن الانقياد لله، بإيقاع كل حركة وسكون على مقتضى تعظيم الله وإجلاله والذل له، وحُبه والحياء منه، وذلك يشمل القلب واللسان والجوارح.

وأدب القلب هو الأصل والأساس لغيره، ومقتضاه أن يتوجه القلب إلى الله وحده بالتعظيم لله، والحب له، والخوف منه، والرغبة إليه، والتوكل عليه، والاستعانة به: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات: ٥٠-٥١].

٤ - الأسباب المعينة على حُسن الأدب مع الله ﷻ

الأول : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

فمن عرف الله بصفات جلاله وجماله، أحبه وعظمه، وأحسن الأدب معه. فحُسن الأدب مع العظيم أن يُعظم، ومع الكبير أن يُكبر، ومع الغني أن يُسأل، ومع الكريم أن يُشكر، ومع الرحمن أن يسترحم، ومن الرحيم أن يرحم، ومع الغفور أن يغفر، ومع الغفار أن يُستغفر.

الثاني: معرفة النبي ﷺ، وشمائله، وكمال أدبه مع ربه في جميع أحواله، ومكارم أخلاقه التي مَلَكَ بها قلوب الخلق، فأحبوه وآمنوا به وأطاعوه : ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال الله تعالى : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨].

الثالث : الاستعانة بالله العظيم على تحصيل مكارم الأخلاق، وحُسن الأدب مع الله ﷻ، فكل نعمة وخير من الله وحده : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل:٥٣].

الرابع : مجاهدة النفس على تحصيل عبادة حُسن الأدب مع الله ﷻ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

الخامس: معرفة فضائل حُسن الأدب مع الله ﷻ، وحُسن الأدب مع خلقه ومعرفة الأجور العظيمة على حُسن الأدب، ومكارم الأخلاق : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

السادس : مصاحبة الأخيار، والجلوس في مجالس الإيمان مع المتقين، والانقطاع عن مجالس اللهو والغفلة والمعاصي : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

السابع : دعاء الله ﷻ أن يرزقك كمال الأدب مع الله عز وجل، ومع رسوله، ومع خلقه. فالله كريم لا يرد سائلا، ولا يخيب مؤملا : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

الثامن : الإكثار من تلاوة القرآن، وتدبر آياته لمعرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله، ومعرفة عظمة جلاله وجماله، فمن عرف ذلك أحسن الأدب مع ربه، وذل لعزته وخضع لجبروته : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

٥ - ثمرات حُسن الأدب مع الله ﷻ

الأولى: الفوز بمغفرة الله ونيل ثوابه الكبير.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

الثانية: رضوان الرب ﷻ.

قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

الثالثة: الأمن في الدنيا والآخرة.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

الرابعة: البُشرى بدخول الجنة.

قال الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة:٢٥].

الخامسة: الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران:١٨٥].

السادسة: الخلود في نعيم الجنة.

قال الله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة:٧-٨].

السابعة : الأُنْسُ واللذة بأنواع النعيم الذي لا يعلمه إلا الله، ففي الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال الله ﷻ : ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة:١٧].

الثامنة : رؤية الرب يوم القيامة: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

التاسعة: القرب من الرب في الجنة: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

العاشرة: سلام الملائكة على أهل الجنة :﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران:٥٣].

اللَّهُمَّ إِنَّا نسْأَلُكَ الجنَّةَ ومَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَولٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَولٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُك إيمانًا كاملًا، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا وَحلالًا طيبًا ونسأَلُكَ بالفَوْز بالجَنَّة والنجاة من النار.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة التاسعة والخمسون

عِبَـادة الأدب مع رسول الله ﷺ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : حسن أدب الأنبياء والمرسلين

الثاني : دعاء الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم

الثالث : فقه الأدب مع رسول الله ﷺ

الرابع : أنواع الأدب مع رسول الله ﷺ

الخامس : أصول الأدب الكامل مع الرسول ﷺ.

العبادة التاسعة والخمسون

عِبادة الأدب مع رسول الله ﷺ

١ - حسن أدب الأنبياء والمرسلين

الله ﷻ اجتبى الأنبياء واصطفاهم، وأرسلهم إلى خلقه، وجعلهم سفراء إلى عباده في الأرض، يأمرونهم بالإيمان بالله، وتوحيده، وعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾[النحل:٣٦].

والأنبياء والرسل أحسن الناس أخلاقًا، وأحسنهم أدبًا، وأحسنهم أقوالًا، وأحسنهم أفعالًا، وأعظمهم حبًا لله، وتعظيمًا له، وخوفًا منه، ورجاءً له، وتوكلًا عليه، واستعانةً به، وحياءً منه، وخشيةً له، وعبادةً له: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾[الأنبياء:٩٠].

والأنبياء والرسل هم أكثر الخلق ذِكرًا لله ﷻ، وأكثرهم حمدًا له، وأكثرهم استغفارًا له، وأشدهم حياءً منه، ورهبةً منه، ورغبةً إليه؛ لأنهم أعرف الخلق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأعلمهم بما يُحِب ربهم وما يكره، وأعرفهم بدينه وشرعه، ووعده ووعيده: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)﴾[مريم:٥٨].

والأنبياء والرسل دائماً في محراب العبودية، يحْمَدُون ربهم تارة، ويُمَجِّدُونه تارة، ويكبرونه تارة، ويشكرونه تارة، ويُثْنُونَ عليه تارة، ويَسْتَغْفرونه تارة، ويسألونه تارة، ويتوبون إليه تارة، ويسترحمونه تارة، ويعتذرون إليه تارة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ٩٠﴾[الأنعام:٩٠].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أرحم الناس بالخلق، وألطف الناس معاملةً، وأشد الناس حياءً، وأعظمهم رأفةً بالناس، ورفقًا بهم، وإحسانًا إليهم، ورغبةً في هدايتهم، وصبرًا على أذاهم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾[التوبة:١٢٨].

وجميع أنبياء الله ورسله قاموا بالدعوة إلى الله، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢﴾[الجمعة:٢].

فيجب علينا الإيمان بهم، وتصديقهم، والاقتداء بهم في توحيدهم، وإيمانهم، وأخلاقهم، وإبلاغهم دين الله عز وجل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ٢٨٥﴾[البقرة:٢٨٥].

٢- دعاء الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم

الأنبياء والمرسلون أحسنُ الناس دعاءً لربهم. وقد أجاب الله دعاءهم، لصدق إيمانهم، وكمال توحيدهم، وقوة يقينهم، وكمال ثقتهم بالله، وحُسن أدبهم، وعُلو أخلاقهم.

ومن أدب الأنبياء والرسل في الدعاء والتضرع بين يدي الله ﷻ:

دعاء آدم ﷺ حين قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

ومن دعاء نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨].

ومن دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة:١٢٨-١٢٩].

وقد أجاب الله دعاءه ﷺ، فجعل الله مكة بلدًا آمنًا، وجعل من نَسْله ﷺ سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ.

ومن دعاء لوط ﷺ: ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشعراء:١٦٩].

ومن دعاء يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف:١٠١].

ومن دعاء شعيب ﷺ: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف:٨٩].

ومن دعاء موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص:١٦].

ومن دعائه ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه:٣٥-٣٦].

ومن دعاء أيوب ﷺ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

ومن دعاء يونس ﷺ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٨].

ومن دعاء زكريا ﷺ: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

ومن دعاء سليمان ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص:٣٥-٤٠].

ومن دعاء عيسى ﷺ: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ [المائدة: ١١٤-١١٥].

ومن دعائه ﷺ قوله: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: ١١٨].

ومن دعاء النبي ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ [الإسراء: ٨٠].

ومن دعائه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

وغيرُ ذلك من الأدعية التي جاءت في القرآن، ودعا بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٣- فقه الأدب مع رسول الله ﷺ

زينةُ المرء وجماله في حسن خُلقه، وكمال آدابه، والأدب مع رسول الله ﷺ هو أعلى مراتب الأدب، بعد الأدب مع الله جل جلاله ؛ لأن رسول الله ﷺ أعظم الخُلْقِ حُقًّا على الخَلْق: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والأدب مع الرسول ﷺ يتمثل في أربعة أمور :

تصديقه فيما أخبر .. وطاعته فيما أمر .. واجتناب ما نهى عنه وزجر ..وأن لا نعبد الله إلا بما شرع.

قال الله ﷻ : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر:٧].

وليس الأدب مع رسول الله ﷺ مجُرد كلمات وقصائد ومدائح خالية من الاتباع والعمل :﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

كمال الأدب مع رسول الله ﷺ لا يكون إلا بمحبة صادقة له، محبةً تستوجب اتباعه في كل ما أمر، واجتناب كل ما نهى عنه وزجر، واتخاذه أُسْوَةً في الظاهر والباطن، وقدوةً في القول والعمل، وفي الأخلاق والآداب :﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

والأدبُ مع رسول الله ﷺ هو أعلى وأفضل مراتب الأدب بعد الأدب مع الله ﷻ؛ لأن حقُّ النبي ﷺ على الناس أعظم من كل حق، لأن الله هداهم به من الضلال إلى الهدى، واسْتنقذهم به من النار، وأخرجهم به من ظلمات الكفر إلى

نور الإيمان: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وقال ﷻ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

الأدب هو الدين كله، والمُلْتزِم بهذا الدين عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا هو المُؤَدَّبُ حَقِيقَةً.

والأدب مع الله ﷻ هو الأصل لما وراءه من أَدَبٍ مع الرسول مُحَمَّدٍ ﷺ، وأدبٍ مع الخلق.

ولكي يكون المسلم مؤدبًا مع الرسول ﷺ، لابد له من تحقيق الاعتقاد الصحيح فيه بالإيمان به، وتحقيق المحبة الصادقة له، وتحقيق الاتباع الصحيح له: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الإسلام كله آداب

أدب مع الله، وأدب مع الرسل، وأدب مع الملائكة، وأدب مع الخلق، وأدب مع النفس: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

وقال الله: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ
أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك: ١٢].

حُسن الأدب مع رسول الله ﷺ عبادة قلبية، يتقرب بها العبد إلى ربه. فَيُصَدِّقُ النبي ﷺ فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ويجتنب ما نهى عنه وزجر، ولا يعبد الله إلا بما شرع، ويحبه أعظم من حبه لنفسه وولده ووالده والناس أجمعين، ويوقره لأنه رسول رب العالمين الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وصبر على ما أصابه ابتغاء مرضاة الله، حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾[الجمعة: ٢].

ومن كمال الأدب من النبي ﷺ كثرة الصلاة والسلام عليه كلما ذكره أو ذُكر عنده كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[الأحزاب: ٥٦].

٤ - أنواع الأدب مع رسول الله ﷺ

الأدب مع رسول الله ﷺ ثلاثة أنواع :

أدب قلبي .. وأدب قولي .. وأدب عملي.

الأول:الأدبالقلبي مع النبي ﷺ .

ويكون بالإيمان بالرسول ﷺ، وتصديقه في كل ما جاء به عن ربه، وحبه، وتعظيمه، وتوقيره، ومطابقة ذلك باللسان بأن يشهد أن محمداً رسول الله.

ومن ذلك اعتقاد تفضيله ﷺ على كل أحد من الخلق، لما خصّه الله به من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب كما قال سبحانه عنه:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

وقال النبي ﷺ : «أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنْه القَبْرُ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». أخرجه مسلم[1]

ومن ذلك استشعار هيبته ﷺ، وجلالة قدره، وعظيم شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحجرات:٢-٣].

ومن الأدب معه ﷺاستحضار محاسنه، وفضائله ومكانته، ومنزلته، وكل ما يجلب حبه وإجلاله، وتوقيره، وتعزيره :﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨).

﴿٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ [الفتح:٨-٩].

ومن الأدب القلبي: محبة النبي ﷺ محبة تامة، تظهر آثارها على الجوارح بالطاعة والإتباع: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾[النساء:٨٠].

وقال ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾[آل عمران:٣١].

ومحبة النبي ﷺ من الإيمان، فلا يتم إيمان أحد، إلا إذا كان النبي ﷺ أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين.

قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى أكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَلَدِهِ ووَالِدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ» متفق عليه(١).

وقال عمر رضي الله عنه: «يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شيءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ ﷺ: لَا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ. فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ ﷺ: الآنَ يا عُمَرُ» أخرجه البخاري(٢).

فكل نفع حاصل للناس جاء عن طريق الرسول ﷺ، فاستحق أن يكون حَظُّهُ من المحبة أوفر من غيره من الخلق، لأن النفع العظيم الحاصل منه أكثر من

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥) ومسلم برقم (٤٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٦٣٢).

غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨].

فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يقدّم محبة النبي على محبة جميع الخلق.

ومحبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة مُرْسِلِه، والمحبة الصادقة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات، وبُغض المكروهات: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[التوبة:٢٤].

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة، أوجب له ذلك أن يحُب بقلبه كل ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى بما يرضى به الله ورسوله، ويسخط مما يسخط الله ورسوله منه، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران:٣١].

وقال النبي ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» متفق عليه(١).

ولما كان القلب هو مَلك الجوارح، والجوارح جنوده، ومنقادة لأمره، فمتى كان حب النبي ﷺ وتعظيمه مستقراً في قلب العبد، فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح قطعًا، وحينئذ سترى اللسان ينطق بمدحه ﷺ، والثناء عليه، والصلاة والسلام عليه،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) ومسلم برقم (٤٣).

وذكر محاسنه، وترى سائر الجوارح ممتثلةً لأمره، مجتنبةً لنهيه، متتبعةً لشرعه، مؤديةً لما له من الحق والتكريم، وكمال الطاعة: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال النبي ﷺ: «ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ» متفق عليه(١).

الثاني: الأدب القولي مع النبي ﷺ.

وهو أن يتأدب المؤمن في أقواله معه، فلا يتقدم بين يدي النبي ﷺ بأمر ولا نهي، ولا إذن، ولا تصرف حتى يأمر هو، وينهى، ويأذن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات:١].

والتقدُّم بين بدي سنته ﷺ بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته كلاهما محرم.

ومن أدب القول معه ﷺ أن لا تُرْفَع الأصوات فوق صوته،لأن ذلك سبب لحُبُوطِ الأعمال، وكذا لا تُرفع الآراء والأفكار فوق سنته وما جاء به: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات:٢-٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

ومن أدب القول معه ﷺ أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره. فلا يدعى باسمه كما يدعى غيره، بل يُقَال: يا رسول الله، يا نبي الله: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾[النور:٦٣].

بل يناديه كما ناداه ربه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦].

وقال ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾[المائدة:٦٧].

ومن أدب القول مع النبي ﷺ الإكثار من الصلاة والسلام عليه، امتثالاً لأمر من أرسله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «مَن صَلَّى عَلَيَّ واحدة صَلَّى اللهُ عليه عَشْرًا» أخرجه مسلم[1].

ومن أدب القول معه ﷺ أن لا يترك قوله لرأي أحد، ولا يعارض نصه بعقل أحد، ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد؛ لأن هذا من سوء الأدب معه ﷺ.

قال النبي ﷺ: «لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ لا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ» أخرجه أحمد والترمذي[2].

الثالث: الأدب العملي مع النبي ﷺ

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).

(٢) صحيح، أخرجه احمد برقم (٢٣٣٢٣) والترمذي برقم (٢٧١١).

وهو أن تنقاد الجوارح لتعمل بكل ما جاء به ﷺ، فمن أحبه ﷺ انبعثت جوارحه بطاعته وإتباعه، واتخاذه قدوة وأسوة في أقواله وأعماله وأخلاقه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

وقد أوجب الله ﷻ على هذه الأمة طاعة رسولها ﷺ في كل ما أمر به، وفي كل ما نهى عنه، وتصديقه في كل ما أخبر به فقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

٥ - أصول الأدب الكامل مع رسول الله ﷺ

الأول: الإيمان به ﷺ، وأن الله أرسله بالحق كافة للناس إلى يوم القيامة .

قال الله ﷻ : ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾[الأعراف:١٥٨].

الثاني: كمال الانقياد والطاعة للنبي ﷺ

قال الله ﷻ: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ﴾ [آل عمران:٣٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾[النساء:٦٥].

الثالث: تصديق النبي ﷺ في كل ما أخبر به، لأنه وحي من الله ﷻ

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾[النجم:١-٤].

الرابع: اتباع النبي ﷺ وطاعته في كل ما جاء به من ربه من الأقوال، والأفعال، والأخلاق، والآداب.

قال الله ﷻ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾[آل عمران:٣١].

وقال النبي ﷺ : « كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا : يا رَسُولَ الله، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ : مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَاني فقَدْ أَبَى » أخرجه البخاري(١).

الخامس: اجتناب كل ما نهى عنه النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠) .

قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[الحشر:٧].

وقال النبي ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه(١).

فقد أوجب الله على جميع الناس طاعة الرسول ﷺ في كل ما أمر به، واجتناب كل ما نهى عنه، وحذرهم من مخالفة أمره ودينه كما قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾[النور:٦٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾[النساء:١١٥].

السادس: تقديم قول النبي ﷺ على أقوال جميع الناس

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾[الحجرات:١].

السابع: محبة النبي ﷺ أكثر من محبة النفس، والأولاد، والوالدين، والناس أجمعين.

قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ». متفق عليه(٢).

الثامن: التسليم لحُكْم النبي ﷺ، والانقياد له، والرضا به

قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾[النساء:٦٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ( ) ومسلم برقم (٤٤).

التاسع: اتخاذ النبي ﷺ قدوة حسنة في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة، وفي آدابه العالية.

قال الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

العاشر: نشر دينه ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها، والدفاع عن سنته، وتعليم الناس ما جاء به من الأحكام، ومحاسن الأخلاق

قال الله ﷻ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية... الى النار». أخرجه البخاري (١).

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الستون

عِبَادة الأدب مع الخلق

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: أنواع الأدب.

الثاني: فقه الأدب مع الخلق.

الثالث: مظاهر الأدب مع الخلق.

الرابع: الأسباب المعينة على حُسن الأدب مع الخلق.

الخامس: ثمرات الأدب مع الخلق.

العبادة الستون

عِبَادة الأدب مع الخلق

١ - أنواع الأدب

الأدب أربعة أنواع:

أدبٌ مع الله عز وجل..وأدبٌ مع رسول الله ﷺ.. وأدبٌ مع خلق الله .. وأدبٌ مع النفس:

الأول:أدبٌ مع الله عز وجل:

وهذا الأدب هو أعلى مراتب الأدب، وهو أصل لجميع أنواع الأدب، فهو رأس الأمر وعموده وأساسه؛ والأدب مع الله ﷻله ثلاثة أركان:

الأول: صيانة معاملَتِه أن يشوبها بنقيصة.

الثاني: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غير الله عز وجل.

الثالث: صيانة إرادة العبد أن تتعلق بما يَمقُته الله عليه من إرادة الشر والسوء والظلم، ونحو ذلك: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢-٤] .

ثانيًا:الأدب مع رسول الله ﷺ:

ورأس الأدب معه ﷺالإيمان به، والتسليم له، والانقياد لأمره، والحب له، وتلقّي أخباره بالقبول والتصديق، وتلقي أوامره بالقبول والتطبيق، وعدم معارضة ما جاء به بالعقل أو الشَّك، أو تقديم آراء الرجال عليه .

فكمال الأدب معه ﷺ أن نوحّده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان

والاتباع، كما وحّدنا الله ﷻ بالعبادة، والخضوع، والذلّ، والإنابة، والتفويض، والتوكل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

الثالث: الأدب مع الخلق:

والخلق أقسامهم كثيرة، ولابد للعبد أن يتأدَّب مع كل واحد منهم بما أمره به الشرع، ويعامله بما يليق به، سواء كان من الملائكة، أو الرسل، أو عامة الناس.

فالأدب مع الملائكة يكون بالإيمان بهم، ومحبتهم وموالاتهم، والثناء عليهم وإكرامهم، لأنهم رسل الله إلى خلقه يدبرون أمره، ويستغفرون للمؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

ومن الأدب مع الملائكة البعد عن الذنوب والمعاصي، والروائح الكريهة؛ لأن الملائكة حاضرون معنا، ويتأذّون مما يتأذّى منه بنو آدم.

ومن الأدب معهم الامتناع عن كل ما يمنع قرب الملائكة، أو دخولهم بيوتنا، أو حضورهم مجالسنا، من صور ذوات الأرواح، من الناس أو الحيوانات، وكذلك الكلب أو الجرس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقال النبي ﷺ: "لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ". متفق عليه(١).

والأدب مع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، يكون بالإيمان بهم وتصديقهم، ومحبتهم والثناء عليهم، والاقتداء بهم في توحيدهم وإيمانهم، وأخلاقهم وآدابهم، وعبادتهم ومعاملاتهم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٢) ومسلم برقم (٢١٠٦).

وقال ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنعام: ٩٠].

أما الأدب مع الناس:

فالناس متفاوتون في الإيمان والكفر، ومتفاوتون في التقوى والفجور، ومتفاوتون في القرب والبعد، ومتفاوتون في العلم والجهل؛ فيعامل كل واحد من هؤلاء بما يليق به مع اختلاف مراتبهم.

فهناك آدابٌ للتعامل مع الوالدين، وآدابٌ مع ذوي الأرحام، وآدابٌ مع الجيران، وآدابٌ مع العلماء الربانيين، وآدابٌ مع الصالحين، وآدابٌ مع العصاة، وآدابٌ مع ولاة الأمر، وآدابٌ مع المؤمنين، وآدابٌ مع المشركين، وآدابٌ مع المخالفين من أهل البدع، وآدابٌ مع الضيوف، وآدابٌ مع السائلين، وآدابٌ مع الأغنياء، وآدابٌ مع المرضى، وغير ذلك مما جاءت به الشريعة.

وهناك آدابٌ بين الراعي والرعيّة، وآدابٌ بين المدرس وطلابه، وآدابٌ بين المدير وموظفيه، وآدابٌ بين الزوجين، وآدابٌ مع الأولاد، وآدابٌ مع اليتامى والمساكين وغيرهم.

وكل هذه الآداب الإسلامية قائمةٌ على العدل والإحسان، والرحمة والمحبة، واللطف والرفق، والحلم والصبر، والعفو ومكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل: ٩٠].

وكل هذه عباداتٌ فيها أجرٌ عظيم من الرب، سواءٌ كانت بين العبد وربه، كعبادة الله وحده لا شريك له، أوكانت بين العبد والخلق من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا

﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[الإسراء:٢٣-٢٧].

وقال الله عَجَلّ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦].

وقال عَجَلّ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الرابع: الأدب مع النفس:

ويكون بتزكيتها بالإيمان والأعمال الصالحة، وتدريبها على أنواع الطاعات، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، وحثّها على التوبة و الاستغفار، والخشية والإنابة، وحملها على طاعة الله ورسوله، ومنعها مما يُغضب الله ورسوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس:٧-١٠].

وقال عَجَلّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾[الأعلى:١٤-١٥].

ومن أدب الإنسان مع نفسه بإعطاؤها حظوظها مما فطرها الله عليه من المآكل والمشارب، والملبس والمركب، والمسكن والمنكح: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الأعراف:٣٢].

ومن أدب الإنسان مع نفسه اِلزامها بالحقوق والواجبات التي أمرها الله بها، سواءً كانت من العبادات أو المعاملات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا

رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].

فهذه أنواع الأدب:

أدبٌ مع الله، وأدبٌ مع رسله، وأدبٌ مع خلقه، وأدبٌ مع النفس .

والآداب والأخلاق زينة المرء بين يدي ربه، وبين يدي خلقه، فالدين ركنان:

الأول: عبادة الحق سبحانه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء:٣٦].

الثاني: الإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان والخير والبِرّ، كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وأعظم الإحسان إلى الناس دعوتهم إلى الله، ليؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له، لينالوا رضاه ومحبته، ويسعدوا في دنياهم وأخراهم؛ وبهذا أرسل الله رسله وأنزل كتبه إلى خلقه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

٢ - فقه الأدب مع الخلق

الأدب هو استعمال ما يُحمد قولًا وفعلًا، وخُلقًا وسلوكًا، وحسن الأدب ثمرة الإيمان وحسن الخلق

الأدب جمال العبد في ظاهره وباطنه، جماله في أخلاقه، جماله في حسن كلامه، جماله في معاملته، وجماله في هيئة لباسه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف:٢٦].

والناس متفاوتون في الأدب بحسب إيمانهم وأخلاقهم، فالله ﷻقسمَ عليهم الأخلاق والآداب، كما قسمَ عليهم الأموال والأرزاق :﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾[الزخرف:٣٢].

وأحسن الخلق أدبًا هم الأنبياء والرسل، وأعظم الأنبياء والرسل خُلقًا وأدبًا هو سيد الخلق أجمعين محمد ﷺالذي أثنى عليه ربه بقوله:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[القلم:٤].

وكان ﷺخُلقه القرآن، يتأدّب بآدابه، ويحُلّ حلاله، ويحُرّم حرامه، ويصدّق أخباره، ويعمل بأحكامه، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه .

وقد امتنَّ الله ﷻعلى هذه الأمة ببعثة رسوله ﷺإليها، فقال:﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾[آل عمران:١٦٤].

وأثنياللهعز وجلعلى نفسه ببعثة سيد الخلق إلى هذه الأمة، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾[الجمعة:٢].

الأدب: هو اجتماع خصال الخير في الإنسان.

والأدب ملكةٌ عظيمة تعصِم من قامت به عما يشينه، وتحمله على التحلّي بكل فضيلة، والأخلاق والأدب تاج كل مسلم، وزينة كل مؤمن، ولباس كل تقيّ .

بالأخلاق والآداب ترتفع منارات الدين، وتتسع مساحته، ويكثر دخول الناس فيه، وتتحقق به الألفة والمودة بين الناس: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩].

بالأخلاق والآداب يتميز الإنسان عن الحيوان البهيم، وعن السباع، وعن أخلاق الشياطين، ويرقى إلى حياة الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقرَّبين، وينجو من عذاب الجحيم، ويفوز بجنات النعيم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

بالإيمان والأخلاق والآداب تكون الأمة كالجسد الواحد؛ يحب الواحد لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

قال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَراحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه(١).

والقرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان، وكتاب الأخبار الصادقة، وكتاب الأوامر والنواهي، وكتاب الأخلاق والآداب: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

الأخلاق والآداب حصنٌ عظيم يحفظ الأمة من الشرور والفواحش والمنكرات، ومن الفرقة والخلاف، والبغي والعدوان.

وبالأخلاق والآداب تكفُّ النفوس عن رعونتها، وتبتعد القلوب عن شرورها،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

وتبتعد عن رديء الأخلاق.
الأدب: هو مجالسة الخَلق على بساط الصدق، وحسن الظنّ.
وكلما عظم أدب المرء كلما ازداد قدره، وعلا شأنه، وارتفع مقامه؛ فتأدّب يا عبد الله بأدب دينك العظيم، والبس لباس الإيمان والتقوى، فما ستر العيوب مثل جميل الأدب، وحُسن الخُلق.
والأدب: كنزُ الفضائل، وكما تحتاج الأبدان إلى قوتها، تحتاج العقول إلى آدابها، والأدب هبةٌ ربانية، وزينةٌ أخلاقية، وفضيلة إنسانية.
الأدب يرفع قدرَ صاحبه، فمن حَسُنَ أدبه زاد شرفه وإن كان وضيعًا، وذاعَ صيته وإن كان خاملًا، وساد وإن كان غريبًا، وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرًا.
ومن شرف الأدب أن أهله متبوعون، والناس تحت راياتهم جالسون، ويعطف ربك بهم قلوبًا لا تقطعها الأرحام، وتجتمع بهم قلوبًا لا تأتلف بالغلبة، وتُبذَل دونهم مُهجُ النفوس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾[مريم:٩٦].
ومن شرفِ حسن الأدب أنه يتشعّب منه العزّ والمجد والشرف، فيشرُف صاحب الأدب وإن كان دَنِيًا، ويعزُّ صاحبه وإن كان مَهينًا، ويقرُب صاحبه وإن كان قصيًا، ويَنبُل صاحبه وإن كان حقيرًا.
والفضلُ بالعقل، وحسن الخلق والأدب؛ لا بالأصل والحسب والنسب، والمحروم من لا أدب له، والفقير من لا أدب له، والغريب من لا أدب له.
ومن حسن الأدب المروءة والإيثار، وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وتصبر على من آذاك، وتشكر كل من أحسن إليك: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

٣- مظاهر الأدب مع الخلق

الأول: التعاون على البرِّ والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

الثاني: المحبة والتراحم بين الناس.

قال النبي ﷺ: «لا يؤمِنُ أحَدُكم حتى يحِبَّ لأخيه ما يحِبُّ لنفْسِه» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَراحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه(٢).

الثالث: الإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الرابع: الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

الخامس: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بالرفق واللين:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

السادس: النصيحة لكل مسلم.

قال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لمَنْ؟ قالَ: للهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم(١).

السابع: إفشاء السلام:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: ٨٦].

وقال النبي ﷺ: « لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ » أخرجه مسلم(٢).

ثامنًا: أخذ الزينة عند كل مسجد:

قال الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

التاسع: ترك فضول النظر، وترك فضول السمع، لأن التنصُّت على من يتحدث بصوتٍ منخفض فضولٌ كريه، وسوء أدب، والنظر إلى ما لا يعنيك سوء أدب:

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال النبي ﷺ: «من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعْنيه» أخرجه الترمذي وابن ماجة(٣).

العاشر: اعتدال الصوت أثناء الحديث بين الخفض والرفع؛ ليسمع القريب، ولا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣١٨) وابن ماجة برقم (٣٩٧٦).

ينزعج النائم، كما قال لقمان لابنه: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان: ١٩].

الحادى عشر: وضع القمامة في مكانها المُعَدِّ لها، وعدم رمي المخلّفات من أوراق أو مناديل، أو علب فارغة، ونحوها من نافذة المنزل أو السيارة، لما في ذلك من سوء الأدب مع الناس، ونشر الأقذار في الطرق العامة.

قال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ في الطُّرُقَاتِ، فقالوا يا رَسُول الله: ما لَنَا مِنْ مجَالِسُنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قالوا: وَما حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قالَ: غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بالمَعروفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ» متفق عليه[١].

الثني عشر: المحافظة على نظافة الأماكن العامة:

كالحدائق والمنتزهات والطرق العامة، وعدم التبوّل أوالتغوّط فيها؛ لما في ذلك من سوء الأدب، وتنجيس الطرق والأماكن العامة.

قال الرسول ﷺ: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ، قالوا: وَما اللَّعَّانَانِ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: الذي يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ في ظِلِّهِمْ» أخرجه مسلم[٢].

ثلاثة عشر: حسن قيادة السيارة في الطرق والأماكن العامة، والسير بهدوء حسب نظام المرور، وعدم سدّ الطريق على الناس، لما فيه من تعطيل مصالح الناس:

قال الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة: ٢].

وقال النبي ﷺ: «لا ضررَ ولا ضِرارَ» أخرجه ابن ماجة[٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٦٥) ومسلم برقم (٢١٢١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩).

(٣) حسن/ أخرجه ابن ماجة برقم (١٩٠٩).

الرابع عشر: قيام الموظف في الدوائر والمصالح الحكومية، أو غيرها، بواجب خدمة الناس بروح طيبة، واحتساب الأجر بإتقان عمله، والصبر على أذى الناس، لأنه في عبادة، ومصالح الناس بين يديه، فليَرفق بهم، ولا يشقّ عليهم، ولا يعطّل معاملاتهم ومصالحهم.

قال النبي ﷺ: «اللهم مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» أخرجه مسلم (١).

الخمس عشر: من حسن الأدب مع الناس التَّبَسُّم في وجوههم، وإظهار السرور في خدمتهم، وعدم التجهُّم والعبوس في وجوه الناس، لأن ذلك من سوء الأدب، عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه، أنه قال: ما رأيتُ أحدًا أكثرَ تبسُّمًا من رسولِ اللهِ ﷺ. أخرجه الترمذي (٢).

وعن جرير بن عبد الله قال: ما حَجَبَنِي النبيُّ ﷺ مُنْذُ أسْلَمْتُ، ولَا رَآني إلَّا تَبَسَّمَ في وجهي. أخرجه البخاري (٣).

السادس عشر: السماحة في البيع والشراء وسائر المعاملات، قال النبي ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشْتَرَى، وإذا اقْتَضَى» أخرجه البخاري (٤).

السابع عشر: العفو والصفح عن الزلّات:

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن: ١٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٦٤١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦).

الثامن عشر:عيادة المريض، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة وشهود جنازة المسلم.

قال النبي ﷺ:«حَقُّ المسلِمِ على المسلِمِ ستٌّ: إذا لقيتَهُ فَسلِّمْ عَلَيهِ، وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ، وإذا استنصَحَكَ فانصَحْ لهُ، وإذا عَطسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، و إذا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإذا ماتَ فاتْبَعْهُ» أخرجه مسلم (١).

التاسع عشر:رحمة الصغير، وإجلال الكبير، واحترام العلماء وتوقيرهم، لما يحملونه من العلم الإلهي.

قال النبي ﷺ:« ليسَ منَّا من لمَ يَرحَمْ صغيرَنا، و يعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا ».أخرجه أبو داود والترمذي(٢).

العشرون:بر الوالدين، والإحسان إليهما، والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين والجيران، وأمثالهم:

قال الله ﷻ:﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾[النساء:٣٦].

الحادي والعشرون :انظار المعسر حتى يجد، وأفضل من ذلك إسقاط الدَيْن عنه:

قال الله ﷻ:﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠﴾[البقرة:٢٨٠].

وغير ذلك من الآداب الإسلامية التي شرعها الله، وهي تزيد على ألف أدب، كما جاء في القرآن والسُّنَّة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٦٢).

(٢) صحيح/ أخرجهأبو داودبرقم (٤٩٤٣) والترمذي برقم (١٩٢٠) .

٤ - الأسباب المعينة على حسن الأدب مع الخُلق

الأول: العلم بفضائل حُسن الخُلق والأدب مع الناس

قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المؤمن يَومَ القِيامة مِنْ خلق حسنٍ » أخرجه أحمد والترمذي(١).

وقال النبي ﷺ: «إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائم» أخرجه أبو داود(٢).

الثاني: معرفة الأجور العظيمة على حُسن الخُلُق، وحسن الأدب مع الخلْق: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال النبي ﷺ: «من نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامة، ومن يسَّر على مُعسِرٍ، يسَّر اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ، ومن ستر مسلمًا ستره اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عَونِ العبدِ ما كان العبدُ في عَوْنِ أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهَّل اللهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلى الجَنَّةِ» أخرجه مسلم(٣).

الثالث: حسن الظنّ بالناس، واستحضار أن الخطأ من طبيعة البشر، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطاءين التوّابون، فاصبر على الأذى، وعامل كل إنسان حسب طبعه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

الرابع: العلم بسيرة الأنبياء والمرسلين؛ وما هم عليه من حسن الخلق والأدب مع الناس، والصبر على آذاهم، والعفو عنهم، وإنزال الناس منازلهم: ﴿لَقَدۡ

---

(١) صحيح/ أخرجهأحمد برقم (٢٧٥١٧) والترمذي برقم (٢٠٠٢).

(٢) صحيح/ أخرجهأبو داودبرقم (٤٧٩٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[التوبة:١٢٨].

الخامس: دعاء الله ﷻ أن يرزقك مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، لأن خزائن كل شيء عنده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل:٥٣].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهمَّ اهدني لأحسنِ الأخلاقِ لا يَهدني لأحسنِها إلَّا أنتَ، واصْرِفْ عنِّي سيِّئَها لا يصرفُ سيئَها إلا أنتَ» أخرجه مسلم(١).

السادس: المحافظة على الفرائض، والتقرّب إلى الله بالنوافل.

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ قالَ: مَن عادَى لي ولِيًّا فقدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقرَّبَ إليَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إليَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ» أخرجه البخاري(٢).

السابع: معاملة الناس حسب ظاهرهم، وأن نَكِل سرائرهم إلى الله، ولا نشتغل بالبحث عن مقاصدهم ونيّاتهم التي أخفاها الله عنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

الثامن: الإعراض عن الجاهلين، وسفه السفهاء، بالحلم والصبر، وحسن الرد كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

﴿وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾[القصص:٥٥].

التاسع: مجالسة الأخيار والصالحين، والعلماء الربانيين، للتخلّق بأخلاقهم، والتأدّب بآدابهم، وهجر مجالسة الأشرار والفساق، وأهل الغفلة:﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

العاشر: تذكُّر عواقب سوء الأدب، وما يجرّه من الغيبة والنميمة، وما يسببه من الفرقة والخلاف، والنزاع والشقاق، والتقاطع والتدابر:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾[الحجرات:١١].

الحادي عشر: استشعار الأخوّة الإسلامية، والمحبّة الإيمانية؛ فمن تذكَّر ذلك أحسن الأدب مع إخوانه المؤمنين، ولَطُفَ بهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾[الحجرات:١٠].

وقال النبي ﷺ: «لا يؤمِنُ أحدُكم حتى يحِبَّ لأخيه ما يحِبُّ لنفْسِه» متفق عليه(١).

الثاني عشر: قراءة القرآن وتدبره، لمعرفة مكارم الأخلاق، وفضلها وثوابها، ومعرفة صفات الأنبياء والمرسلين، ومعرفة ما أكرمهم الله به من حُسن الأخلاق والآداب: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[النحل:٨٩].

الثالث عشر: الاستعانة بالله في تحصيل مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب:
﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

٥ - ثمرات الأدب مع الخلق

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن أكْثرِ ما يُدخِلُ الناسَ الجَنَّةَ؟ فقال: «تَقوى الله، وحُسنُ الخُلُقِ ، وسُئِلَ عن أكْثرِ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ؟ فقال: الفَمُ والفَرْجُ» أخرجه أحمد والترمذي[1].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٩٦٩٤) والترمذي برقم (٢٠٠٤).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الحادية والستون

عِبَادة العـــدل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه العدل.

الثاني: أقسام العدل.

الثالث: صور العدل بين الناس.

الرابع: الأسباب المعينة على العدل .

الخامس: ثمرات العدل.

العبادة الحادية والستون

عِبَادة العــــدل

١ - فقـه العدل

العدل: هو القصد في الأمور، وهو ضد الجَوْر والظلم.

العدل: هو الاستقامة على الحق، بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣].

العدل: هو استعمال الأمور الشرعية في مواضيعها، وأوقاتها، ومقاديرها، من غير إفراطٍ ولا تفريط، ولا تقديمٍ ولا تأخير.

العدل: هو إعطاء الحق لأهله وافيًا، وعدم زيادته أو نقصانه على حساب الغير: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء:٥٨].

والعدالة: ملَكةٌ تحمل صاحبها على الفضائل، والاستقامة والعدل، والتوسط في الأمور من غير إفراطٍ ولا تفريط.

العدل: عبادة من أعظم عبادات القلوب، سواء كان في الغضب أو الرضا، وسواءً كان مع القريب أو البعيد، أو العدو أو الصديق: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ [الأنعام:١٥٢].

وبالعدل قامت السماوات والأرض، فعلى من وَلِيَ من أمر المسلمين شيئًا أن يحكم بينهم بالعدل، ولا يؤثر أحدًا على أحدٍ لقرابةٍ أو مصلحةٍ.

قالَ النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبادَةِ اللهِ تعالى، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ في خَلاءٍ فَفاضَتْ عَيْناهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسجِدِ، وَرَجُلانِ تحَابَّا في اللهِ: اجتَمَعا عَلَيهِ، وتَفَرَّقا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ: إِنِّي أَخافُ اللهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاها، حتَّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» متفق عليه(١).

والعدل: هو الحقّ الذي يجب العمل به، والحُكمُ به .

والعدل: هو الحق الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد:٢٥].

وأعدل العدل هو التوحيد، وأظلم الظلم هو الشرك بالله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان:١٣].

وسُئل النبي ﷺ: «أيُّ الذنْبِ أكبر عند الله قالَ: أنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًا وهو خَلَقَك» متفق عليه(٢) .

والعدل: من أعظم صفات العبد، والذي يُفسد العدل هو الهوى، لأن الهوى يميل بالإنسان عن الحق إلى الباطل، وعن العدل إلى الظلم: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص:٢٦].

العدل: خلقٌ كريم، وصفةٌ عظيمةٌ تحبها النفوس، وتبعث الأمل لدى المظلومين، وبالعدل تستقيم الحياة، ويَسعدُ الناس، ويصل إلى كل ذي حقٍ حقه، وبه تُساس الرعيّة، وتُصان الحقوق، وتُحفظ كرامة الأمة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٠) ومسلم برقم (٢٤٢٧) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٨٦١) ومسلم برقم (٨٦) .

إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾[النساء:٥٨].

والعدل: صفة من صفات الرب ﷻ، وهو من مقتضيات أسماء الله الحسنى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾[النساء:٤٠].

والله ﷻ يُحبّ العدل، وأهل العدل، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾[المائدة:٤٢].

وأهل العدل يوم القيامة في أرفع المنازل، وأحسن المجالس .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» أخرجه مسلم[1].

العدل: هو عُدَّةُ المُلك، وأساس السياسة في الأوطان، وسبيل الأمن والاستقرار والطمأنينة بين الناس.

العدل: خُلق العظماء، وصفة الأنبياء، وخُلق الأتقياء، ودأب الصالحين وطريق الفلاح للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

العدل: من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، وأعظمهم نصيبًا وقدرًا منه سيّد الأولين والآخرين، وخاتم الرسل أجمعين، محمد ﷺ الذي أثنى عليه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤].

فالعدل خُلقٌ من أخلاقه، وصفةٌ من صفاته .

عَدَلَ ﷺ في تعامله مع ربه ﷻ، وعَدَلَ في تعامله مع نفسه، وعَدَلَ في تعامله مع الناس من مسلمٍ وكافرٍ، ومن قريبٍ أو بعيدٍ، ومن موافقٍ أو مخالفٍ، ومن مسالمٍ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧) .

أو مكابرٍ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[المائدة:٨].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[الحديد: ٢٥] .

العدل: به صلاح البلاد والعباد، وليس شيءٌ أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لنفوس الخلق، من الظلم والجَوْر، ولهذا نهى الله خلقه عن الظلم بقوله في الحديث القدسي: «يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا» أخرجه مسلم[1].

وقد فطر الله النفوس على حب العدل، وحب من يحكم به

وقد قام دين الإسلام على الصدق والعدل؛ فأخبار القرآن كلها صدق، وأحكامه كلها عدلٌ، لا ظلم فيها ولا جَوْر: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾[الأنعام:١١٥].

والعدل: من أعظم عبادات القلوب التي يحبها الله ﷻ، ولمحبة الله للعدل أرسل به رسله إلى عباده، وأمر به رسوله ﷺ بقوله:﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾[الشورى:١٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

وأمر الله بالعدل جميع خلقه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

والعدل: عبادة من عبادات القلوب تدخل في كل عبادة ومعاملة وخُلق.

العدل: عبادة عظيمة بين العبد وربه بإخلاص العبادة لله وحده: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

العدل عبادة عظيمة بين الحاكم ورعيته، بين المسلم وغيره، بين الزوج وزوجه، بين الرجل وأولاده، بين الجار وجاره، بين المرء وأقاربه، بين المسلم والكافر، بين الصديق والعدو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [المائدة: ٨].

فالعدل: عبادة قلبية واجبة على كل أحد، وفي كل حال، وفي كل أمر، حتى في القول والكلام: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

العدل: عبادة جامعةٌ لمحاسن الأقوال والأعمال، والأخلاق والآداب، ولهذا أمر الله به جميع عباده، وأرسل به رسله إلى خَلقه، ونهى عن ضده من الظلم والجور والبغي، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

فأقم يا عبد الله عبادة العدل فيما بينك وبين الله بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وأقم عبادة العدل على نفسك بحملها على امتثال أوامر الله، وكفِّها

عما حرم الله، لتفوز بالجنة وتنجو من النار: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

وأقم عبادة العدل فيما بينك وبين الناس، وارضَ لهم ما ترضى لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، يحبك الله، ويحبك الناس، وتفوز بالجنة، وتنجو من النار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾ [المائدة:٨-٩].

فإذا فعلت ذلك يا عبد الله فأبشر بحب الله لك، وإذا أحبك الله أسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾ [المائدة:٤٢].

٢ - أقسام العدل

العدل ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: عدلٌ مطلقٌ يقتضي العقل حُسنُه:

مثل الإحسان إلى من أحسنَ إليك، وكفِّ الأذى عمن كفَّ أذاه عنك.

الثاني: عدلٌ يعرف كونه عدلٌ بالشرع:

كالعدل في القصاص، والحدود، والبيوع، وسائر المعاملات وهذا العدل هو الذي أمر الله به بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

فالعدل: هو المساواة في المكافأة، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

والإحسان: أن يقابل العبد الخير بأكثر منه، ويقابل الشر بأقل منه.

والإحسان أفضل من العدل، لأنه عدلٌ وزيادة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

والعدل يكون في الأقوال والأفعال والأموال.

وجهات العدل ثلاث:

الأولى: العدل مع الله ﷻ:

وهو ألّا تصرف شيئاً من حقه إلى عبيده، وحق الله على عباده إفراده بالعبادة وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء:٣٦].

وعَن معاذ رضي الله عنهقال: «كُنْتُ رِدْفَ رَسولِ الله ﷺعلَى حِمارٍ، يُقالُ له: عُفَيْرٌ: فقالَ: يا مُعاذُ، أتَدْرِي ما حَقُّ اللهِ علَى العِبادِ؟ وما حَقُّ العِبادِ على

الله؟.فقُلتُ: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقَّ الله على العِبادِ أنْ يَعْبُدُوه، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ على الله أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا، فقُلتُ: يا رَسولَ الله، أفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ، فقالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فيَتَّكِلُوا» متفق عليه[1].

فالتوحيد أعدل العدل، وأحسن المحاسن.

والشرك أظلم الظلم، وأقبح القبائح، لأنه صرف للعبادة لغير مستحقها، ولهذا لا يغفره الله يوم القيامة لمن مات عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

الثانية: العدل مع النفس:

ويكون بحملها على طاعة الله ورسوله، وكفِّها عن معصية الله ورسوله، وحملها على المصالح، وكفِّها عن المفاسد، ومن حملها على غير ذلك فهو ظالمٌ لها: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠].

فالعدل: أن تحمل نفسك على الحق، وتزجرها عن الباطل من قول أو فعل أو خُلُق، لتفوز برضا الله، وتنجو من عذاب الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

العدل مع النفس أن تعطيها حظوظها مما أباحه الله لها، وتطالبها بأداء الحقوق الواجبة عليها من عبادة الله وحده، والإحسان إلى خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٣) ومسلم (٣٠).

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

الثالثة: العدل مع الناس كافة:

المؤمن والكافر، والصديق والعدو، والموافق والمخالف، والقريب والبعيد، لأن العدل قامت به السموات والأرض، وهو من أعظم أسباب الأمن والاستقرار، والسكينة والطُمأنينة، وبه يسعد الناس في الدنيا والآخرة، وبضده من الظلم والجور يشقى الناس في الدنيا والآخرة، ولهذا أمر الله به جميع خلقه، وأرسل به جميع رسله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

وأعظم أنواع العدل بين الناس، عدل الوالي مع رعيته، لمِا في ذلك من عموم النفع للبلاد والعباد، ولمِا في ضده من عموم الجور والظلم والضرر للبلاد والعباد: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص:٢٦].

٣-صور العدل بين الناس

العدل مع الناس له صور كثيرة أهمها:

الأولى: عدل الوالي:

وهو أعظم أنواع العدل، وأكثرها نفعًا، وأعظمها أجرًا، لما فيه من المصالح العظيمة العامة، فبالعدل يستتب الأمن في البلاد، وتحفظ الحقوق والحدود، وتحصل الطمأنينة في النفوس، ويأمن الناس على أنفسهم، وأعراضهم وأموالهم، ويشعروا بالطمأنينة والأمن والاستقرار: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص:٢٦].

والوالي: هو من ولّاه الله أمور الناس، وابتلاه بهذه الولاية؛ لينظر هل يعدل أو يظلم؟، وينظر هل يتَّبع هواه أم يتبع هدى ربه؟، سواء كان الإمام الأعظم أو الوزراء، أو الأمراء، أو المدراء، أو غيرهم من أصحاب الشأن كالأب في بيته، والمعلم في فصله، والمسئول في عمله.

والوالي العادل أول السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

قال النبي ﷺ: «سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه: إمامٌ عادل» متفق عليه[١].

وكل راعٍ مسئول عن رعيته، ومبتلىً بمن تحت يده؛ هل عدلَ فيهم أو ظلمهم؟ هل أحسن إليهم أو أساء إليهم؟ هل أعطاهم حقوقهم أو منعهم حقوقهم؟ هل أكرمهم أم أهانهم؟ : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[النساء:٥٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) .

وقال النبي ﷺ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه(١).

فهنيئًا لمن قام بعبودية هذه الولاية، فحقق العدل، واجتنب الظلم، وبُشراه بأحسن المجالس في الجنة، وأرفع الدرجات، ومحبة الرحمن، ومحبة الناس.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» أخرجه مسلم(٢).

وقال النبي ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ، مُتَصَدِّقٌ، مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» أخرجه مسلم(٣).

الثانية: العدل في الحكم بين الناس:

سواء كان من يحكم بينهم قاضيًا، أو كان صاحب منصب، أو كان مصلحًا بين الناس، وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه بالعدل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء:٥٨].

الثالثة: العدل مع الزوجة، والعدل بين الزوجات:

وذلك بأن يعامل الرجل زوجته بالعدل؛ سواء في النفقة، أو السكن، أو المبيت.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٥٤) ومسلم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

وإن كان معه أكثر من واحدة، أعطى كل واحدة منهن حقها بالسَّوِيَّة مع غيرها: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

أما الميل القلبي إلى إحدى الزوجات دون الأخرى، فهذا لا يَدخل في عدم العدل، لأن الزوج لا يملكه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: ١٢٩].

الرابعة: العدل بين الأولاد في التبرّع المَحْض:

أما النفقة فيعطي الأب كل ولدٍ ما يسد حاجته؛ فيعطي الكبير ما لا يعطي الصغير، ويعطي المريض ما لا يعطي الصحيح، أما التبرّع المَحْض فلا بد من المساواة بين الأولاد من البنين والبنات، لأن التفضيل في العطيّة ظلم وجور.

عن النعمان بن بشير قال: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضيحتى تُشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: أني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: «أَعطيتَ سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، قال فرجع» متفق عليه(١).

فإذا أعطى الوالد أولاده فالعدل أن تكون العطية حسب قسمة الميراث، للذكر مثل حظ الأنثيين، لأنه لا أعدل من قسمة الله ﷻ.

والولد الذي يعمل مع والده في التجارة يُعطَى مثل أجرة مثله، والأم كالأب في وجوب العدل بين الأولاد في العطية.

وعلى الوالد أن يعدل بين أولاده في العطية، سواء كان أحدهم بارًا أو عاقًا، قطعًا لدابر الخلاف والشقاق بينهم، وغير ذلك مما يسبب قطيعة الرحم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٧) ومسلم (١٦٢٣).

وإذا جارَ الوالد، وفاضل بين أولاده في العطية، فتوبته أن يرد ما فاضل به بين أولاده، أو يعطي البقية مثل ما أعطى من فضَّله بالعطاء، أو يسترضي المحرومين بحيث يكون رضاهم عن طيب نفسٍ، لا رضى حياءٍ ومهابةٍ ومجاملة.

الخامسة: العدل مع الأعداء والمخالفين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

السادسة: العدل في الكيْلِ والميزان: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ويجب العدل في الأخذ والعطاء عند البيع والشراء، وقد توعَّد الله من لم يعدل بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ١-٦].

السابعة: العدل في القول:

فلا يقول إلا حقًا، ولا يشهدُ زورًا، ولا يتكلم بباطل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

الثامنة: العدل في المعاملات:

فيعطي الواجب عليه، ولا يمنع الحق الذي عليه، ولا يأخذ كاملًا، ويعطي ناقصًا: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء: ٣٥].

٤ - الأسباب المعينة على العدل

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمن عَرف الله حقًا، أطاعه ولم يعصه، وعدل ولم يظلم عباده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: معرفة فضائل العدل وثمراته في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات:٩].

وقال النبي ﷺ: «إن المقسطين على منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمنِ، وكِلتا يدَيهِ يمِين، الذين يَعْدِلُون في حِكمهِم وأهلِيهم وما وَلُوا» أخرجه مسلم(١).

الثالث: دعاء الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقه صفة العدل، لأن خزائن كل شيءٍ عند الله وحده: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

الرابع: العلم بعقوبات أهلِ الظُلم والجور في الدنيا والآخرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان:١٩].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧) .

الخامس: مصاحبة الأخيار، ولزوم البيئة الصالحة التي تُذَكِّر بالله، وتحُبِّب إلى العبد العدل والإحسان والفضائل، والانقطاع عن أهل الظلم والعدوان: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

السادس: مجاهدة النفس لتتخلَّق بمكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

السابع: تدبر القرآن لمعرفة حُبِّ الله للعدل، وأهل العدل، وثناؤه عليهم: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة:٤٢].

الثامن: الاكثار من ذكر الله عز وجل.

فمن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وأخذ بالعدل، وابتعد عن الظلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

٥ - ثمرات العدل

الأولى: العدل: هو الحق الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، فلا سعادة للناس في الدنيا والآخرة إلا بإقامة العدل، والعمل بالحق: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

الثانية: بالعدل يَستتِبُّ الأمن في البلاد، وتحصل الطمأنينة في النفوس، ويشعر الناس بالاستقرار في الحياة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

الثالثة: العدل من أعظم أسباب حصول الخير والبركة في البلاد، إذا كان قائمًا بين الوالي والرعية: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦].

الرابعة: أن العدل سببٌ لمحبة الله للعبد، كما قال سبحانه: ﴿وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات:٩].

الخامسة: بالعدل يدوم المُلك، ويستقر الحاكم في حكمه، لأنها لا تستقيم حياة الناس إلا بالعدل، ولهذا أمر الله به بقوله: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

السادسة: بالعدل يحصل الوئام بين الحاكم والمحكوم، وتسود المحبة بين الناس، ويطمئن الناس على أنفسهم وأموالهم، وحقوقهم وأعراضهم.

السابعة: العدل يُشيعُ الحب بين الناس، وبين الحاكم والمحكوم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

الثامنة: العدل يحفظ الحقوق، ويمنع الظالم من ظلمه، والطمَّاع عن جشعه، ويحمي الحقوق والأملاك، والنفوس والأعراض.

التاسعة: العدل يوفر الأمن والأمان لكل الناس، ويحمي الفقير والضعيف من الظلم والعدوان: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾ [الحديد: ٢٥].

العاشرة: أن العدل من أعظم أسباب دخول الجنة، والقرب من الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

قال النبي ﷺ: «إن المقسطين عند الله تعالى على منابرَ من نورٍ، على يمينِ الرحمنِ، الذين يعدلون في حكمِهم وأَهليهم وما وَلُوا» أخرجه مسلم[1].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم أرنا الحق حقًا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، وارزقنا اجتنابه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثانية والستون

عِبَـادة صلة الأرحــــام

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه صلة الأرحام .

الثاني : درجات صلة الأرحام.

الثالث: كيفية صلة الأرحام.

الرابع : الوسائل المعينة على صلة الأرحام.

الخامس : ثمرات صلة الأرحام.

السادس : أسباب قطيعة الأرحام.

السابع : عقوبات قطع صلة الأرحام.

العبادة الثانية والستون

عِبَادة صلة الأرحـــام

١ -فقه صلة الأرحام

الأرحام هم الأقارب من جهة الأب، ومن جهة الأم.

الآباء والأمهات، والأجداد والجدات، أرحام، وهؤلاء هم الأصول.

والأولاد وأولادهم من ذكور وإناث أرحام، وأولاد البنات كلهم أرحام.

وهؤلاء هم الفروع.

والإخوة والأخوات وأولادهم أرحام، والأعمام والعمات وأولادهم أرحام.

والأخوال والخالات وأولادهم أرحام، وهؤلاء هم الحواشي.

فالأرحام أصول، وفروع، وحواشي .

وجميع هؤلاء أرحام داخلون في قوله ﷿: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾[الأنفال:٧٥].

وداخلون في قول النبي ﷺ: « مَن أَحَبَّ أنْ يُبسَطَ له في رزقِه، ويُنسَأَ له في أجَلِه، فلْيصِلْ رحِمَه» متفق عليه(١).

وداخلون في قول النبي ﷺ: « لا يَدْخُل الجنة قاطع » متفق عليه(٢).

أما أقارب الزوجة، فهم أصهار وليسوا بأرحام. وكذلك أقارب الزوج بالنسبة إلى الزوجة أصهار وليسوا بأرحام.

فالأرحام هم الأقارب من جهة الأب، ومن جهة الأم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦) .

أما أقارب الزوج، وأقارب الزوجة، فهم أصهار، وليسوا بأرحام.
والإحسان إلى الأصهار أمر مشروع، وفيه ثواب؛ ولكنهم ليسوا كالأرحام الذين تجب صلتهم، وتحرم قطيعتهم.
وصلة الرحم ليس لها حد محدود، فتكون بالكلام الطيب معهم، ومواساة الفقير منهم، وبُداءتهم بالسلام، ورد السلام عليهم، وإعانتهم على الخير، وعيادة مريضهم، وشهود جنائزهم، كل ذلك من صلة الرحم المأمور بها شرعاً.
وكذلك قطيعة الرحم ليس لها حد محدود، فجفاء الأرحام نوع من القطيعة، وعدم الإنفاق على فقيرهم، وعدم الإحسان إليه، نوع من القطيعة، وعدم الشفاعة لمظلومهم حتى ينتصر نوع من القطيعة، وعدم زيارتهم نوع من القطيعة.
فالصلة أمر عرفى، والقطيعة أمر عرفى، فما تعارف عليه الناس أنه صلة، فهو صلة.
وما تعارف عليه الناس أنه قطيعة، فهو قطيعة، وقد أمر الله ﷻ بصلة الرحم، ونهى عن قطيعة الرحم، كما قال سبحانه: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣].
وليس الواصل بالمُكافئ، الذي إذا وصله الأقارب وصلهم. وإنما الواصل، الذي إذا قُطِعَت رحمه وَصَلَهَا.
قال النبى ﷺ: « ليسَ الواصِلُ بالمُكافِئِ، وإنما الواصِلُ الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وصَلَها» أخرجه البخاري (١).
وصلة الأرحام تكون بما جرى به العُرْف، واتبعه الناس من الأمور المحمودة

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٩١).

الطيبة فيما بينهم.

فتارة، تكون الصلة بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة تكون بالهدية، وتارة تكون بالزيارة ونحو ذلك ؛ لأنه لم يُبَيَّن فى القرآن والسنة نوعها، ولا جنسها، ولا مقدارها. فيرجع فى ذلك إلى العرف.

وصلة الرحم من واجبات الإيمان.

قال النبى ﷺ: « مَن كان يؤمِنُ بالله واليَوم الآخِرِ فلْيَصِلْ رَحِمَه» أخرجه البخاري [1].

وصلة الرحم هى الإحسان إلى الأقارب، وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم، كما قال سبحانه :﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة:٢].

هنيئا لمن وَصَلَ رحمه من الأقارب، وبُشراه بالجنة، ومعية الله له، وسروره وفرحه بالدنيا والآخرة، وحب الناس له، ودعاؤهم له.

وليحذر المسلم من قطيعة الرحم، لأنها سبب للعنة الله له، وحرمانه من الجنة:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾[محمد:٢٢-٢٣].

ومن كان بينه وبين أحد أقاربه عداوة أو شَحْنَاء، فليبادر بالصلة، وليعف وليصفح، ابتغاء مرضات الله، لينال من ربه أعظم الثواب:﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[الشورى:٤٠].

وقد فعل إخوة يوسف ﷺ معه ما فعلوا من الإساءة، ولما اعتذروا إليه، قَبِلَ عُذرهم، وصفَحَ عنهم، ولم يُوَبِّخهم. بل دعا لهم، وسأل الله المغفرة لهم :﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[يوسف:٩٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٣٣) .

وصلة الرحم، من أعظم عبادات القلوب، التى تؤلف القلوب، وتجمع الأقارب على المحبة والألفة والمودة، والتعاون على البر والتقوى.

وقَطْعُ صلة الرحم من أعظم أسبابها حُبُّ الدنيا، والطمع فى الأموال والأشياء، والحسد.

وتحريش الشيطان بين الناس رجالًا ونساءً من أعظم أسباب القطيعة، حتى تقع بينهم الخصومات، والنزاعات، والعداوة، والبغضاء، ويحصل بينهم التقاطع، والتدابر، والتلاعن: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨﴾ [النساء:٣٨].

وقد حذرنا الله ﷻ من نزغات الشيطان، وكيده، ومكره، وعداوته لبنى آدم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر:٦].

وقال ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾ [الإسراء:٥٣].

وحذر النبى ﷺ من الشيطان بقوله: «إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فى جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ فى التَّحْرِيش بيْنَهُمْ» أخرجه مسلم (١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٢).

٢ - درجات صلة الأرحام

الأرحام على ثلاث درجات :

الأصول كالآباء والأمهات وإن علوا، والفروع كالأبناء والبنات وإن نزلوا، وهؤلاء هم أحق الناس بصلة الرحم.

ثم يليهم الحواشي من الإخوة والأخوات وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم الأقرب فالأقرب.

والصلة بالمال واجبة حسب الطاقة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق:٧].

فإذا استطاع المسلم أن يصِل الأب والأم وصلهما، ولا يلزمه صِلة الأولاد والإخوة إذا عَجِز .

وإذا استطاع صِلة الآباء والأمهات والأولاد، ولكن عجز عن صِلة الإخوة والأخوات سقط عنه ذلك .

وإذا استطاع صلة الإخوة والأخوات وعجز عن صلة أولادهم سقط عنه ذلك .

وإذا استطاع صلة الأعمام والعمات وعجز عن صلة أولادهم سقط عنه ذلك .

وإذا استطاع صلة الأخوال والخالات وعجز عن صلة أولادهم سقط عنه ذلك.

وهكذا يُقدم في الصلة الأقرب فالأقرب من الأصول، والفروع، والحواشي: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ

ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾﴾[النساء:٣٦-٣٧].

فأولى الناس بالصلة هم أولوا الأرحام، الأقرب فالأقرب :﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾﴾[البقرة:٢١٥].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتى؟ -يعنى: صحبتى، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك» متفق عليه(١).

وفى رواية: يا رسول الله، من أحق بحسن الصحبة؟، قال: « أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك » أخرجه مسلم(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم(٢٥٤٨) .

٣- كيفية صلة الأرحام

صلة الأرحامعبادة عظيمة تكون فيما بين المسلم وأقاربه.

وتحصل صلة الرحم بطرق متعددةمنها:

تبادل الزيارات فيما بين الأقارب، وتفقد أحوال بعضهم بعضًا،وإصلاح ذات بينهم عند الاختلاف، وبذل المعروف لهم، ورد الأذى والسوء عنهم، ومشاركتهم الأفراح والأحزان، واحترام الكبير منهم، والعطف على الصغير منهم، ومساعدة المحتاج منهم بالمال والجاه.

والبشاشة فى وجوههم، وبداءتهم بالسلام، ورد السلام عليهم، وتبادل الهدايا معهم، وعيادة المرضى منهم، وشهود جنائزهم، والصلاة عليهم، والدعاء لهم، وشكر محُسْنهم، والتجاوز عن مُسِيئِهم، والأخذ بيد من تعثر منهم، وحضور مناسباتهم، وتشجيع المتفوق منهم، وقضاء حوائجهم، والسعى فى إيصال الخير لهم.

وتعهدهم بالنصح والتوجيه، والسؤال عنهم، وإنزالهم منازلهم، وصِلة القاطع منهم، ودعوتهم إلى الحق، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإجابة دعوتهم، وسلامة الصدر نحوهم: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾[الأنفال:٧٥].

وقال اللهﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

وقال ﷻ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

٤- الوسائل المعينة على صلة الأرحام

الأولى : العلم بثمرات وعواقب صلة الرحم.

فمن عرف ذلك، أسرع إلى التعبد لله بصلة الرحم، والإحسان إلى أقاربه : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:١٩-٢٤].

الثانية : العلم بعواقب قطيعة الرحم، وما تسببه من همٍّ، وغمٍّ، وحسرةٍ، وندامةٍ وذلك مما يُعين على البُعد عن القطيعة، والحذر منها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد:٢٥].

الثالثة : الاستعانة بالله ﷻ، وسؤاله أن يرزقه التعبد له بصلة الرحم. فالله قريب مجيب، لا يرد سائلًا ولا يخيب مُؤَمِّلًا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

الرابعة : مُقابلة إساءة الأقارب بالإحسان إليهم، فإن ذلك يُثمر المحبة، والألفة، والمودة، ويحُوِّل البُغض إلى محبة، ويقلب العدو إلى صديق: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

الخامسة : قَبول أعذار الأقارب والأرحام إذا أخطاؤا، والصفح والعفو عنهم إذا أساؤوا، ونِسْيان معايبهم وزلاتهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

السادسة : اجتناب الشِّدة فى عِتَابهم، وتحمل عتابهم، وحملهم على أحسن المحامل، والتواضع ولَيْنِ الجانب لهم، وخدمتهم بالنفس والجاه والمال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

السابعة : ترك المِنَّة عليهم، وعدم إيذائهم بقول أو فعل : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

الثامنة : الاعتدال فى المزح مع الأقارب، وتجنب المِزَاح مع من لا يحتمله، لأن ذلك يُوغِر الصدور، ويسبب القطيعة بينهم.

التاسعة : بُدَاءتهم بالسلام، والمبادرة بالهدية إن حصل خلافٌ مع الأقارب، فالهدية تجلب المحبة والمودة، وتُكَذِّب سوء الظن، وتَسُلُّ سخائم القلوب.

وكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يقْبَلُ الهْدِيَّةَ، ويُثِيبُ عَلَيْهَا .أخرجه البخاري(١).

وقال النبى ﷺ: « لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تحَابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ علىَ شىءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ» أخرجه مسلم(٢).

العاشرة : الحرص على دعوة الأقارب للمناسبات، والولائم، والاجتماعات ؛ لأن ذلك يذكر بالقرابة، ويجُسد المحبة والأخوة بين الأرحام.

الحادية عشرة : التغاضى والتغافل عن العثرات والزلات ؛ لأن ذلك يُعين على استبقاء المحبة، والمودة، وعلى وَئْدِ النفرة والعداوة.

الثانية عشرة : تذكر الموت وما بعده من الحساب والجزاء، فمن تذكر ذلك سارع إلى صلة أرحامه، واجتنب قطعها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم(٥٤) .

قال النبى ﷺ: « أكثروا ذكر هادم اللَّذات » أخرجه الترمذي وابن ماجة[1].

الثالثة عشرة : الإكثار من مُجالسة الأخيار، ومجالسة أهل الصلة والمروءة، والانقطاع عن أهل البخل والغفلة والقطيعة : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

الرابعة عشرة : مجاهدة النفس، وحملها على ما أمر الله ورسوله به من صلة الرحم، والإحسان إلى الأقارب : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الخامسة عشرة : مقابلة إساءة الأقارب بالعفو عنهم، والإحسان إليهم: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله، إنَّ لى قَرابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونى، وَأُحْسِنُ إِلَيْهم وَيُسِيئُونَ إِلىَّ، وأَحْلُمُ عنهُمْ وَيجْهَلُونَ علىَّ، فَقالَ : «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلا يَزَالُ معكَ مِنَ اللهِ ظَهيرٌ عَلَيْهم مَا دُمْتَ عَلَى ذَلكَ» أخرجه مسلم[2].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٨) .

٥ - ثمرات صلة الأرحام

لصلة الأرحام ثمرات كثيرة منها :

الأولى : أن صلة الرحم سبب في زيادة الرزق، وطول العمر .

قال النبي ﷺ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له فِي رِزْقِهِ، وأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه(١).

الثانية : أن صلة الرحم تُدخل المؤمن الجنة، وتبعده عن النار .

قال أعرابى يا رسول الله : أَخْبِرْنِى بِمَا يُقَرِّبُنِى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِى مِنَ النَّارِ، فقَالَ النبى ﷺ: «تَعْبُدُ اللهَّ ولَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ رحمك» متفق عليه(٢).

الثالثة : أن صلة الرحم إحدى علامات الإيمان بالله واليوم الآخر .

قال النبي ﷺ« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » أخرجه البخاري(٣).

الرابعة : أن صلة الرحم تجلب صلة الله للوَاصِلِ رَحِمَه .

قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللهَّ تَعَالى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطعَ مَنْ قَطعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قال: فذَلِكَ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ :اقرؤوا إِنْ شِئْتُمْ :﴿ **فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٦٧) ومسلم برقم (٢٥٥٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٩٦) ومسلم برقم (١٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦١٣٨) .

أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٢-٢٤]. متفق عليه(١)

الخامسة : أن صلة الرحم طاعة لله ﷻ؛ لأنها وصل بما أمر الله به أن يوصل، كما أثنى الله على الواصلين بقوله :﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد:١٩-٢١].

السادسة : أن صلة الرحم من أعظم أسباب حصول المحبة، والألفة بين الأقارب، وحصول الرحمة والبرِّ بينهم.

قال النبي ﷺ: « لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ» أخرجه مسلم(٢).

السابعة : أن صلة الأرحام ترفع مقام الواصل الذي وصل أرحامه، فيُجِلُّوه، ويُكرموه، ويعزوه، ويُسودوه :﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة:٢٣٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٠) ومسلم برقم (٢٥٥٤) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٤) .

٦ - أسباب قطيعة الأرحام

الأول : ضعف الإيمان والتقوى.

فمن ضعف إيمانه، وقَلَّت تقواه، لم يبالى بقَطْع ما أمر الله به أن يوصل، ولم يطمع بثواب الصلة، ولم يخشى عاقبة القطيعة :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

الثانى : الجهل بعواقب القطيعة العاجلة، والآجلة مما يسبب عدم المبالاة بها.

كما أن الجهل بفضائل صلة الرحم العاجلة والآجلة يقصر عنها، ولا يبعث إليها.

قال النبى ﷺ: «من يريد الله به خيرا يفقه فى الدين »متفق عليه(١).

الثالث : العِتاب الدائم الشديد.

فبعض الناس إذا زاره أحد أقاربه بعد طول انقطاع، أمطر عليه وابلًا من اللوم، والعتاب، والتقريع على تقصيره فى حقه، فتحصل النفرة من المجىء خوفًا من لومه، وتقريعه، وشدة عتابه:﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت: ٣٤ – ٣٥] .

الرابع : قلة الاهتمام بالزائرين من أقاربه، وعدم احترامهم وتوقيرهم، وعدم سؤاله عن أحوالهم، مما يقلل رغبتهم فى زيارته.

الخامس : كثرة الاشتغال بأمور الدنيا، واللهث وراء شهواتها، والسعى فى جَمْع حُطامها، فلا يجد هذا وقتًا يصل به قرابته، ويتودد إليهم، ويجلس معهم.

السادس:الشح والبُخل بالمال،فمن الناس من إذا رزقه الله مالًا أوجاهاً، يتهرب من أقاربه ،خوفا من استدانتهم منه،أو طلب الشفاعة منه،أوطلب سداد دينهم منه.

السابع : قلة تحمل أذى الأقارب، وعدم الصبر عليهم إذا حصلت منهم هفوة أو جفوة، أو زلة أو عثرة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر: ١٠] .

الثامن : تأخير قسمة الحقوق المشتركة كالميراث والوصايا ونحوها مما يسبب قطيعة الرحم .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧) .

التاسع : الحسد بين الإخوة، والأولاد، والأعمام، والأخوال.

فالحسد معجون فى كل إنسان، لكن الكريم يُخفيه، واللئيم يبديه، وذلك مما يسبب قطيعة الرحم فيما بين الأقارب: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء: ٥٤ – ٥٥].

العاشر : قلة حضور مجالس الذكر والوعظ التى تذكر بالله، والإحسان إلى الوالدين والأقارب : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨].

الحادى عشر : التكلف الزائد فى الولائم، فعندما تُقيم وَليمةً لأقاربك فَوْقَ طَاقَتِك، تكره صلة الرحم، وحضور مناسباتهم.

الثانى عشر : الكِبر والعجب ورؤية النفس، فمن الناس من إذا بلغ منزلة رفيعة، وكان من التجار ، ترفع عن زيارة أقاربه وصلتهم لأنه يعتقد بأنه الأولى أن يُزار.

الثالث عشر : وقوع بعض حالات الطلاق بين الأقارب، فيبقى فى النفوس مِنْ ذلك شىء يقطع بسببه العبد صلة الرحم.

الرابع عشر : سوء الظن بين الأقارب، فبعضُ الأقارب يريد حاجة فلا يستطيع قريبه تَلْبيَتَها له، فَيُسىء الظن به، وينفر منه، ويقطع الصلة بينه وبينه.

الخامس عشر : الشراكات التى فشلت فى المعاملات المالية، فقد يكون هذا اشترى من هذا شيئا، فظن أنه غشه، أو ماطل في السداد ونحو ذلك.

فعلى المسلم أن يتجاوز هذه الأمور التي تسبب قطيعة الرحم، ويبادر إلى صلة رحمه لينال رضوان ربه، ويفوز بالجنة: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد: ٢١-٢٤].

٧- عقوبات قطع صلة الأرحام

الأولى : أن قاطع الرحم ملعون في كتاب الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[محمد:٢٢-٢٤].

الثانية : أن قاطع الرحم من الفاسقين الخاسرين، كما قال سبحانه :﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[البقرة:٢٦-٢٧].

الثالثة : أن قطع صلة الرحم قطع للوصل مع الله ﷻ.

قال النبى ﷺ: « الرَّحِمُ مَعَلَّقَةٌ بِالعَرْش تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِى وَصَلَهُ اللهُ، وَمَن قَطَعَنى قَطَعَهُ اللهُ » أخرجه مسلم (١).

الرابعة : أن قطع صلة الرحم سبب فى الحرمان من دخول الجنة.

قال النبى ﷺ: « لا يدخل الجنة قاطع » متفق عليه (٢).

الخامسة : أن قاطع الرحم تُعجل له العقوبة فى الدنيا مع عقوبة الآخرة.

قال النبى ﷺ: « ما من ذنب أجدرُ أن يعجِّل اللهُ لصاحبه العقوبةَ فى الدنيا، مع ما يدِّخر له فى الآخرةِ مثل البغى وقطيعةِ الرحم» أخرجه أبو داود والترمذي (٣).

السادسة : أن قاطع الرحم لا يُرفع له عمل، ولا يَقْبَلُ الله منه.

قال النبى ﷺ: « تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يومَ الإثْنَيْنِ، ويومَ الخَمِيس، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللهِ شيئًا، إلَّا رَجُلًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ، فيُقالُ : أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْن حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْن حتَّى يَصْطَلِحا » أخرجه مسلم (٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٤) ومسلم برقم (٢٥٥٦).

(٣) صحيح/ أخرجه ابو داود برقم (٤٩٠٢) والترمذي برقم (٢٥١١).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثالثة والستون

عِبَادة العــلم

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه العلم الإلهي.

الثاني : أمهات العلم الإلهي.

الثالث: فضائل العلم الإلهي.

الرابع : أقسام العلوم الشرعية.

الخامس: أقسام العلماء.

السادس : الأسباب المعينة على تعلم العِلم وتعليمه.

السابع : ثمرات العلم الشرعي.

العبادة الثالثة والستون

عبادة العلم

١ -فقه العلم الإلهي

العلم الإلهي هو العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بأوامره ونواهيه، والعلم بوعده ووعيده، والعلم بثوابه وعقابه. ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

وهذا العلم الإلهي هو أصل العلوم، وأفضلها، وأزكاها، وأوجبها، وأكملها.

وقد بينه الله ﷻ في كتابه العظيم بقوله :﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[النحل:٨٩].

وقد أرسل الله جميع أنبيائه ورسله بهذا العلم العظيم، ليعبد الناس ربهم وحده لا شريك له، ويتركوا عبادة ما سواه، كما قال سبحانه :﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل:٣٦].

وقد أرسل الله عز وجل رسله وأنبياءه عليهم الصلاة والسلام إلى خلقه لتحقيق خمسة مقاصد :

الأول : التعريف بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبيان أن الله وحده هو المستحق للعبادة دون سواه:﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[النحل:٣٦].

وقال الله عز وجل: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد: ١٩].

الثاني : بيان الطريق الموصل إلى الله

وهو الدين الذي شرف الله به بني آدم على من سواهم : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

الثالث : بيان حال الناس بعد قدومهم على ربهم يوم القيامة : ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝٥١﴾ [الحج: ٤٩-٥١].

الرابع : رحمة الخلق : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الخامس : إقامة الحجة على الناس، كما قال سبحانه : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥].

ولن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقا بأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

فمن عرف ربه العظيم آمن به، ووحده، وكبره، ومجده، وأحبه، وأطاعه، وحمده، وشكره، وتوكل عليه، ولم يلتفت لأحد سواه، وعبده وحده لا شريك له : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وحده، وعبدتموه وحده لا شريك له.

وخير الناس، وأعظمهم قدرا، وأكثرهم أجرا، وأعظمهم شكرا، هم من تعلم القرآن وعلمه، وعمل بموجبه : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال النبي ﷺ: «خيرُكم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ» أخرجه البخاري(١).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

ومن أراد الله به خيراً زينه بالعلم الإلهي، وفقهه في الدين، ورزقه علم الكتاب والسنة، وأعانه على طلب هذا العلم، والعمل بموجبه، وتعليمه لإخوانه المسلمين.

قال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه(١).

وفي هذا العلم الإلهي غذاء القلوب، وراحة النفوس، وزينة الجوارح.

وقد رفع الله منازل علماء الشريعة، وجعل لهم القدر الرفيع في الدنيا والآخرة؛ لأن كل واحد منهم قائم مقام النبي ﷺ في تبليغ دين الله لعباده: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾ [المجادلة:١١].

والأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام، والعلماء الربانيون، هم أتقى الخلق لله، وأعظمهم خشية له، وأنصح الخلق للخلق: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

وعلى قدر العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، تكون الخشية لله ﷻ.

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَفَرًا مِن أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النبيِّ ﷺ عن عَمَلِهِ في السِّرِّ؟ فَقالَ بَعْضُهُمْ: لا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقالَ بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقالَ بَعْضُهُمْ: لا أَنَامُ علَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عليه. فَقالَ: «ما بَالُ أَقْوَامٍ قالوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي» متفق عليه(٢)

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ومسلم برقم (١٤٠١).

والعلم الذي يسعد به صاحبه في الدنيا والآخرة هو العلم الشرعي الذي يورث العمل الصالح، تصديقاً للأخبار وفِعْلًا للواجبات والمستحبات، وتركًا للمنهيات والمحرمات ؛ مع إقبالٍ على الرب، وحُبِّ الله، وتعظيمِ الله ؛ مع إحسانٍ إلى الخلق، وتَوَاُضعٍ لهم : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩].

فهذا هو العلم المحمود الذي جاءت به الشريعة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

أما العلم المجرد من العمل، الذي لم يظهر أثره على صاحبه، بل هو يعمل بخلافه، فهو علم مذموم، وهو وبال على صاحبه، وحجة عليه.

وقد استعاذ النبي ﷺ من هذا العلم المذموم بقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا» أخرجه مسلم(١).

فالعلم الإلهي يُطْلَبُ لا لذاته، بل لأنه وسيلة إلى زيادة الإيمان، والعمل الصالح الذي أمر الله به عباده، ورضيه لهم.

فإذا لم يُورِث العلم التقوى، والعمل الصالح، لم ينتفع به صاحبه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف:٢ –٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

وأصول العلم الإلهي سبعة :

معرفة الرب الذي نعبد .. ومعرفة القرآن الذي نتبع .. ومعرفة الرسول الذي نقتدي به .. ومعرفة النفس البشرية ماذا تريد من الله، وماذا يريد الله منها .. ومعرفة عدو الإنسان وهو الشيطان .. ومعرفة الدنيا التي نعيش فيها .. ومعرفة الآخرة التي سوف نصير إليها: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فمن عرف هذه العلوم السبعة، أصلح الله قلبه وقالبه، وأسعده في الدنيا والآخرة، ورضي الله عنه وأرضاه، وأدخله جنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

٢ - أمهات العلم الإلهي

أمهات العلم الإلهي ثلاث :

معرفة الرب .. ومعرفة النفس .. ومعرفة الدين.

الأولى : معرفة الرب.

وتكون بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة آياته ومخلوقاته، ومعرفة عظمة مُلكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه.

ويتم ذلك بالنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية :﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١].

وقال الله ﷻ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

الثانية : معرفة النفس، وتكون عن طريق الرب الذي خلقها، وصورها :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات: ٢١] .

الثالثة : معرفة الدين. وتكون بمعرفة أخباره، وأحكامه بواسطة الرسل الذين بعثهم الله إلى عباده، ليعبدوا الله وحده لا شريك له، ويجتنبوا عبادة ما سواه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦].

فإذا عرف الإنسان ربه بالعلم، عرف نفسه بالجهل، وإذا عرف ربه بالقوة، عرف نفسه بالضعف، وإذا عرف ربه بالقدرة، عرف نفسه بالعجز، وإذا عرف ربه بالغنى، عرف نفسه بالفقر، وإذا عرف ربه بالعزة، عرف نفسه بالذلة، وإذا عرف ربه بالعدل، عرف نفسه بالظلم.

وإذا عرف العبد ربه بصفات الجلال والجمال والكمال، وعرف نفسه بصفات العجز والضعف، والفقر والحاجة، آمن بالله ﷻ، واتبع شرعه، وسلم لأمره، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، وخضع لربه بقلبه وقالبه، مع كمال الحب، والتعظيم والذل له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19)﴾[محمد:19].

وإذا عرف العبد بعد معرفة ربه ونفسه دينه الحق آمن به، وصدق أخباره، وطبق أحكامه، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، واهتدى بهداه، لأنه أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (16)﴾[المائدة:15-16].

فلله الحمد والشكر، أن أكرمنا بالدين الكامل، والنعم السابغة، والثواب العظيم، والنعيم الدائم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (3)﴾ [المائدة:3].

والرب العظيم، الذي هذه أسماؤه، وصفاته، وأفعاله، وهذا ملكه العظيم، وهذه نعمه التي لا تعد ولا تُحصى، وهذا دينه الحق الذي أرسل به رسله، هو الرب الذي يستحق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُعبد وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)﴾[الأنعام:102-103].

وأعظم حاجات البشر معرفة الحق، والعمل به، وحاجة الناس إليه أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب. ولا سعادة أبدا لأهل الأرض جميعا إلا باتباع الرُّسل، لأنهم رحمة من الله لعباده، ووسائط بينه وبين خلقه في أمره ونهيه،ودينه

وشرعه: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات:١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٦٤].

وعلى العبد أن يعلم أنه يتقلب بين ثلاثحالات:

الأولى: نِعَمٌ من الله تترادف عليه، وواجبه فيها الحمد، والشكر، والاستعانة بها على عبادة الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢].

الثانية: ذنوب اقترفها العبد،فواجبه فيها الاستغفار، والتوبة: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور:٣١].

وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء: ١١٠].

الثالثة: مصائب يبتليه الله بها، فواجبه فيها الصبر: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

فمن قام بواجب هذه الثلاث، فقد أكمل العبودية لله، ونال السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

٣-فضائل العلم الإلهي

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٧ - ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

وقال عز وجل: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

وقال عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بهِ» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٩) ومسلم برقم (٢٢٨٢).

الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها» متفق عليه[1].

وقال ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ » متفق عليه[2].

وعن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺقال : « خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري[3].

وقال النبي ﷺ: « مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلى الجنَّةِ» أخرجه مسلم[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال : « مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجورِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا» أخرجه مسلم[5].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣) ومسلم برقم (٨١٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧) .

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩) .

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤) .

٤ - أقسام العلوم الشرعية

تنقسم العلوم الشرعية إلى ثلاثة أقسام:

الأول: علم العقيدة الإسلامية، ومداره على العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وما يُعتقد من أركان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: علم أحكام الشريعة، من الأمر، والنهي، والحلال، والحرام، والفرض، والسنة، والجائز، والممنوع: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه[١].

الثالث: علم الجزاء على الأعمال بالعدل والإحسان.

وهو جزاء المرء على أفعاله في الدنيا والآخرة، وهو عِلْمُ الوعد والوعيد كما قال سبحانه عن المؤمنين والكافرين: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٣-١٤].

وما يجازي الله به عباده دائر بين العدل والإحسان، العدل مع الكفار، والإحسان مع المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠].

وقال الله ﷻ: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام:١٦٠].

وينقسم العلم الإلهي إلى ظاهر وباطن:

فظاهر العلم ما يُعْرَف من دراسة أبواب الدين، وأحكام الشريعة، في جميع

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

أبواب الفقه من المسائل والفضائل، وقراءة كتبه، وإتقان تحصيله.

وباطن العلم ما يقوم في قلب طالب العلم من اليقين، والبصيرة في الدين، وزيادة الإيمان، وكمال التقوى، وخشية الله ﷻ؛ حتى يجعل الله له فرقانا يفرق به بين الحق والباطل، ويميز به بين الهدى والضلال، ويفرق به بين الرُّشد والغي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال:٢٩].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وهذا العلم النافع من ثمرات معرفة الله ﷻ بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخشيته، والإنابة إليه، وصدق الرغبة إليه، وحُسن التوكل عليه، والقيام بأمره، وتعظيم شرعه، والحب له، والخوف منه، والرجاء له: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

فهؤلاء هم أهل العلم الإلهي النافع، الذي يُثمر خشية الله، وتقواه، والقنوت بين يديه، وكمال العبودية له: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

فأهل العلم النافع هم أهل خشية الله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

والمؤمن حقا يحرص على الجمع بين هاذين العلمين النافعين:

العلم الظاهر، وهو علم الأحكام، والعلم الباطن، وهو علم الإيمان واليقين، وخشية الله ﷻ، وأن يكون باطنُ العلم هو الأصل الذي يُبنى عليه تعلم العلم الظاهر.

ومَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي هذا وهذا، في علم الباطن، وعلم الظاهر.

وقال الله عز وجل: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه(١).

بفقهه فقه القلوب، وفقه الجوارح.

وتنقسم العلوم بالنسبة للإنسان إلى قسمين:

الأول: العلوم الممنوحة من الله عز وجل.

وهي كل علم ينفع العبد في الدنيا والآخرة كالعلم بالإيمان، والأعمال الصالحة، وأمور الكسب والمعاش، ومعرفة ما يضره في الدنيا والآخرة كالكفر، والشرك، والمعاصي، والمحرمات: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل:٨٩].

فلله الحمد والمِنَّة، أن خلق الإنسان في أحسن تقويم، وعلمه ما لم يعلم، وعلمه البيان، وأقدره على ما ينفعه، وأثابه على كل عمل صالح: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية:٣٦-٣٧].

الثاني: العلوم الممنوعة.

وهي كل علم طواه الله عن البشر، ومنعهم من معرفته، مما ليس من شأنهم، ولا حاجة لهم فيه، ولا مصلحة لهم فيه، ولا نشأتهم قابلة له كعلم الغيب، والعلم بكل ما كان وما يكون وما سيكون، والعلم بما في قلوب الناس، والعلم بعدد المخلوقات، وعدد الذرات، والجمادات، والنباتات، وعدد النجوم، وعدد الأنفاس، وعدد الكلمات، ووقت قيام الساعة، ووقت نزول الغيث، وغير ذلك مما حجب العليم الخبير علمه عن الناس،واختص بعلمه عالم الغيب والشهادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال الله عز وجل: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وتنقسم العلوم باعتبار مصدرها إلى قسمين:

القسم الأول: العلوم الشرعية.

وهي كل ما اسْتُفيد من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

والعلوم الشرعية تنقسم إلى قسمين:

الأول: علم يتعلق بالقلوب، ويسمى فقه القلوب.

وهو علم الإيمان، والتوحيد، وحب الله، وتكبيره، وتعظيمه، والتوكل عليه، وخوفه، ورجائه، ونحو ذلك. وهذا هو الأصل الأول: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

الثاني: علم المسائل والأحكام، كالعلم بأنواع العبادات، وكيفيتها كالوضوء والصلاة، والزكاة والصيام، والحج ونحوها، ويسمى هذا، علم الجوارح، والأول علم القلوب. وكلاهما لازم لقبول الأعمال الصالحة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

القسم الثاني : العلوم الإنسانية.

وهي كل ما سوى العلوم الشرعية، وهي ثلاثة أقسام :

الأول : علم محمود، وهو كل ما ترتبط به مصالح العباد في الدنيا كعلم الطب، وعلم الحساب، وعلم الزراعة، وعلم التجارة، وعلم الصناعة، وغير ذلك من العلوم النافعة التي تُسهِّل على الناس حياتهم، وتيسر أمورهم.

فهذا العلم تعلمه فرض كفاية، إذا قام به من يكفي، سقط الوجوب عن الآخرين.

الثاني : علم مباح كالعلم بالأشعار، وتواريخ الأخبار والأحداث.

الثالث : علم مذموم، وهو كل ما يُفسد البلاد والعباد والأخلاق، كعلم السحر، والكهانة، والشعوذة،وما لا نفع فيه، وغير ذلك مما نهى الله ورسوله عنه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر:٧].

والعلم الشرعي له شعبتان :

الأولى : علم الفضائل، وهو العلم الذي يولِّد الشوق والرغبة لامتثال أوامر الله ﷻ، والرغبة في الطاعات، والحذر من المعاصي، وهو من الإيمان، ونتعلمه قبل العلم بالأحكام والمسائل، وبه نعرف قيمة الأعمال، فتنشط النفوس للعمل الصالح، والازدياد منه كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨].

الثانية: علم المسائل، وهي الأحكام الشرعية العملية التي يتعلمها العباد، ويعملون بها، وتعليمها للناس، كأحكام الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والمعاملات ونحوها.

والقصد من معرفتها التعبد لله بها :﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾[المجادلة:١١].

وقال النبي ﷺ: « طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ »أخرجه ابن ماجة والبزار [١].

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٢٢٤) والبزار برقم (٦٧٤٦).

٥ -أقسام العلماء

العلماء ثلاثة أقسام :

الأول : عالم مِلَّة، وهو العالم بالكتاب والسنة، وهذا هو العالم الرباني الذي يجب التعلم منه، والأخذ عنه :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

الثاني : عالم أُمَّة، وهو الذي ينظر ما يُحب العامة، فيُفتي به وإن كان خلاف الحق عنده.

وهذا علمه وبال عليه، وسوف يُحاسب عليه :﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨٨﴾ [آل عمران:١٨٧ -١٨٨].

الثالث: عالم دولة، وهو الذي ينظر ماذا يريد حاكم الدولة فيُفتي به وإن كان خلاف الحق.

وهذا علمه وبال عليه، وسوف يُحاسب عليه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠].

وعلماء المِلَّة هم العلماء الربانيون، وهم صفوة الأمة، لأنهم يقومون بأعمال النبوة، فهم ورثوا عن النبي ﷺالعلم والعمل، وآثار الصلاح، والفلاح، والاستقامة ظاهرة عليهم، ولهم سَمْتٌ وَوَقَارٌ يُعرفون به بين الناس :﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧ -١٨].

وقال الله عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر:٩].

علماء المِلَّة يُخالطون الخاصة والعامة طلبا للإصلاح، ويَبْذُلون النُصح للولاة من قلوبهم، مع التلطف في النصح، مع الثناء على مواطن الخير في حكام الناس، لأنهم يعلمون أن هذا مظنة قَبول الحق منهم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة: ٧١].

فتارةً يُقبلُ نُصحهم، فيفرحون بذلك، ويشكرون ربهم على ذلك.

وتارةً لا يُقبل نُصحهم، فيصبرون ويعلمون أنه لا يجب عليهم أكثر من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنُكر، وقد بدلوا وُسعهم في ذلك: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لمِنْ؟ قالَ: للهِّ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم(١).

علماء المِلَّة يتولون الوِلايات الشرعية، طلبًا لتحصيل المصالح وتكثيرها، ودرءاً للمفاسد وتقليلها، يبتغون بذلك مرضات الله ﷻ، فينفع الله بهم، ويكتب على أيديهم الخير الكثير، ويَدْرَأُ بهم شرورا عظيمةً عن الأمة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

فهم يعملون بالحق، ويقيمون الأمة على الحق، ويتوكلون على ربهم، ويصبرون على ما قدر الله عليهم، لأنهم يتعبدون بذلك لربهم: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:١٩-٢٤].

علماء المِلَّة أبَرُّ الناس قلوبًا، وأشدُّهم خشيةً لله، وأحسنهم رحمةً، يُدارون الخواص والعوام، ولا يُداهنونهم على حساب الدين.

فالمداري فقيه، يتلطف بالشخص حتى يحُب الحق، ويعمل به، ويكره الباطل ويحذره.

أما المداهن فيتلطف بالشخص، ولا يُكدِّره، حتى لو أدى ذلك إلى إقراره على باطله، وتركه على هواه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

وعلماء المِلَّة، بشرٌ يخطئون ويصيبون، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، وحسبهم أنهم مجتهدون، قائمون بالحق، وهم غير معصومين، لكن حسبهم أنهم أفضل أهل زمانهم، وصفوة مجتمعهم.

وهم متفاوتون في العلم، والعمل، والفقه، والفهم، وعلى قدر صدقهم مع ربهم، يجعل لهم ربهم المحبة في قلوب الخلق، والذكر الحسن فيما بينهم: ﴿أَمَّنْ هُوَ

﴿قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر:٩].

وينقسم العلماء من حيث العلم الإلهي إلى ثلاثة أقسام:

الأول: عالم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله. وعالم بأحكام دينه وشرعه، وثوابه وعقابه.

فهذا في أعلى الدرجات، وأرفع المنازل، وهذا، هو سبيل الأنبياء والصديقين.

وعلامة هذا العالم الرباني أنه دائمُ الذكر لربه، فهو مُعَظِّمٌ لربه، مُكبرٌ له، محُبٌّ له، مستحٍ منه، خائف منه، راجٍ له، متوكلٌ عليه، منيبٍ إليه، مطيعٍ لله ولرسوله، معلمٌ لشرعه، داعٍ إليه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال:٢-٤].

الثاني: عالم بالله، غير عالم بأمر الله كما يجب

فهذا قد استولت معرفة الله على قلبه، فهو يرى عظمة الله، وجلاله، وجماله.

فهو دائم التعبد لله بالذكر، والتسبيح والحمد، والاستغفار، والتوبة، قد شغله ذلك عن التفرغ لتعلم الأحكام إلا ما لابد منه.

فهذا، على خير عظيم، لكنه دون الأول في العلم، والعمل، والمنزلة، والأجر.

الثالث: عالم بأوامر الله غير عالم بالله كما يجب.

وهذا هو الذي عرف الحلال، والحرام، والأركان، والواجبات، والسنن، والمباحات، لكنه لا يعرف أسرار جلال الله، وعظمته، وجماله، وحقوقه على عباده، فهذا على خير، لكنه دون الأول والثاني.

وأحسن هؤلاء الثلاثة عبودية لله، وطاعةً له، هو العالم بالله، العالم بأحكامه، لأن علمه يورث محبة الله، وتعظيمه، وخشيته، والعمل بشرعه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

ويجب على المسلمين طاعة الله، وطاعة رسوله، وطاعة أولي الأمر منهم، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩].

وأولو الأمر هم الأمراء المتقون، والعلماء الربانيون، فهؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله، الأمراء المتقون بأيديهم، والعلماء الربانيون بألسنتهم.

والأمراء المتقون يرجعون إلى العلماء الربانيين فيما أشكل عليهم: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء:٨٣].

٦ - الأسباب المعينة على تعلم العِلم وتعليمه

الأول : العلم بفضائل العلم والعلماء، فمن عرف ذلك سارع إلى طلب العلم، والعمل به، وتعليمه للناس: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة:١١].

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه(١).

وقال ﷺ: «خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ» أخرجه البخاري (٢).

الثاني: العلم بسيرة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وأن الله فضلهم على الناس بالنبوة والعلم والحكمة. وهم قدوة للناس في كل ما أرسلهم الله به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

الثالث : لزوم مجالس الإيمان، والعلم، والذكر، والانقطاع عن مجالس اللهو، والغفلة، والمعاصي : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

الرابع : مجاهدة النفس، لتتعلم العلوم الشرعية، وتَعْمَل بها، وتُعَلِّمُهَا للناس : ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

الخامس : دعاء الله ﷻ أن يرزقه العِلْم النافع، والعمل الصالح، وتعليم الناس مما علمه الله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه: ١١٤].

والله كريم لا يرد سائلًا، ولا يُخَيِّبُ مؤملًا، وقد أمر الله عباد بالدعاء، ووعدنا بالإجابة، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦].

السادس: لزوم تقوى الله، والمحافظة على الفرائض، والاستكثار من النوافل: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾[البقرة:٢٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال: ٢٩].

السابع: إشعار النفس أنه لا يُمكن الإيمان بالله إلا بالعِلْم بالله، ولا تُمكِنُ طاعته وعبادته إلا بالعلم بأحكامه وأوامره، ولا يُمكن ترك معصيته إلا بالعلم بما نهى عنه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر:٢٨].

الثامن: الإكثار من ذِكْر الله ﷻ.

فمن ذكر الله آمن به، وكبره، وأحبه، وعبده، وتقرب إليه بما يُحبه ويرضاه، وأطاعه، ولم يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

التاسع: العلم بزينة العلم والعلم بقُبْح الجهل.

فمن عرف ذلك سارع إلى معرفة الله، ومعرفة أحكامه، والعمل بموجب ذلك: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

العاشر: العلم بمكانة العلماء، وعظيم منزلتهم، وقدرهم عند ربهم: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة:١١].

وقال الله ﷻ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩].

٧- ثمرات العلم الشرعي

للعلم الشرعي ثمرات عظيمة منها :

الأولى : طاعة الله ورسوله في طلب العلم: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب: ٧١].

ومن أطاع الله ورسوله أسعده الله في الدنيا والآخرة :﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩].

الثانية : العلم يرفع منزلة صاحبه عند الله ﷻ : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَـٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة: ١١].

الثالثة : أن العلماء هم أعظم الناس شهادةً لله بالوحدانية : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران:١٨].

الرابعة : أن طلب العلم سبيل إلى الجنة.

قال النبي ﷺ: « مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلى الجنَّةِ» أخرجه مسلم(١).

الخامسة : أن العلم يورث صاحبه خشية الله ﷻ : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر:٢٨].

السادسة : أن العلم ميراث الأنبياء والمُرسلين عليهم الصلاة والسلام.

قال النبي ﷺ: « من سلك طريقا إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وأورثوا العلم، فمن أخذه؛ أخذ بحظ وافر» أخرجه ابو داود والترمذي(٢).

السابعة : أن الملائكة تحضر مجالس الذكر والعلم، وتغشى من حضرها رحمة الله، وتنزل عليهم السكينة، ويذكرهم الله فيمن عنده.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩) .

(٢)صحيح/ أخرجه أبو داودبرقم (٣٦٤١) والترمذي برقم (٢٦٨٢) .

قال النبي ﷺ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ» أخرجه مسلم(١).

الثامنة : أن العلم يُكْسِبُ صاحبه نضارة في الوجه.

قال النبي ﷺ: « نَضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئًا فبلَّغَهُ كما سمِعَهُ ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى من سامِعٍ » أخرجه أحمد والترمذي (٢).

التاسعة : أن العلم الشرعي أشرف وأنفع موروث.

قال النبي ﷺ: « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له» أخرجه مسلم(٣).

العاشرة : أن أهل السماوات والأرض يدعون بالخير للعلماء.

قال النبي ﷺ: « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير» أخرجه الترمذي والطبراني(٤).

الحادية عشرة : أن العلماء أحياءٌ في قلوب الناس، يذكرون علمهم، ويهتدون بعلمهم، ويدعون لهم.

الثاني عشرة : طلب العلم الشرعي يُساعد المسلم على معرفة حق الله، وحق رسوله، وحقوق خلقه، فيؤدي تلك الحقوق، ويفوز بأجرها:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك: ١٢].

الثالثة عشرة : أن العلم مُهذب للنفوس، يُربي صاحبه على اكتساب الفضائل والآداب: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر: ٢٨].

الرابعة عشرة : أن العلم يزيد الشريف شرفا، ويَبْلُغُ بالعبد منازل الأحرار.

الخامسة عشرة : أن الناس يُبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه، ويُبعث العالم

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٠) .

(٢)صحيح/ أخرجه احمد برقم (٤١٥٧) والترمذي برقم (٢٦٥٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١) .

(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٥) والطبراني برقم (٧٩١١).

عالما، والجاهل جاهلا.

السادسة عشرة : أن العلم نورٌ للبصيرة، يُبصرُ به المرء حقائق الأمور : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴿٤٦﴾ ﴾[الحج:٤٦].

السابعة عشرة : أن طلب العلم أفضلُ الجهاد، وهو أفضل من الجهاد بالسِّنَان، لأن العلم جهاد بالحجة والبيان، وهو جهاد الأئمة والدعاة والعلماء كما قال سبحانه:﴿ **فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا** ﴿٥٢﴾ ﴾[الفرقان:٥٢].

الثامنة عشرة : أن العلم والفقه في الدين، أعظمُ نِعْمة من الله ﷻ على العبد.

قال النبي ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » متفق عليه(١).

التاسعة عشرة : بالعلم تحيا القلوب وتستنير، فيعبد المسلم ربه على بصيرة : ﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴿١٩﴾ ﴾

[الرعد:١٩].

العشرون : طلب العلم خير من الدنيا وما فيها، لأن نفع العلم ماضٍ الى يوم القيامة: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴿٥٣﴾ ﴾

[آل عمران:٥٣].

﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴿٨﴾ ﴾

[آل عمران:٨].

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا.

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧) .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الرابعة والستون

عِبَادة الدعــوة إلى الله

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الدعوة إلى الله.

الثاني : القرآن الكريم كتاب الدعوة إلى الله.

الثالث: فضائل الدعوة إلى الله.

الرابع : حكم الدعوة إلى الله.

الخامس : وظيفة هذه الأمة الدعوة إلى الله.

السادس : عقوبة ترك الدعوة إلى الله.

العبادة الرابعة والستون

عِبَادة الدعــوة إلى الله

١ -فقـه الدعوة إلى الله

الإسلام هو الدين الكامل، الذي أكرم الله به البشرية. وهو أكبر نعمة أنعم الله بها على عباده: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] .

فالله ﷻ خلق هذا الكون العظيم ليدل على عظمته، وقدرته، وكمال علمه، وإحاطته، وكمال أسمائه، وصفاته، وأفعاله، ليُعبد الله وحده لا شريك له : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

وكل مخلوق من مخلوقات الله، بل كل ذرة في الكون، شاهدةٌ بوحدانية الله، ومتصاغرة لكبريائة،وذليلة لعزته، ومُستجيبةٌ لمشيئته، ومُسرعةٌ إلى إرادته، وناطقةٌ بعظمته، ومُسَبِّحَةٌ بحمده :﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء:٤٤].

وجعل سبحانه لكل مخلوق في هذا الكون العظيم سنة يَسِيرُ عليها، وبها يتحقق مُرادُ الله منه، فلكل شيء سنةٌ لا تتبدل، ولا تتقدم، ولا تتأخر، إلا بأمر الله :﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[الفتح:٢٣].

فالشمس لها سنة، والقمر له سُنة، والليل له سنة، والنهار له سنة، والجماد له سنة، والنبات له سنة، والحيوان له سنة، والرياح لها سنة، والمياه لها سنة، وهكذا: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ

﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس:٣٨-٤٠].

والإنسان مخلوقٌ من مخلوقات الله ﷻ، محتاج إلى سنة يسير عليها في جميع أحواله، ليسعد في الدنيا والآخرة.

وهذه السنة هي الدين الذي أكرمه الله به، ورضيه له، ولا يَقْبَلُ منه غيرُه، وسعادته وشقاوته مرتبطة بمدى تمسكه به، أو إعراضه عنه، وهو أحْوج شيء إليه، وهو مخُتار في قَبوله أو رده.

وقد بينه الله له، ودعاه للدخول فيه، ورغَّبَهُ في العمل به، وحذره من مخُالفته: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف:٢٩-٣٠].

ولما خلق الله الإنسان، سخَّرَ له ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليه نِعمه الظاهرة والباطنة، وأنزل عليه الكتب، وأرسل إليه الرُّسُل، وزَوَّدَهُ بآلات العلم والمعرفة كالسمع والبصر والعقل، وشرفه بعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سِواه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠].

ومن رحمة الله أنه بعث في كل أمة رسولا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

وقد امتن الله ﷻ على عباده بِنِعَمٍ كثيرةٍ لا تعد ولا تحُصى، أعظمها نعمةُ الإيجاد، ونعمةُ الإمْداد، ونعمةُ الهداية.

وأعظم هذه النِّعَم وأجَلُّها نِعمةُ الإسلام، الذي رضيه ديناً للبشرية،، وأرسل الله به محمدا ﷺ إلى الناس كافة كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾[المائدة:٣].

والإسلام هو الدين الحق، الذي أرسل الله به جميع أنبيائه ورُسله إلى خلقه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾آل عمران: ١٩﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩] .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي يفعلُ في ملكه ما يشاء بقدرته،فجعل سبحانه نور الشمس للعَالَمَ كله، وجعل الهواء للعالم كله، وجعل السُّحُب تُنزل الغيثَ في العالم كله، وجعل نبات الأرض قوتًا للعالم كله، وجعل الإسلام دينًا للعالم كله، وجعل القرآن كتابًا للعالم كله، وجعل محمدًا ﷺ رسولًا للعالم كله، وجعل الكعبة قبلةً للعالم كله، وجعل هذه الأمة خير أمةٍ وداعيةٍ للعالم كله.

والإسلام هدًى ورحمةً للعالمين، امتن الله به على خلقه أجمعين، وأرسل به سَيِّدُ المُرسلين وخاتم النبيين، وشرَّفَ أمته بالدعوة إليه إلى يوم الدين :﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم:٥٢].

والله ﷻ خلق الجِنَّ والإنس ليعبدوه وحده لا شريك له، كما قال سبحانه :﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

وأرسل الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ نذيرًا للعالمين، ورحمةً لهم إلى يوم الدين، كما قال سبحانه :﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان:١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧].

وجعل سبحانه هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، تؤمن بالله، وتعبد الله، وتدعو

إلى دين الله، وتُعَلِّمُ شرع الله :﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران: ١١٠].

وحقيقة الدعوة إلى الله هي وتعريفُ الناس بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، وتعريفهم بنِعَمِه وإحسانه، وتعريفهم بدينه وشرعه، وتعريفهم بثوابه وعقابه.

فنُعَرِّف الناس بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله لِيُعظموه، ويُكبروه، ويوحدوه، ويؤمنوا به .

ونعرفهم بعلمه وقُدرته، ليخافوه ويهابوه، ونعرفهم بخزائنه، ليسألوه، ويدعوه وحده، ونعرفهم بوعده، ليُسارعوا إلى طاعته، ونعرفهم بوعيده، ليبتعدوا عن معصيته، ونعرفهم بنعمه وإحسانه، ليشكروه ويحمدوه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

ونعرفهم بدينه وشرعه، ليعبدوه وحده، بما شرع رسوله ﷺ،مع كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت:٣٣].

وبهذا، يمتلئ القلب بالإيمان، والتوحيد، وتنقاد الجوارح لِلطَّاعَة والعبادة، مع كمال الحب، والتعظيم، والذل لله ﷻ.

وأصل الدعوة للداعي تركيزا، ليزيد إيمانه، وتحسُنُ أعماله وأخلاقه، كما قال سبحانه :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

والدعوة كذلك لغير الداعي تذكيرًا له بالفطرة التي فطر الله عليها ذرية آدم حين خلقهم وأشهدهم على أنفسهم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢].

فالداعي يُذكِّر الناس بهذا العهد، ليعبدوا ربهم الذي شهدوا له بالوحدانية والربوبية من قبل، كما قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢١-٢٦].

ومن رحمة الله ﷻ بعباده أنه كلما ضَعُف الإيمان، ووقع الناس في الشرك، أرسل الله إليهم رسولا يدعوهم إلى التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وكان كلُّ رسولٍ يُبعث إلى قومه خاصةً، حتى ختم الله النبوة والرسالة بخاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، نبينا محمدٍ ﷺ.

فاصطفى الله رسوله محمدًا ﷺ بالنبوة والرسالة، وأرسله بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة، إلى يوم القيامة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا

مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[الجمعة:٢].

فصلوات الله وسلامه على رسول رب العلمين، وخاتم النبيين محمد ﷺ:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[الأحزاب:٤٠].

فهو سيد الأنبياء والرسل ﷺ، وأمته خير الأمم وأفضلها :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾[آل عمران:١١٠].

وقد ختم الله الأنبياء والرسل ببعثة محمدٍ ﷺ، وختم الأمم بهذه الأمة، وأعطاها وظيفة الأنبياء والرسل وهي الدعوة إلى الله في مشارق الأرض ومغاربها، إلى أن تقوم الساعة. ولهذا كانت أفضل الأمم في الدنيا والآخرة وأكثر أهل الجنة.

ولعظمة هذا العمل، وشرف هذه الوظيفة، وثقل هذه المسؤولية، فقد ربى الله هذه الأمة عليه من أول يوم كما ربى الأنبياء، واصطفى هذه الأمة واجتباها لذلك من بين الأمم، وتوج هذه الأمة من أجل القيام بالدعوة إلى الله بأربعة تيجان فاقت بها من سِواها من الأمم السابقة:

الأول : تاج الخيرية: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:١١٠].

الثاني : تاج الاجتباء:﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾[الحج:٧٨].

الثالثوالرابع : تاج الوسطية، وتاج الشهادة على الناس يوم القيامة، كما قال

سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾[البقرة: ١٤٣].

وأفضل قرون هذه الأمة هو القرن الذي عاش فيه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، الذين كانت في حياتهم أعظم الصفات، يجمعها ست صفات، جعلتهم خير القرون وهي: الإيمان، وعبادة الله وحده، والدعوة إلى الله، والتعلم والتعليم، والجهاد في سبيل الله، ومكارم الأخلاق.

ولما أعطى الله ﷻ هذه الأمة هذا الدين، وأكرمها بوظيفة الأنبياء والرسل وهي الدعوة إلى الله، فقد أبقى لها من البلاد والعباد والزمان ما يكون ميدانًا لدعوتها في مشارق الأرض ومغاربها إلى أن تقوم الساعة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال الله عز وجل: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾[آل عمران: ١١٠].

٢ - القرآن الكريم كتاب الدعوة إلى الله

أنزل الله القرآن الكريم تبيانا لكل شيء، كما قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

فالقرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان، وكتاب الدعوة إلى الله، وكتاب الهداية، وكتاب العلوم النافعة، وكتاب الأجر والثواب.

فالقرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان، فقد ذكر الله فيه براهين التوحيد، ودلائل الوحدانية، وأركان الإيمان، وصفات المؤمنين، وثمرات ذلك في الدنيا والآخرة.

وبين الله في القرآن قصص الأنبياء والرسل في مجال الدعوة إلى الله، لنقتدي بهم، وكشف لنا أخطاء الأمم السابقة، وحذرنا من الوقوع فيها، كما في سورة البقرة، وآل عمران، والأعراف، والشعراء، ويونس، وهود، وإبراهيم، ويوسف، والأنبياء، وغيرها من السور: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف:١١١].

والقرآن الكريم كتاب الهداية، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦].

والقرآن الكريم كتاب العلوم والأحكام، كما قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

والقرآن العظيم كتاب الأجر والثواب، فقراءة الحرف منه بحسنة، والحسنة بعشر حسنات.

قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشر أمثالها

لا أقولُ (الم) حرفٌ ولكنْ (ألفٌ) حرفٌ و(لامٌ) حرفٌ و(ميمٌ) حرفٌ » أخرجه الترمذي والبيهقي[1].

فإذا قمنا بالدعوة إلى الله نزلت الهداية، وإذا نزلت الهداية جاءت الرغبة فى العمل بالأحكام وقراءة القرآن .

وأعظم مقاصد القرآن الكريم تعلم التوحيد والإيمان، وإخلاص العبادة لله ﷻ، ومعرفة صفات المؤمنين، وتعلم الدعوة إلى الله، والاقتداء بالأنبياء والرسل فى الإيمان، وصدق اليقين، وحُسن الخُلُق، والقيام بالدعوة إلى الله، والاهتداء بما فى القرآن الكريم من أعظم العلوم، وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة قُدرة الله وعظمته، وسِعة عِلمه، وعموم إحاطته، وسعة رحمته ومغفرته، ومعرفة نعمه وإحسانه :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

والله ﷻ ذكر أحكام الشريعة كلها مجُملة فى القرآن الكريم، وفصلها النبى ﷺ فيسنته ؛ ولكنه سبحانه فصل جُهد الدعوة إلى الله فى القرآن الكريم تفصيلا شافيًّا، كافيًّا، كاملًا، وبينها النبى ﷺ فى سيرته.

فالقرآن لم يُفصِّل عبادات الأنبياء، لا حج آدم ﷺ، ولا صلاة إبراهيم ﷺ، ولا صيام داوود ﷺ، لكنه أخبر بها إجمالا .

والله سبحانه لم يُبين قصة عابدٍ واحدٍ فى القرآن، ولكنه بين فى القرآن بالتفصيل : دعوة الأنبياء والرسل إلى الله ﷻ، وما حصل لهم من الأذى والتكذيب، وبين صبرهم ورحمتهم لأممهم، وبين كيف نصرهم الله، وخذل أعداءهم، ودعانا للاقتداء بهم، لأن هذه الأمة مبعوثة بالدعوة إلى الله، وقدوتها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفى مقدمتهم نبينا محمد ﷺ، كما قال سبحانه :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٩١٠) والبيهقي برقم (١٩٨٣).

٣-فضائل الدعوة إلى الله

قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

وقال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال النبي ﷺ: «مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجر مِثْلُ أجورِ مَن تبعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثم مِثْلُ آثام مَن تبعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا» اخرجه مسلم(١).

وعن سهل ابن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺقال لعلى ابن أبى طالب رضى الله عنه يوم خيبر: «انْفُذْ على رِسْلِكَ حتَّى تنْزِلَ بساحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإِسْلَامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يجِبُ عليهم مِن حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بك رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم» متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠) ومسلم برقم (٢٤٠٦).

٤ - حكم الدعوة إلى الله ﷻ

الله ﷻ أكرم هذه الأمة بأن جعل أعمارها قليلة، وأجورها مُضاعفة، وذنوبها مغفورة، وعيوبها مستورة وذلك من أجل قيامها بأعمال الأنبياء من الدعوة إلى الله، وعبادة الله وحده لا شريك له.

والله ﷻ اختار هذه الأمة، واجتباها من بين سائر الأمم، وكرمها وشرفها بهذا الدين والدعوة إليه إلى يوم القيامة﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: ١١٠].

فالدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة. كل بحسب علمه وقدرته. والدعوة إلى الله مسؤولية الأمة جميعا، وحاجة الأمة لها، بها يزيد الإيمان، ويهتدي الناسُ بإذن الله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩].

وقال الله ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨].

وهذا النص عام، مطلق فى الزمان ليلًا ونهارًا، ومطلق فى المكان شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، ومطلق فى الجنس العرب والعجم.

ومطلق فى النوع الرجال والنساء، ومطلق فى السن الكبار والصغار. ومطلق فى اللون الابيض والأسود. ومطلق فى الطبقات السادة، والعبيد، والأغنياء، والفقراء.

ومطلق فى الأحوال، المقيم والمسافر، والمطلق والسجين، والصحيح والمريض.

فالدعوة لهؤلاء واجبة لأنهم من الناس، وهذا الدين لكل الناس، والدعوة من هؤلاء إذا أسلموا واجبة، لأنهم من أمة محمد ﷺ، خير أمة أُخرجت

للناس: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢].

وقال ﷻ: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران:١٠٤].

وقال النبي ﷺ يوم النحر في حجة الوداع مخاطبًا جميع من آمن به من أصحابه عربًا وعجمًا، رجالًا ونساءً، أبيضهم وأسودهم، غنيهم وفقيرهم، سادتهم ومماليكهم: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَن هو أَوْعَى له منه» متفق عليه(١).

وعن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرَج، ومَن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النار» أخرجه البخاري (٢).

وببذل الجُهد لإعلاء كلمة الله ونشرها، تحصل لنا الهداية، ولغيرنا من الناس، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

فالدعوة إلى الله واجبة على كل أحد من الرجال والنساء، كل بحسب علمه وقدرته، والمسلمون قسمان:

الأول: عالم يُبين الحق بنفسه، ويدعو الناس إلى اتباعه كما قال مؤمنُ آل فرعون. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٧) ومسلم برقم (١٦٧٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر:٣٨-٤٠].

الثاني : مسلم لكنه غير عالم، فهذا يأمر الناس، ويدعوهم إلى اتباع الرُّسل والعلماء الربانيين، كما قال الله تعالى عن صاحب ياسين :﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرٗا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس: ٢٠-٢١].

فالكل يقوم بالدعوة إلى الله، لِيُعْبد الله وحده لا شريك له، ويُطاع فى مُلكه وحده لا شريك له، العالم يُبين الحق بنفسه، وغير العالم يُرشد الناس إلى اتباعالرسلوالعلماء الذين هم أعرف الخلق بالله، وتلك هى التجارة الرابحة بلا ريب، وبهذا وهذا، يظهر الحق فى العالم، ويزهق الباطل فيالعالم ، كما يريد الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٞ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠-١١].

الدعوة إلى الله هى وظيفة هذه الأمة كلها، وهى أُمُّ الأعمال الصالحة كلها، وهى أوجب الواجبات بعد التوحيد والعبادة، فإذا قامت الدعوة إلى الله، وُلِد المؤمنون، والمصلون، والصائمون، والعابدون، والمتقون، والمحسنون، وغيرهم، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وخرجوا من الدنيا إلى الجنة .

وإذا تُركت الدعوة إلى الله خرج الناس من الدين أفواجا، وكثُر الكُفر والخبث،وظهرالكافرون، والملحدون، والفاسقون، والظالمون، والكاذبون، والمفسدون، والمجرمون، وخرج الناس من الدنيا إلى النار.

أما الفتاوى فى مسائل الأحكام، فمن علم حُكمًا أفتى به، ومن جهله دل المُستفتي على العُلماء الذين اختصهم الله بمزيد من العلم والفقه، والفهم،

والحفظ، والدال على الخير كفاعله.

فالدعوة إلى الله تُنتج المهتدين، والتعليم يُنتج المفتين، لكنه لخواص الأمة، وكل منهما مطلوب، شرعا، الدعوة من عموم المسلمين، والإفتاء من خواص المسلمين وهم العلماء.

والدعوة إلى الله أيسر شيء، فهي تذكير بمسائل الإيمان البينة، وتوضيح الواضحات: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾[الغاشية:٢١-٢٤].

فالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهى عن المُنكر، واجب الأمة كلها، كل أحد بحسب عِلمه وقدرته وبصيرته، وقد قام بها أصحاب النبى ﷺ من أول يوم قبل نُزُول أحكام الصلاة والزكاة، والصيام والحج وغيرها.

وهذه الأمة مزاجُها التضحيات، والجُهد لإعلاء كلمة الله، ونشر الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها إلى قيام الساعة: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف:١٠٨].

وقال الله ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة:٧١].

وقال النبى ﷺ: « بلِّغُوا عَنِّى وَلَوْ آيَة » أخرجه البخاري (١).

والخطاب عام لجميع الأمة من الرجال والنساء، وشرف للرجال والنساء.

والدعوة إلى الله تكون بطريقين:

الأول: طريق اللين.

وهو الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة والبراهين بأحسن أسلوب وألطفه، وهذا هو الطريق المطلوب، المشروع بدايةً ونهايةً مع

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

جميع الخلق: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

الثانى : طريق القوة، والشدة، والجهاد فى سبيل الله ضد المستكبرين، المُعاندين، والظالمين.

فإذا لم يستجب الكُفَّار للدعوة باللين، تعين طريق القوة بالجهاد فى سبيل الله، حتى تُفْتَح البلاد، ويُعْبَد الله وحده، وتُقَام حدوده، وتزول الفتن، ويكون الدين كله لله فى مُلْكِه.

ثم من شاء من الأفراد فليؤمن، ومن شاء فليكفر، فلا إكراه فى الدين .

والجهاد فى سبيل الله ﷻ لا يكون إلا بعد إقامة الحجة على الناس بالدعوة إلى الله، ليكون الدين كله لله : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة:١٩٣].

وقال الله ﷻ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال النبى ﷺ : « أُمِرْتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهَ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهَّ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وأَمْوالَهم إِلاَّ بحَقِّ الإِسلام، وحِسابُهُمْ عَلى اللهَّ» متفق عليه(١).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥) ومسلم برقم (٢٢).

٥ - وظيفة هذه الأمة الدعوة إلى الله ﷻ

الله ﷻ شرف هذه الأمة كالأنبياء والرسل بالدعوة إلى الله. فقال ﷻ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فهذه الدنيا كالجسد، وروحها الدين، وروح الدين الدعوة إلى الله، وروح الدعوة التضحية بكل شيء من أجل الدين، وروح التضحية بذل المحبوب، وترك المحبوب من أجل الدين، وروح البذل والترك الهجرة والنُّصرة من أجل إعلاء كلمة الله ﷻ كما فعل النبي ﷺ وأصحابه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤].

ولإحياء الدين كله فى العالم كله لابد من الهجرة والنصرة، لينتشر الدين فى العالم كله، كما فى القرن الأول، فالمهاجرون تركوا كل شىء من أجل الدين، والأنصار قد بذلوا كل شىء من أجل الدين، فجاءت الثالثة، وهى قيام الدين، ورضوان الله عنهم،ورِضْوَانهم عن ربهم، كما قال سبحانه :﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

وحقيقة المُجاهدة لإعلاء كلمة الله، وإبلاغ دينه فى مشارق الأرض ومغاربها، تكون بإتمام العمل، والتضحية بكل شىء من أجله، والاستقامة عليه حتى الممات، كما استقام عليه الأنبياء والرسل وأصحاب محمدٍ ﷺ.

وبذل الجُهْدِ لإعلاء كلمة الله يكون بما يلي :

أن كل مسلم عليه جهد على نفسه بالاستقامة، وحُسن العبادة، وجهد على غيره بالدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢﴾ [هود:١١٢].

وبذل الجهد لإعلاء كلمة الله ﷻ يكون بثلاثة أمور:

الأول: جهد على الكافر لعله يهتدي، كما قال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣﴾ [السجدة:٣].

الثاني: جهد على العاصي ليكون مطيعًا، وعلى الجاهل ليكون عالمًا، وعلى الغافل ليكون ذاكرًا، كما قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران:١٠٤].

الثالث: جهد على الصالح ليكون مُصْلِحًا، وعلى الذاكر ليكون مُذكرًا، وعلى العالم ليكون مُعلِّمًا، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر:١-٣].

وقال ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ٢١﴾ [الغاشية:٢١].

وقال ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

والله ﷻ رحيم بعباده، اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، ووعدهم على ذلك الجنة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: ١١١].

فعلى المسلم أن يَقْضِي أوقاته على الكيفية التي قضاها رسول الله ﷺ وأصحابه.
فيُؤدي فرائض الله ﷻ، ويمتثل لأمر ربه في كل حال من أحواله كل يوم، عند الوضوء، وعند الأكل، وعند النوم، وعند الصلاة، وفي سائر أحواله.
ويصرف جزءً يسيرا من وقته في أمور الكسب والمَعاش.
وجُلَّ وقته يدعو الناس إلى الله، كي يعبدوا الله وحده لا شريك له، ويوحدوه.
فإذا فرغ أو لم يتيسر له من يدعوه، تزود من العِلم أو عَلَّم غيره من المسلمين أحكام الدين.
فإذا فرغ أو لم يتيسر له من يُعلمه أو يتعلم منه، اشتغل بخدمة إخوانه المسلمين، وقضاء حاجاتهم، والتعاون على البرِّ والتقوى.
فإذا فرغ أو لم يتيسر له أن يقوم بذلك، اشتغل بنوافل العبادات كالسنن المطلقة، وتلاوة القرآن، والأذكار، ونحوها من القُرَب، والأعمال الصالحة، وهكذا يُقدم ما نفعه عام للناس في كل حال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة:٧١].
وقد وعد الله من قام بذلك بالفوز العظيم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧٢].

٦ - عقوبة ترك الدعوة إلى الله ﷻ

كان في القَرن الأول الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، حقيقة الإيمان،وحقيقة العبادة، وحقيقة الدعوة، والتضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله، وحياة البساطة. وأول ما خرج من حياة الأمة جُهْد الدعوة إلى الله، ثم التضحية، ثم حياة البساطة، وبقيت صورة العبادة.

وقد اجتهد الأعداء على هذه الصفات حتى أخرجوها من حياة الأمة، فانقلب الحال، وصار الجُهْدُ والتضحية للدنيا، وصار الإنسان يسعى ليعيش بالرفاهية، وصار المجتمع يَسْتَنْكِر فاحشة الزنا، والربا، وشُرب الخمور ؛ ولا يستنكر ترك الدعوة إلى الله، وخروجها من حياة الأمة.

وكانت العبادة والدعوة إلى الله في زمان النبي ﷺوأصحابه على كل الأمة، ثم صارت العبادة في الأمة، والدعوة على بعض أفراد الأمة، فَقَلَّ الدُّعَاة، فَحَلَّت بالأمة المصائب، والعقوبات، وكثر الخبث.

ولا يصلُحُ آخر هذه الأمة إلا بما صَلَحَ به أولها، وعُقوبة ترك الأوامر، وفِعْل النواهي، تكون على المذنب ومن تابعه أو سكت عنه.

أما عُقوبة ترك الدعوة إلى الله فتكون باستبدالهم بغيرهم كما قال سبحانه :﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ٣٨﴾[محمد:٣٨].

وتَارِك الدعوة إلى الله، وكَاتِمُ البينات والهُدى، مَلْعُون بنص القرآن، إن لم يتب، كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ

لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[البقرة:١٥٩ -١٦٠].

تابوا من بعد ما ظلموا، وأصلحوا ما أفسدوا، وبينوا ما كتموا .

واللسان مَعُونُ الذِّكْرِ والدُّعاء، والدعوة والتعليم، والجوارح ماعون الطاعات والإنفاق.

وقد توعد الله مانع الماعون بقوله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[الماعون:٤ -٧].

وقد لعن الله بني إسرائيل لما كفروا بالملة، ونقضوا العهد، وتركوا الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واستبدلهم الله بهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾[المائدة:٧٨-٨٠].

وقال الله ﷻ عن هذه الأمة : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران: ١١٠].

والواجب على المسلم أن يَمتثِل جميع أوامر الله، ويجتنب جميع نواهيه.

فالصلاة أمْرُ الله، والزكاة أمْرُ الله، والصوم أمْرُ الله، وهذه أوامر يجب امتثالها، وكذلك الدعوة إلى الله هي أمر الله، كما قال سبحانه : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل:١٢٥].

وقال ﷻ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران:١٠٤].

فيجب على الأمة امتثال أمر الله في هذا وفي هذا، وإلا فلهم الخزي في الدنيا، والعذاب في الأخرة: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾ [البقرة:٨٥].

﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان:٧٤].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران:٨].

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وليُّهَا وَموْلاَهَا.

اللهم أرنا الحق حقا، وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلا، وارزقنا اجتنابه.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخامسة والستون

عِبَـادة الإحســـــان

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الإحسان.

الثاني : منزلة الإحسان.

الثالث: فضائل الإحسان .

الرابع : أقسام الإحسان.

الخامس : كيفية الإحسان.

السادس : صور الإحسان.

السابع : الأسباب المعينة على الإحسان.

العبادة الخامسة والستون

عِبَادة الإحســـان

١ -فقه الإحسان

الإحسان مأخوذ من الحُسن، الذي هو الجمال والبهاء لكل ما يصدر عن العبد من خَطراتٍ وأقوالٍ وأفعالٍ وأخلاق.

الإحسان في الشرع: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال النبي ﷺ لجبريل عندما سأله عن الإحسان: «الإحسان أنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لمَ ْتَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ» متفق عليه[1].

والإحسان أعظم عبوديات القلب، سواءٌ كان فيما بين العبد وربه بحُسن عبادته، أو فيما بين العبد والخَلْق بحُسن الخُلُق.

ولهذا، أمر الله به جميع الخلق بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل:٩٠].

وقال ﷻ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥].

والإحسان عبادة عظيمة، وهو الذي خلقنا الله من أجله، كما قال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾[الملك:١ -٢].

ومن أحسنَ عبادة الله، وأحسن إلى خلق الله، كافأه الله بأحسن من عمله، كما قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾[يونس:٢٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

وأهلُ الإحسان أهل مَعِيَّة الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل:١٢٨].

وأهل الإحسان أهل محبة الله، كما قال سبحانه :﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[البقرة:١٩٥].

وأهل الإحسان أهل رحمة الله، كما قال سبحانه :﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف:٥٦].

والإحسان خُلُق عظيم يدخل في جميع الأقوال، والأعمال، وجميع العبادات، والمعاملات، وجميع الآداب والأخلاق.

والقلوب مجبولة على حُبِّ من أحسن إليها، وعلى بُغْضِ من أساء إليها. ولا أحد أعظم إحسانا إلى الخلق من الله ﷻ.

فهو الذي خلقهم، ورزقهم، وملأ لهم هذا الكون العظيم بنِعَمِه التي لا تُعد ولا تحصى، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، فليعبدوه وحده لا شريك له :﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان:٢٠].

وهو سبحانه المُحسن الذي أحسن إلى عباده بأنواع الإحسان، فخلقهم في أحسن تقويم، وأكرمهم بالسمع، والبصر، والعقل، وهداهم إلى الدين الحق، وأرسل إليهم الرُّسُل، وأنزل عليهم الكتب، وأكرمهم بأنواع الكرامات، ليؤمنوا بربهم الذي خلقهم، ويشكروه على نِعمه التي لا تُعد ولا تحصى، ويعبدوه وحده لا شريك له، ليسعدوا في الدنيا والآخرة :﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠].

ومن رأى هذا الإحسان العظيم من الرب الكريم، آمن به، وأخلص له العبادة وحده لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وجزاء الخلق يوم القيامة حسب الإحسان أو الإساءة، فمن أحسن العمل في الدنيا، فاز بأحسنِ مطلوب ومرغوب، وهو الجنة ورِضوانُ الله ﷻ.

ومن أساء العمل في الدنيا، باء بالنار وسخط الجبار: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس: ٢٦-٢٧].الإحسان أن يَعْبُد المسلم ربه في الدنيا على وجه المُشاهدة والمُراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه حال عبادته بأسمائه، وصفات جلاله وجماله.

الإحسان هو فعل الحسنات، والحسنات هي فِعل الواجبات والمستحبات، وترك المُحرمات والمكروهات، ابتغاء مرضات الله، مع كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

والإسلام مبنيٌّ على أمرين عظيمين:

إخلاص العمل لله، وإحسان العمل، كما قال سبحانه: ﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [لقمان: ٢٢].

والإحسان عبادة تدخل في كل عبادة، ومعاملة، وفي كل قول وفعل، وفي كل

دعوة وتعليم، وفي كل تجارة أو صناعة أو زراعة، كما قال سبحانه :﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَه، فَلْيُرِحْ ذبيحته» أخرجه مسلم [١].

والله سبحانه هو المُحسن، الذي أمرك بالإحسان، لأنه يحُبك، فأحسن عبادته، وأحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليك :﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾[القصص:٧٧].

الإحسان هو الإتقان، والإتيان بالمطلوب شرعا، على الوجه الأكمل والأحسن والأفضل.

الإحسان بذل المعروف لعباد الله وكف الأذى عنهم.

الإحسان ضد الإساءة، وهو فعل ما هو حسن وجميل، وترك ما هو سيئ وقبيح : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل: ٩٠].

الإحسان خُلُقٌ عظيم، وأدب جميل، وعبادة من أحسن العبادات، بل هي أحسن العبادات.

بالإحسان تشتري الحب، وتخطب الوُد، وتكسب النفوس، وتُهيمن على القلوب، وتتحقق المحبة والمودة، وتزول العداوة والبغضاء: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت:٣٣-٣٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

المُحسن لا يُؤذي أحدا، فإن آذاه أحد عفا وصبر، وإذا عامل الناس عاملهم بالفضل والإحسان، فيعطيهم وإن حرموه، ويصلهم وإن قطعوه، ويعفو عنهم وإن ظلموا، ويحسن إليهم وإن أساؤوا إليه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

والمُحسن اسم من أسماء الله ﷻ، والإحسان من أعظم صفاته وأفعاله.

والإحسان صفة من أعظم صفات الله سبحانه، فهو سبحانه المحسن في خلقه، المحسن إلى خلقه، المحسن الذي خَلَقَ الخَلْقَ فأحسنه وجمله وصوره وأبدعه على غير مثالٍ سابق: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: ١١٧].

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٤-٦٥].

وقال ﷻ عن نفسه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨﴾ [السجدة: ٦-٨].

وهو سبحانه المُحسن، الذي أنعم على عباده بأنواع النِّعم التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، وعَمَّ بها المؤمن والكافر، والبر والفاجر: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

٢ - منزلة الإحسان

الإحسان أعلى مراتب الدين، وأعظم مقامات العبودية.

فالدين ثلاث مراتب:

الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان الذى هو أعلى مقامات العبودية.

فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن، وليس كل مؤمن محسن.

فالإحسان أعظم مراتب الدين وأعلاها، وأفضلها، لأن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن معا.

والإحسان هو ثمرة الخشية، والخوف، والهيبة، والتعظيم، والحب لله ﷻ.

وأهل الإحسان هم أهل الصفوة الخُلَّص من عباد الله المؤمنين، وهم درجات متفاوتة فى الإحسان، بحسب قوة إيمانهم، وقوة استحضار قُرب الرب ﷻ، ومراقبته، ومحبته، وخشيته، ورؤية كمال رحمته وإحسانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وقال جبريل للنبي ﷺ: « فأخبرني عن الإحسان، قال ﷺ« :الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». متفق عليه(١).

والإحسان مشتق من الحُسن الذي هو الجمال والبهاء لكل ما يصدر عن العبد من نيات، وأقوال، وأعمال، وأخلاق.

ومقصود الرب من خلقه وصولهم إلى مرتبة الإحسان في كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:١-٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

وقد خلق الله جميع المخلوقات على أحسن صورة، وخلق النباتات، والأزهار، والثمار على أحسن صورة، تنبيها للعباد، وتذكيرا لهم بمحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

وقد فطر الله القلوب على حب الحُسن والإحسان، وكره ضد ذلك من القبح والقبائح، والخبائث.

والإحسان هو طريق الوصول إلى محبة الله، ورحمته، ومعيته، ورؤيته، وجنته: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة:١١٢].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨].

وقال ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

والإحسان فى العبادة، أن تعبد الله كأنك تراه بصفات جلاله، وصفات جماله، وصفات كماله، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فتعبد الله كأنك تراه، وتشاهده، بعظمة جلاله، وعظمة كبريائه، وعظمة جماله، وإحسانه، ناظرا إلى عزة الربوبية، وذلة العبودية، فتتصاغر لكبريائه، وتسجد لعظمته، وتسارع إلى امتثال أوامره، وتستغفره من تقصيرك، وتستحيى من معاملتك له، راجيا ثوابه، خائفا من عقابه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

وهذه أعلى درجات الإحسان.

فإن لم تصل إلى هذه الدرجة، فاعبد ربك بمقام الخوف والمراقبة، فإنه يراك إن تحركت، ويسمعك إن تكلمت، ويعلم بما في قلبك، سواء أعلنت أو أسررت، وسواء كنت في ظلمة الليل، أو في ضوء النهار، وسواء كنت في الخلوة أو مع

الناس :﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك:١٣-١٤].

والإحسان فى الإسلام هو إتقان العمل على أكمل وجه، ليكون حسنًا مقبولًا عند الله عز وجل.

وحُسن العمل يكون بأمرين: إخلاص لله ﷻ.. وفعله كما جاء عن النبى ﷺ، مع كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾[لقمان:٢٢].

ومن أحسن أعماله فى الدنيا، أحسن الله إليه فى الجنة يوم القيامة :﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾[الرحمن:٦٠].

وأحسن إليه ربه بأحسن من عمله :﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس:٢٦].

والله سبحانه محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، أحسن كل شىء خلقه، وأحسن إلى جميع خلقه بأنواع الإحسان :﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣].

هو الذي خلق كل مخلوق، فأحسنه، وجمَّله، وأبدعه :﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾[السجدة:٦-٧].

فأَحْسِنْ رَحِمَكَ الله كما أحسن الله إليك، أحسن فى عبادة ربك، وأحسن إلى خلقه، وأحسن إلى نفسك :﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[القصص:٧٧].

٣-فضائل الإحسان

الأولى: أن الله عز وجل يحب المحسنين، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

الثانية : الفوز برحمة الله، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦].

الثالثة : أن المحسن فى معية الله، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

الرابعة : أن الإحسان يقلب العدو إلى صديق، كما قال سبحانه : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

الخامسة : أن الإحسان صفة من صفات الله ﷻ : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة:٦-٧].

وقد أمر الله ﷻ أن نتعبد له بأسمائه، وصفاته على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

السادسة : أن المحسن يكسب محبة الله، ومحبة الناس، كما قال الله عز وجل عن المؤمنين : ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران:١٤٨].

السابعة : الإحسان إلى الناس وسيلة لإزالة ما فى النفوس من الحسد، والكدر، وسوء الظن، وسوء الفهم، وسوء المعاملة .

الثامنة : الإحسان إلى الناس سبب لانشراح الصدر، وراحة النفس، فالمحسن الكريم أشرح الناس صدرا، وأطيبهم نفسا، وأسعدهم قلبا، وأكثرهم ثواباً: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس: ٢٦].

التاسعة : أن الإحسان سبب لمغفرة الله، ودخول الجنة : ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

العاشرة : الإحسان سبب لنيل الأجر العظيم، والأمن في الدنيا والآخرة.

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[البقرة:١١٢].

٤ - أقسام الإحسان

ينقسم الإحسان إلى ثلاثة أقسام :

الأول : الإحسان في حق الله. وهو الإحسان في عبادة الله.

وهو أن تعبد الله وحده لا شريك له بصفة الإحسان، ناظرا إلى عزة الربوبية، وذلة العبودية ؛ فتعبد الله كأنك تراه بصفات جلاله وجماله وكماله.

فتراه عند وقوفك بين يديه في الصلاة، ربًّا عظيمًا، كبيرًا، حيًّا، قيومًا، قويًّا، عزيزًا، قادرًا، قاهرًا، يرى كل شيء، ويسمع كل شيء ويعلم بكل شيء :﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

وتراه ربًا، رحمانًا، رحيمًا، لطيفًا، رفيقًا، محسنًا، كريمًا، عفوًّا، غفورًا، وترى نفسك عبدًا، ضعيفًا، عاجزًا، فقيرًا، محتاجًا، ذليلًا، فتعبد الله كأنك تراه بصفات جلاله وجماله وكماله :﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

قال النبي ﷺ: « الإحسان أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ» متفق عليه[1].

هذه، أعلى مراتب الإحسان، وأحسن مقامات العبد بين يدي ربه، وثمرتها وعلامتها الخشوع، والخشية، والذل، والانكسار بين يدي الله، وكثرة الحمد، والشكر له، وكثرة التوبة، والاستغفار، وشدة الحياء من الله :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

فالإحسان فى حق الله يكون بتوحيده، وصدق الإيمان به، وحسن عبادته، وذلك ثمرة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف الله حقًا، عبده كأنه يراه،وأحسن ولم يسيء، وأطاع ربه ولم يعصه :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ [محمد:١٩].

فالإحسان فى عبادة الله، له مرتبتان :

الأولى : أن يعبد المسلم ربه كأنه يراه بصفة جلاله وجماله وكماله، عبادة رغبةٍ وطلب وشوقٍ. وهذه الدرجة من الإحسان هى الأكمل.

الثانية : إن لم يصل العبد إلى الدرجة الأولى، فالدرجة الثانية أن يعبد الله عبادة هرب وخوفٍ من عذابه، لأنه سبحانه يراك إن كنت لا تراه، كما قال النبى ﷺ : « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّه يَرَاكَ» متفق عليه(١).

الثاني : الإحسان في حق النفس.

ويكون ذلك بحملها على طاعة الله ﷻ، وكفها عن معصيته، ومجاهدة النفس على فعل الخيرات، وترك المنكرات، والتوسط في التعبدات، فلا إفراط ولا تفريط: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

الثالث : الإحسان فى حق الغير.

ويكون ببذل الندى، وكف الأذى، وإرادة الخير للناس، ونفعهم بالمقدور عليه بالجاه والمال، والعفو عن زلَّاتهم، والإحسان إليهم بأنواع الإحسان.

والإحسان إلى الغير عبادة من عبادات القلوب، تثمر كل خير للمُحْسِنِ والمُحْسَنةِ والمُحْسَنِ إليه : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والدين ركنان: عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، كما قال سبحانه :

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء: ٣٦] .

فليبْشِرْ كل من أحسن في حق الله، وأحسن في حق نفسه، وأحسن إلى خَلْقِ الله بحُبِّ الله له، وَحُبِّ الناس له، ودُخُول الجنة، والخُلُود فيها، والتنعم فيها بأنواع النعيم :﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يونس:٢٦].

وأعظم درجات الإحسان، الإحسانُ فى عبادة الله، ثم إحسان المسلم إلى نفسه وأهله، وقرابته، ثم الإحسان إلى كافة الخلق.

وينقسم الإحسان إلى قسمين :

الأول : إحسان فى عبادة الله.

وهو أن تُؤدي كل عبادة خالصةً لله ﷻ، تامةً شروطها وأركانها، وواجباتها وسننها، مقرونةً بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة:٥].

الثانى : إحسان إلى عبادِ الله، وهو قسمان :

الأول: القيام بما يجب عليك للخلق بحسب ما توجه عليك من الحقوق .

كالقيام ببرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، والإنصاف فى المعاملات بإعطاء كل ما وجب عليك من الحقوق كما تأخذ حقك وافيا.

قال الله ﷻ:﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾

[النساء:٣٦].

وقال النبي ﷺ: « إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة،

وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَه، فَلْيُرِحْ ذبيحته» أخرجه مسلم (١).
فالإحسان عبادةٌ واجبةٌ فى كل شىء من الأعمال، لكن إحسانَ كل شىء يكون بحسبه. فالإحسان فى الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة، الإتيان بها على وجه الكمال بشروطها وأركانها، وواجباتها وسننها من صلاةٍ، أو صيام، أو حجٍّ، أو عمرةٍ أو غيرها.
قال النبي ﷺ: « ما مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فيُحْسِنُ وُضُوءَها وخُشُوعَها ورُكُوعَها، إلَّا كانَتْ كَفَّارَةً لِما قَبْلَها مِنَ الذُّنُوبِ، ما لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وذلكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» أخرجه مسلم (٢).
والإحسان فى تَرْكِ المُحرمات الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها :﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٢٠].
وقال النبى ﷺ: « ما نَهَيْتُكُمْ عنه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به، فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ » متفق عليه (٣).
والإحسان الواجب فى معاملة الخلق ومُعاشرتهم، القيام بما أوجب الله من تلك الحقوق: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل: ٩٠].
والإحسان الواجب فى ولاية الخلق، القيام بواجب الوالى نحو رعيته :﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص:٢٦].
وأما الإحسان في الصبر على المقدورات، فيصبر المؤمن على الابتلاء من غير تسخط، ولا جزع، لينال أجر الصابرين:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).
(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٢٨).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

﴿مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

ويرضى العبدُ بما قدر الله عليه، لأن اختيار الله له أحسن من اختيارهلنفسه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١].

ويحمدُ الله على صِغَرِ المصيبة، وأنه يستحق أكثر منها، لولا رحمة الله، فيحمد ربه على ما حصل له، لينال أجر الشاكرين: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

والإحسان في قتلِ ما يجوز قتله من الناس والبهائم، إزهاقُ روحه على أسرع الوُجوه، وأسهلها، لئلَّا يتعذب طويلا.

قال النبي ﷺ: « إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَه، فَلْيُرِحْ ذبيحته» أخرجه مسلم (١).

الثانى: إحسان مستحب.

وهو كل ما يُدْخِل السرور على الخلق، ويُزيلُ عنهم ما يكرهون، من نفع بَدَنى أو مَالى أو عِلْمِى، أو تَوْجِيه لخَيْر دِينِى، أو مَصلحة دنيوية وغير ذلك من المنافع.

فكل ذلك صدقة وإحسان إلى الخلق، ثوابه الجنة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

٥ - كيفية الإحسان

الإحسانُ عبادةٌ قلبيةٌ عظيمةٌ، تدخُلُ فى كل شىء من أمور الدين والدنيا.

فيشمل الإحسانُ فى العبادات، والإحسان فى المعاملات، والإحسان فى المعاشرات، والإحسان إلى الحيوانات، والإحسان فى العمل.

فالإحسان فى باب العبادات:

أن يؤدِّيَ المسلم كل عبادة من وضوء، أو صلاةٍ، أو زكاةٍ، أو صيام، أو حجٍّ، أو غيرها أداءً صحيحا باستكمال شروطها وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها. وهذا لا يتم للعبد، إلا إذا عبد الله كأنه يراه ويُشاهده، أو على الأقل يشعر أن الله مطَّلِعٌ عليه وناظرٌ إليه، فيخاف من عقوبته.

قال النبي ﷺ: « الإحسان أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ» متفق عليه(١).

وأما الإحسان في باب المعاملات :

فأعظمه الإحسان إلى الوالدين. ويكون بحُسن البرِّ بهما، وطاعتهما في غير معصيةِ الله، وإيصال الخير إليهما، وكف الأذى عنهما، والدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما :﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[الإسراء:٢٣-٢٤].

والإحسان إلى الأقارب يكون ببرهم، ورحمتهم، والعطف عليهم، وفِعْل ما يَجْمُل معهم، وترك الإساءة إليهم.

والإحسان إلى اليتامى يكون بِحُسْنِ رعايتهم، والمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتربيتهم بالحُسنى.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠) و مسلم برقم (٩) .

والإحسان إلى المساكين يكون بالرِّفق بهم، وسَدِّ جوعهم، وسَتْرِ عَوْراتهم، وعَدَم احتقارهم، وعَدَم الإساءة إليهم، وإيصال النفع إليهم بحسب الاستطاعة.

والإحسان إلى ابن السبيل يكون بقضاء حاجته، وصِيانةِ كرامته، وهدايته إن ظَلَّ الطريق.

والإحسان إلى الخادم والعامِل يكون بإيتائه أجره قبل أن يجِفَّ عرقه، وبصون كرامته، واحترام شخصيته، وعدم إلزامه بما لا يلزمه، وعدم تكليفه بما لا يُطيق.

والإحسان إلى عموم الناس يكون بالابتسامة فى وجوههم، ولُطْفِ القَوْلِ لهم، وإفشاء السلام بيتهم، وإيصَالِ النَّفْع إليهم، وكفِّ الأذى عنهم، والإحسان إلى مسيئهم، وشكر محُسْنِهم، وإرشاد ضالِّهم، وتعليم جاهلهم، ومُساعدة المحتاج منهم.

والإحسان إلى الحيوان يكون بتفقد طعامه وشرابه، بإطعامه إن جاع، وسقيه إن عطش، ومُداواته إن مرضَ، وعدم تكليفه فوق طاقته، والرفق به إن عَمِل، وإراحته إن تعب.

والإحسان فى الأعمال البدنية يكون بإجادة العمل، وإتقانه، وعدم الغِش فيه.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء:٣٦].

وقال النبي ﷺ: « إنّ اللهَّ تَعالى يحُبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَملاً أَنْ يُتْقِنَهُ » أخرجه أبو يعلى[1].

---

(١) حسن/ أخرجهأبو يعلى برقم (٤٣٨٦).

٦- صور الإحسان

للإحسان صُوَرٌ كثيرةٌ :

الأولى : الإحسان فى عبادة الله عز وجل.

فأعظم شيء على المُسلم أن يُحسنه ويُتقنه هو عبادته لربه عز وجل، بأن يأتى بها على الوجه المشروع بلا زيادة ولا نُقصان، ويُحسن كل قولٍ أو عمل يتقرب به إلى ربه عز وجل، ويُخلص عبادته لله وحده لا شريك له : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

والطريق إلى هذا الإحسان : « أنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ » متفق عليه(١).

الإحسان في عبادة الله أن تُؤديها كما أمرك الله، وكما بينها لك رسول الله ﷺ.

تُؤديها تامة كاملة بأركانها وواجباتها، وسننها ومستحباتها، وتؤديها في أوقاتها إن كان لها وقت محدد كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأمثالها من العبادات.

وتؤديها خالصةً لله عز وجل، بكمال الحب، والتعظيم، والذل لله عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الثانية : الإحسان في الأقوال، كما قال سبحانه : ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال عز وجل: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وأحسنُ شيء في الأقوال، هو الدعوة إلى الله عز وجل بالتي هي أحسن : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠) و مسلم برقم (٩).

الثالثة : الإحسان في الأفعال، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الرابعة : الإحسان إلى النفس بإعطائها حظوظها مما أحل الله لها، وحملها على امتثال أوامر الله، وكفها عما حرم الله : ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

الخامسة : الإحسان إلى خلق الله، وهو أنواع :

الأول: الإحسان إلى الوالدين:

وهو أعلى درجات الإحسان للناس، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

الثاني: الإحسان إلى الأقارب، والأيتام، والمساكين، والجيران، وغيرهم من ذوي الحاجات: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ [النساء: ٣٦].

الثالث: الإحسان إلى الكفار بدعوتهم إلى الله بالحِكْمة والموعظة الحسنة، والتخلق معهم بالأخلاق الحسنة، ليكون ذلك سبيلا إلى قبولهم ما ندعو إليه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: ١٢٥].

الرابع: الإحسان في الجِدال، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

الخامس: الإحسان إلى من أساء إليك بقول، أو فعل: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

السادس: الإحسان إلى الحيوان بإرواء ظمئه، وسد جوعه، وعدم إيذائه، وعدم إخافته، وعدم الحمل عليه أكثر من طاقته.

قال النبي ﷺ: «في كُلِّ كَبِدٍ رطبَةٍ أجرٌ» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ سَجَنَتْها حتَّى ماتَتْ، فَدَخَلَتْ فيها النَّارَ، لا هي أطْعَمَتْها ولا سَقَتْها، إذْ حَبَسَتْها، ولا هي تَرَكَتْها تأْكُلُ مِن خَشاشِ الأرْضِ» متفق عليه(٢).

السابع: الإحسان إلى الحيوان عند ذبحه، بحدِّ الشفرة، وإراحة الذبيحة، وعدم إبراز السكين له إلا عند الذبح.

قال النبي ﷺ: «إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَه، فَلْيُرِحْ ذبيحته» أخرجه مسلم(٣).

الثامن: الإحسان في إتقان العمل على أحسن وجه.

قال النبي ﷺ: «إنَّ الله يحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ» أخرجه أبو يعلى(٤).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧) و مسلم برقم (٢٢٤٥).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٢) و مسلم برقم (٢٢٤٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

(٤) **حسن**/ أخرجه أبو يعلى برقم (٤٣٨٦).

٧- الأسباب المعينة على الإحسان

الأول : العلم بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

فمن عَلِم أن الله ﷻ هو المُحسن، وأن الإحسان صفة من أعظم صفاته، أحسن عبادة ربه، وأحسن إلى نفسه، وأحسن إلى غيره من الخلق : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

الثاني : العلم بفضائل الإحسان، وما يُثمره من محبة الله للمحسنين، وحُب الناس لهم، ومغفرة الله لهم، وعظيم ثوابه لهم : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثالث : النظر في سيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب والأفعال والأخلاق : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

الرابع : مجاهدة النفس، لتتخلق بصفة الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى خلق الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

الخامس : دعاء الله ﷻ أن يرزق العبد التعبد لله بصفة الإحسان ومحاسن الأقوال، والأفعال، والأخلاق.

قال النبي ﷺ: « اللَّهُمَّ اهْدِني لأَحْسَنِ الأخْلَاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلَّا أَنْتَ» أخرجه مسلم (١).

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

السادس: العلم بأن الإحسان من أعظم أسباب رحمة الله للعبد، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف:٥٦].

السابع : المحافظة على الفرائض بأنواعها، والتقرب إلى الله بأنواع النوافل.

فمن حافظ على ذلك، أحبه الله. ومن أحبه الله، أكرمه الله بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » أخرجه البخاري(١).

الثامن : العلم بثواب المحسنين في الدنيا والآخرة، والعلم بعقوبة المسيئين في الدنيا والآخرة، فمن عرف ذلك أحسن ولم يُسيء، وأطاع ربه ولم يعصه : ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس:٢٦-٢٧].

التاسع: الإكثار من ذكر الله ﷻ في كل وقت.

فمن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وأحسن ولم يُسيء : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

العاشر : تلاوة القرآن، وتدبر آياته، لمعرفة مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، التي أثنى الله على أهلها، ووعدهم بالثواب العظيم عليها : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾[الإسراء:٩-١١].

الحادي عشر : مُصاحبة الأخيار من أهل الإيمان والإحسان، والبُعْد عن صحبة الأشرار، لأن الصاحب صاحب إلى خير أو شر : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

الثاني عشر : الإكثار من ذكر الموت، وما بعده من الحساب والجزاء، والجنة والنار، فمن ذكر ذلك خاف ربه واتقاه، وأحسن عبادته، وأحسن إلى خلقه، وأطاع الله ولم يعصه.

قال النبي ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم اللَّذات» أخرجه الترمذي وابن ماجة (١).

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣].

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وليُّهَا وَموْلاَهَا.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَقْوَال وَالأَعْمَال وَالأَخْلَاق، لَا يَهْدي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْت، وَاصْرِف عَنَّا سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْت،

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

---

(١) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) و ابن ماجة برقم (٤٢٥٨) .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الثاني : عبادات التروك

وتشتمل هذه العبادات العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : أقسام العبادات

الثاني : فقه عبادات التروك

الثالث :أقسام عبادات التروك

الرابع : أنواع عبادات التروك

الخامس : الأسباب المعينة على ترك المنهيات والمحرمات.

١ - أقسام العبادات

تنقسم العبادات في الإسلام إلى قسمين :

القسم الأول: عبادات الأفعال.

وهي نوعان :

الأول: عبادات قلبية:

كتوحيد الله، والإيمان بالله، وحب الله، وتكبير الله، والخوف من الله، والرجاء لله، والتوكل على الله،... وغيرها من العبادات القلبية.

النوع الثاني عبادات بدنية:

كالوضوء، والصلاة، والصوم، والحج،... وغيرها من أنواع العبادات البدنية، وقد ذكر الله العبادات القلبية والبدنية بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

القسم الثاني : عبادات التروك .

وهي التعبد لله بترك كل شيء نهى الله عنه كترك الشرك، والكِبْر، وترك الزنى، والربا،... ونحو ذلك من عبادات القلوب والجوارح: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[البقرة:٢٥٦].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

فالمؤمن يتعبد لربه بفعل المأمورات، واجتناب المنْهِيات. وله أجرٌ من ربه على هذا، وعلى هذا: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[الجاثية: ٣٦].

٢ - فقه عبادات التروك

عبادات التروك هي أن يترك العبد كل شيء نهى الله عنه من الاعتقادات الباطلة، والأقوال السيئة، والأفعال المحرمة، والأخلاق المذمومة، تعبدًا لله ﷻ؛ لأن الله نهى عنها، وحذر منها، فيأخذ الأجر من ربه على الترك، كما يأخذ الأجر على فعل العبادات المأمور بها شرعًا، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال ﷻ: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ [النحل: ٩٠].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)﴾ [الحشر: ٧].

وقال ﷻ: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال النبي ﷺ: «ما نَهَيْتُكُمْ عنه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه(١).

ففعل الأوامر عبادةٌ لله عز وجل، وترك المناهي عبادةٌ لله ﷻ.

والله سبحانه كريمٌ، رحيمٌ بعباده. يُحِبُّ الخير لهم، فيعطيهم الأجور العظيمة على فعل الأوامر التي تنفعهم في دينهم ودنياهم، وأخراهم كالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، وصلة الرحم، والتحلي بمكارم الأخلاق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال: ٢-٤].

---

(١) **متفق عليه** / أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

ويعطيهم كذلك الأجر والثواب على ترك الكبائر، والمحرمات، والفواحش، والمعاصي، كما قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

فكل مسلم يأخذُ من ربه الأجر والثواب من جهتين:

الأولى: يأخذُ الأجر على فعل الأوامر الشرعية، التي أمر الله ورسوله بها، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

الثانية: يأخذُ الأجر على ترك المناهي التي نهى الله ورسوله عنها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

فلله الحمد والشكر على عطائه الكريم، وإحسان الرب إلى خلقه بأنواع الإحسان، حتى يوصلهم بذلك إلى أعالي الجنان: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٦١].

٣- أقسام عبادات التروك

عبادات التروك أربعة أقسام :

الأول : تروك الاعتقادات كترك الكفرِ، والشرك، والنفاقِ، والرياء،.. ونحو ذلك.

الثاني : تروك الأقوال كترك السب، واللعن، وشهادة الزور،... ونحو ذلك.

الثالث : تروك الأفعال كترك الزنى، وترك شُرب الخمر،... ونحو ذلك.

الرابع : تروك الأخلاق كترك الكِبْرِ، والحَسَدِ، والظلم،... ونحو ذلك.

فكما يؤجر العبد ويثاب على عبادات الأفعال، فكذلك يؤجرُ ويثاب على عبادات التروك، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

فالأعمال بالنيات، فمن فعل شيئًا من العبادات ابتغاء مرضات الله، فله أجره عند ربه على فعل تلك العبادات : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

ومن ترك المناهي والمحرمات ابتغاء مرضات الله، فله أجره عند ربه على ذلك الترك : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦].

ولِقَبُولِ العمل في الأفعال والتروك، لابد من النية، بأن يكون الفعل أو الترك ابتغاء مرضات الله ﷻ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الأعْمَالُ بالنِّيَّةِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ» متفق عليه(١).

---

(١) **متفق عليه** / أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

فالنية روح كل عمل، والنية تجارة العلماء. وتعددها في العمل الواحد يزيد الأجر والثواب.

فمن دخل المسجد مثلًا ثم صلى ركعتين، ونوى بهما ركعتي الوضوء، وتحية المسجد، وراتبة الظهر، فله أجر ما نوى، ومن نوى ترك الكفر والشرك وسائر المعاصي، لأن الله نهى عن ذلك، فله أجر جميع تلك التروك.

ومن نوى فعل أنواع الطاعات والقربات والعبادات التي أمر الله ورسوله بها، فله أجر ذلك كله ؛ لكن لابد في الأفعال من قَرْنِ النية بالفعل، كما أنه لابد في التروك من قرن النية بالترك، وبذلك تكون كل منها عبادةً لله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾[الكهف: ١١٠].

وعبادات التروك تدخل في جميع أبواب الشريعة.

فتدخل في أبواب الاعتقاد كترك الكفر، والشرك، والنفاق، والبدع،.. وغيرها، وتدخل في أبواب العبادات كالطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج،.. وغيرها من العبادات .

وتدخل في أبواب المعاملات كالبيع، والشراء، والنكاح، والطلاق، والأطعمة، والأشربة،وغيرها، وتدخل في أبواب الأخلاق والآداب كترك الظلم، والحسد، والبغي، والعُدْوَان، والكذب، والخيانة، والغدر،ونحوها، وتدخل في آداب الأكل، والشرب، واللباس،وغيرها .

فالدين كله قائمٌ على تصديق الأخبار، وامتثال الأوامر، واجتناب المناهي، وفي كلٍ من الفعل والترك أجرٌ من رب العالمين :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

٤ - أنواع عبادات التروك

أمهات عبادات التروك التي يؤجر العبد على تركها، لأن الله ﷻ نهى عنها، وحذر منها هي ترك الكفر، والشرك، والشك، وترك النفاق، وترك الرياء، وترك الكبر، وترك العجب، وترك اليأس من رَوْحِ الله، وترك القنوط من رحمة الله، وترك سوء الظن بالله، وترك سوء الظن بالمسلمين، وترك موالاة الكفار، وترك بُغْضِ الإسلام والمسلمين، وترك جحود نعم الله، وترك تعظيم غير الله، وترك التشاؤم والتطير، وترك الحسد، وترك الإصرار على المعاصي .

وترك حكم الجاهلية، وترك حَمِيَّةِ الجاهلية، وترك ظن الجاهلية، وترك تبرج الجاهلية، وترك المحرمات، وترك المعاصي، وترك الإلحاد في أسماء الله وصفاته، وترك الرضا بغير حكم الله، وترك التحاكم إلى غير شريعة الله، وترك الأمن من مكر الله، وترك التسخط على أقدار الله، وترك الاعتراض على أقدار الله، وترك العُجْبِ بالعمل .

وترك اتباع الهوى والغي والضلال، وترك البَطَرِ والطغيان، وترك الحقد والغل، وترك المَنِّ والتكبر، وترك نُكْرَانِ الجميل، وترك الغرور، وترك الظلم، وترك الكذب، وترك الغضب، وترك القسوة، وترك المكر والكيد بالباطل .

وترك الطمع، وترك الشُّحِّ، وترك العُدْوان على الخلق، وترك طول الأمل، وترك الكسل، وترك الجزع، وترك اليأس، وترك الحُزن على ما فات، وترك اعتقاد النفع والضر في السحرة أو الأموات، وترك تصديق الكهان والعرافين والمشعوذين، وترك الخوف من غير الله، وترك التوكل على غير الله،... وأمثال ذلك من أنواع التروك.

وكل هذه التروك عبادات قلبية، يؤجر المسلم على تركها، وينال أعظم الثواب على تركها والبعد عنها: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾[الزمر:١٧-١٨].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

وقال النبي ﷺ« إِنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى» متفق عليه(١).

فأعظم عبادات التروك ترك الكفر بالله، وترك الشرك بالله، وترك النفاق، وترك الإلحاد، وترك توجيه العبادة إلى غير الله، وترك البدع ما ظهر منها وما بطن.

فيجب التعبد لله بترك ذلك كله، والإيمان بالله وحده، وعبادته وحده لا شريك: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾[البقرة:٢٥٦].

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾[النساء:١١٥].

وَمِنْ ذلك ترك الشك في الله، أو في الرسل، أو في الكتب، أو في يوم القيامة.

ومن ذلك، ترك الريبة أو التردد في أوامر الله، أو البعث، والجزاء، وترك الإعراض عن دين الله، وترك عدم الانقياد لحكم الله ورسوله، وترك جحود أوامر الله ونواهيه، أو عدم قبولها، أو عدم الإذعان لها، وترك الكبر والاستكبار، كما

---

(١)**متفق عليه** / أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

ومن ذلك ترك العجب بالعمل، ورؤية النفس، وعدم التكبر به على الخلق، والمن به على الخالق: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات: ١٧].

ومن ذلك ترك الرياء، وهو طلب مدح الناس على فعل الطاعات، وهو مناقضٌ للإخلاص، ومحبطٌ للعمل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢].

ومن ذلك ترك اليأس من رَوْحِ الله، واليأس هو قطع الرجاء والأمل في الله، وذلك كفر، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

وَمَنْ ضَعُفَ إيمانه بالله أعرض عن الطاعة عند النِّعْمَة، وأصابه اليأس من فرج الله عند المصيبة: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ٨٣﴾ [الإسراء: ٨٣].

وهذه حال الكفار، كما قال الله عن الكافر: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ٩﴾ [هود: ٩].

وسبب اليأس من رَوْحِ الله هو الشيطان، الذي يُزَيِّنُ المعصية لأتباعه في البداية، فإن أطاعوه ذَكَّرَهُمْ بعقاب الله، وأَيَّسَهُمْ من رحمة الله، وأنه لا يَقْبَلُ العُصَاةَ أمثالهم، فَيُبْغِضُونَ الله، وَيُبْغِضُونَ فِعْلَهُ وقضاءه. فكفرُوا بالرحمٰن، وأصبحوا عُبَّادًا لشيطان، واستمروا على معاصيهم، لأنه انقطع رجاؤهم بالرحمٰن.

ومن ذلك ترك القنوط من رحمة الله، والقنوط من رحمة الله هو اليأس من قدرة الله على تفريج الكربات، وهذا هو الضلال، والجهل بقدرة الله :﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الحجر:٥٦].

فالكافر والجاهل إذا أصابه الضر من مرضٍ، أو مصيبةٍ، أو تعبٍ، أو قِلَّةِ رزق، فإنه ييأس من فرج الله، ويقنط من رحمة الله :﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[فصلت:٤٩].

وسبب قُنُوطِ العبد من رحمة الله، هو وقوع العبد في أنواع المعاصي، وما يتبعها من عقوبة السيئات، فيجد البَلَاءُ قلبًا هزيلًا قد أضعفته سيئات المعاصي، فلم يستطع للمعاصي دفعا، ولا على البلاء صبرا، فيقنط من رحمة الله :﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الروم:٣٦].

وعلاج القنوط من رحمة الله هو التوبة الى الله من الذنوب مهما عَظُمَت وكَثُرَت، والصبر على البلاء :﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣].

وقال الله ﷻ:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

ومن عبادات التروك ترك سوء الظن بالله، وسوء الظن بالله هو ظن الجاهلية، كما قال سبحانه :﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وسوء الظن بالله أن يظن الإنسان أن الله لا ينصر أولياءه، أو الشك في حِكْمَة الله البالغة، أو الشك في إكرامه للصالحين يوم القيامة، أو الشك في وعده ووعيده، ونِسْبَةُ الشريك لله، فيدعونه مع الله في ظنهم أن فيه القدرة على تدبير الأمور مع الله، وعِلْم ما لا يعلمه إلا الله، ونحو ذلك مما يظنه الكفار والمنافقون: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٦].

ومن ذلك ترك سوء الظن بالمسلمين. وسوء الظن بالمسلمين يُوَلِّد الغيبة والنميمة، والتحسس والتجسس، والتباغض والتحاسد، والتدابر والتقاطع والتقاتل. فهذه ثمان آفات يُوَلِّدُها سوء الظن بالناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات:١٢-١٣].

ومن عبادات التروك ترك موالاة الكفار، فتجب البراءة من الشرك والمشركين، وتجب عداوتهم وبغضهم، لشركهم بالله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة:٥١].

فمن تولى بقلبه الكفار أخذ حكمهم، وأصبح منهم، وأصبح مثلهم في كفرهم وشركهم، لأن من تشبه بقوم فهو منهم.

ومن عبادات التروك ترك بُغْضِ الإسلام والمسلمين، أو بغض شيء مما شرعه الله ورسوله، كما يجب ترك حب الكفار لأجل كفرهم، لأن ذلك مناقض لحب الله، ورسوله، ودينه، وأوليائه.

ومن عبادات التروك ترك جحود النعمة ونسبتها إلى غير المنعم بها، فنسبة النعم إلى المنعم سبحانه أول منازل العبودية، ومن لم يشكر نعمة الله فقد جحد نعمته، كما قال الله عن الكفار: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل:٨٣].

ومن عبادات التروك ترك تعظيم غير الله، فَيَحْرُمُ على العبد تعظيم المخلوق، ورفعه عن حد العبودية، كالحلف بالآباء أو الشيوخ، أو بأي مخلوقٍ من المخاليق.

قال النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كفر أو أَشْرَكَ» أخرجه أحمد والترمذي(١).

فالتعظيم من عبادات القلوب، فيجب أن يصرف لله وحده، ومن صرفه لغير الله من مخلوقٍ حيٍ أو ميت، فقد كفر بالله، وأشرك معه غيره فيما يجب له وحده من التوحيد والتعظيم: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

ومن عبادات التروك، ترك التشاؤم والتطير.

قال النبي ﷺ«لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ قالوا: وَما الفَأْلُ؟ قالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ» متفق عليه(٢).

ومن عبادات التروك ترك حسد الخلق على النعم الدنيوية والأخروية.

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٦٠٧٢) والترمذي برقم (١٥٣٥) .

(٢) **متفق عليه** / أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٦) ومسلم برقم (٢٢٢٤) .

والحسد: تمني زوال نعمة الله عن المحسود: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾[النساء: ٥٤-٥٥].

والحسد كفرٌ، لما فيه من الاعتراض على قَدَرِ الله وَقِسْمَتِه، والحسد على نعمة الإيمان والطاعة لله كفر، لأنه تمني زوال الإيمان عن المحسود، وحصول الكفر بدلًا منه، وهو يدل على كراهية الحاسد للإيمان والمؤمنين: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾[البقرة: ١٠٩].

أما الحسد على الدنيا وزخارفها، وتمني زوال تلك النعم عن المحسود، فمحرم. وسببه مرض القلب، وضعف إيمانه، وفقد حب الخير للمسلمين.

أما حسد الغبطة، فهو أن لا يتمنى العبد زوال النعمة عن الغير، وإنما يتمنى حصول مثلها لنفسه، حتى ينال الفضل مثله، وهذا مشروع.

قال النبي ﷺ «لَا حَسَدَ إِلَّا في اثنتَيْنِ: رجُلٍ آتاه اللهُ مالًا فسلَّطه على هلَكتِه في الحقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فهو يَقْضِي بهَا ويُعَلِّمُهَا» متفق عليه(١).

ومن عبادات التروك ترك الإصرار على المعاصي، والإصرار هو عدم الندم على فعل المعصية، والعزم على العودة إلى المعصية متى قَدِرَ عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم (٧٣) ومسلم برقم (٨١٦).

﴿وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

والفرق بين الإباء والإصرار، أن الإباء هو رد الأمر على الآمر، كما فعل إبليس، والاستكبار عن امتثال أوامر الله، كما فعل إبليس: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

فالإباء كفرٌ بالله، أما الإصرار على المعاصي فليس بكفر؛ لأن المُصِرَّ يُقِر بأن ما فعله ذنب، لكنه يأتيه لغلبة الشهوة على قلبه، وحبه لشهوة أكثر من خوفه من الله، فأصر على الشهوة، واقترف الذنب.

والمُصِرُّ على الذنب حتى الممات، تحت مشيئة الله، إن شاء الله عذبه بقدر ذنوبه، وإن شاء غفر له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: ١١٦].

ومن عبادات التروك ترك الإلحاد في أسماء الله وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والإلحاد في أسماء الله هو صرفها عن معانيها.

ومن تروك العبادات ترك الأمن من مكر الله: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩].

ومن ذلك ترك الاعتراض على أقدار الله، والتسليم لأمره: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

ومن ذلك ترك اتباع الهوى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ٤١﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

ومن ذلك ترك طول الأمل، والاستعداد للآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾[فاطر:٥].

ومن تروك العبادات ترك قرناء السوء: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾[الأنعام:٦٨].

ومن ذلك ترك تعصب الجاهلية، وحمية الجاهلية، كمن يتعصب لجماعةٍ معينة قبل أن يعرف أنهم على الحق، أو ينحاز لأهل بلده، وإن كانوا على غير دينه، أو يتعصب لمذهبه أو شيخه، ولا يُبَالي بمن خالفه ولو كان معه الدليل.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾[المائدة: ٥٠].

٥- الأسباب المعينة على ترك المنهيات والمحرمات

الأول: العلم بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

فمن عرف ربه حقا، آمن به، واتقاه، وأطاعه، ولم يعصه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: الخوف من الله جلَّ جلاله.

فمن عرف الله حقًا، خَافَهُ حقا. فأطاع أمره، واجتنب نهيه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥].

وفعل الأوامر، واجتناب المناهي من أعظم عبوديات القلب: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الثالث: علم العبد بِقُبْحِ المعاصي

وأن الله إنما حرمها ونهى عنها، صيانةً للعبد من الرذائل والدنايا، وحمايةً للعبد مما يضره في الدنيا والآخرة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

الرابع: الحياء من الله عَزَّوَجَلَّ.

إن الله سبحانه يرى كل مخلوقٌ من خلقه، وينظر إليه وهو يطيعه أو يعصيه.

فليستحِ العبد من ربه الذي خلقه، وأدر عليه نعمه، أن يعصيه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٣-١٤].

الخامس : العلم بأن الذنوب تزيل النعم.

فما أذنب عبدٌ ذنبًا إلا زالت عنه نعمةٌ من نعم الله ﷻ، وإنَّ العبد ليُحرَم الرِّزقَ بالذنب يصيبه، ومن يعمل سوءاً يجز به: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء:١٢٣].

السادس : محبة الله ﷻ.

فكل محُبٍّ لمن يحب مطيع. فمن أحب الله أطاعه ولم يعصه. وكلما قوي إيمان العبد، قويت محبته لله ﷻ، فأسرع إلى طاعته، وحَذِرَ من معصيته :﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

السابع : شرَفُ النفس وأَنَفتُها أن تختار الأسباب التي تحطُ وتضع من قدرها، وتقرنها بالسَّفَلَة، الذين أشغلهم الشيطان بمعصية الله ومخالفة أوامره : ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس:٦٠-٦٢].

الثامن : عِلْمُ العبد بأن من عصى الله فهو جاهلٌ بالله، وبحق الله، وجاهلٌ بعقوبة معصيته،ومن عرف الله حقًا أطاعه ولم يعصه : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر:٦٧].

التاسع : العلم بسوء عاقبة المعصية في الدنيا والآخرة.

فالمعاصي تُميتُ القلب، فلا يشعر بما ينفعه أو يضره، وتجعل العبد أسيرًا في يد أعدائه، وتضعفه، فلا يبقى له سلطانٌ على جوارحه.

والمعاصي تزيل الأمن والطمأنينة من القلب، فأخوف الناس أشدهم إساءةً،

وأكثرهم معصيةً :﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾[النساء:١٤].

العاشر : اجتناب فُضُولِ الطعام، والشراب، والمنام، والكلام.

فالمعاصي إنما تنشأ من هذه الفضلات.

فإن النفس تطلب الاستكثار من الشهوات، فيضيق عليها المباح، فتتعداه إلى الحرام، والنفس لا تقعد فارغة، إن لم تشغلها بما ينفعها، شغلتك بما يضرها:﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾[يوسف:٥٣].

الحادي عشر : تذكر الموت، وما بعده من الأهوال.

فمن تذكر ذلك سارع إلى طاعة ربه، وابتعد عن معصيته.

قال النبي ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ» أخرجه الترمذي وابن ماجة (١).

الثاني عشر : علم العبد أن اللذة الموجودة في بعض المعاصي، بمنزلة طعام لذيذ، لكنه مسمومٌ يهلك من أكله، فللذُّنُوب آثارٌ قبيحة، مرارتها تزيد على حلاوتها أضعافًا مضاعفةً.

الثالث عشر : علمُ العبد أن الذنوب لها عقوبةٌ من الله عز وجل، لكن قد يتأخر وقوعها استدراجًا من الله ﷻ،فكلما أحدثوا ذنبًا أحدث اللهُ لهم نعمة ليزدادوا إثما :﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨﴾[آل عمران:١٧٨].

الرابع عشر : العلمُ بأن حلاوة الذنوب لا تزيل الهموم، وإنما تُغَيِّبُهَا فترة، لتعود أشد ما تكون في العاجل والآجل : ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[طه:١٢٤-١٢٦].

---

(١)صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

الخامس عشر: علم العبد أن ترك المعاصي له ثمراتٌ كثيرةٌ في الدنيا والآخرة.
فبترك الذنوب والمعاصي تكون المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال، وإصلاح المعاش، ومحبة الخلق، وراحة البدن، وطيب النفس، وسلامة القلب، والأمن من مخاوف الفساد، والأمن من مخاوف الفُسَّاقِ والفُجَّارِ، وقلة الهم والغم والحزن، وعِزُّ النفس، وتيسير الأمور، والسلامة من العقوبة: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

السادس عشر: مجاهدة النفس، وحملها على فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، ابتغاء مرضات الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

السابع عشر: العلم بفضائل الطاعات، وعقوبة المعاصي.
فمن عرف ذلك سارع إلى طاعة الله، واجتنب معصية الله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣-١٤].

الثامن عشر: العلم بسيرة الأنبياء والمرسلين، وماهم عليه من حُسن الطاعة، والعبادة، وكمال الإيمان، والتقوى، واجتناب المعاصي: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

التاسع عشر: دعاء الله عز وجل أن يرزقه كمال الإيمان والتقوى.
فمن رزقه الله ذلك سارع إلى فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، حبًا لله، وخوفًا

من عقابه، وطلبًا لمرضاته، ورجاءً لثوابه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

العشرون: لزوم بيئة الإيمان، وحضور مجالس العلم، والوعظ، والذكر، والانقطاع عن أهل الغفلة والمعاصي: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْت، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْت، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْت، وَقِنَا بِرَحْمَتِك، وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْت.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الثاني : عبادات التروك

العبادة الأولى

تروك الإعتقاد

العبادة الأولى

تروك الاعتقاد

العبادات في الإسلام تنقسم إلى قسمين :

الأول: عبادات الأفعال القلبية والبدنية .

وهي التعبد لله بفعل كل شيء أمر الله ﷻ به كتوحيد الله، والإيمان به، والخوف منه، والتوكل عليه، والصلاة والصيام ونحو ذلك من العباداتالفعلية.

الثاني: عبادات التروك القلبية والبدنية .

وهي التعبد لله بترك كل شيء نهى الله عنه كترك الكفر والشرك وترك الزنى والربا ونحو ذلك من عبادات التروك .

وعبادات التروك أربعة أقسام:

الأول: تروك الاعتقاد كترك الكفر والشرك، والنفاق والرياء ونحو ذلك .

الثاني: تروك الأقوال كترك السب واللعن، وشهادة الزور ونحو ذلك.

الثالث: تروك الأفعال كترك الزنى، وترك شرب الخمر ونحو ذلك.

الرابع: تروك الأخلاق كترك الكبر والحسد، والبغي والظلم ونحو ذلك.

فكما يؤجر العبد ويثاب على عبادات الأفعال، فكذلك يثاب ويؤجر على عبادات التروك، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر:١٧ -١٨].

فجميع الأعمال بالنيات، فمن فعل شيئًا من العبادات ابتغاء مرضاة، الله فله أجره عند ربه على فعل تلك العبادات، ومن ترك المناهي والمحرمات ابتغاء مرضاة

الله،فله أجره عند ربه على ذلك الترك :﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة:٢٥٦].

ولقبول العمل في الأفعال والتروك لابد من النية بأن يكون الفعل أو الترك ابتغاء مرضاة الله ﷻ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة:٥].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّما الأعمالُ بالنِّيَّةِ، وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ ما نوى» متفق عليه(١).

وتروك الاعتقاد كثيرة ومن أعظمها ما يلي :

الأول: ترك الكفر بالله :

وهو أعظم التروك التي يجب على المؤمن تركها، لأن الكفر ضد الإيمان و لا بد مع الإيمان بالله من الكفر بالطاغوت :﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة:٢٥٦].

فالإيمان هو أصل العبادات كلها، وترك الكفر من لوازم الإيمان، وكما أن الإيمان عبادة فيها أجر من الله، فكذلك ترك الكفر عبادة فيها أجر من الله:
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦].

وقال ﷻ:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧-١٨].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧) .

فلله الحمد على إعطاء الأجر على الإيمان، وإعطاء الأجر على ترك الكفر : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

الثاني: ترك الشرك بالله ﷻ:

فالتوحيد عبادة فيها أجر، وترك الشرك عبادة فيها أجر، وترك الشرك من لوازم التوحيد، فلا توحيد مع الشرك :﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

والشرك محبط لجميع الأعمال :﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

وقال النبي ﷺ:«قال اللهُ تعالَى : أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ ، مَنْ عمِلَ عملًا أشركَ فيه معِيَ غيري تركتُهُ وشِركَهُ» أخرجه مسلم(١)

فالتوحيد أحسن المحاسن، وأعدل العدل، والشرك أقبح القبائح، وأعظم الظلم : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

ومن صفات عباد الله المتقين تحقيق التوحيد، واجتناب الشرك :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

الثالث: ترك النفاق :

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) .

والنفاق هو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر، ومن مات على النفاق، ولم يتب منه فهو مخلد في النار: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

فالإيمان عبادة فيها أجر وثواب، وترك النفاق عبادة فيها أجر وثواب.

فسبحان الرب الكريم الذي يعطي الأجر على الإيمان، ويعطي الأجر على ترك النفاق: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

الرابع: ترك الرياء:

والرياء ضد الإخلاص، وإخلاص العمل لله عبادة، وترك الرياء عبادة، والله كريم يعطي الأجر على الفعل وعلى الترك: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقد حذر الله من الرياء في كتابه بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤ - ٧].

والرياء نوع من أنواع الشرك والنفاق والكذب، وإذا دخل في عملٍ أفسده: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ» متفق عليه(١).

الخامس: ترك الإلحاد:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٩٩) ومسلم برقم (٢٩٨٧).

والإلحاد نفي وجود خالق لهذا الكون العظيم، والإيمان إثبات خالقٍ وإلهٍ وربٍ لهذا الكون العظيم: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) ﴾ [إبراهيم: ١٠].

فالإيمان بالله عبادة، وترك الإلحاد عبادة، وللعبد أجر وثواب على الإيمان بالله،وعلى ترك الإلحاد، وقد توعّد الله الملحدين بالنار كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) ﴾[فصلت: ٤٠].

والإلحاد في أسماء الله وصفاته من أعظم أنواع الإلحاد التي تنافي كمال الرب عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾[الأعراف: ١٨٠].

والإلحاد هو الكفر بالله، وإنكار وجوده، وتكذيب رسله وكتبه، نعوذ بالله من ذلك.

السادس: ترك الغلو في الدين:

والغلو مجاوزة الحد المشروع في الدين، سواءً كان في الاعتقاد أو القول أو الفعل، وهو التشدد في الدين،والتنطع والتكلف بما لم يأت به الشرع، وهو ضد التيسير، وقد نهى الله عن الغلو في الدين بقوله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴾[المائدة: ٧٧].

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[المائدة:٨٧-٨٨].

وقال النبي ﷺ: «إيَّاكم والغُلوَّ في الدِّينِ، فإنَّهُ أهْلَكَ من كانَ قبلَكُمُ الغلوُّ في الدِّينِ» أخرجهالنسائي وابن ماجة(١).

فمن استقام على أوامر الله بلا زيادة أو نقص، فهذا عمله مقبول، ومن جاوز حدود الله وأحكامه، فقد غلا في الدين، ووقع في المحذور.

قال النبي ﷺ: «هَلَكَ المتَنَطِّعُونَ قالَهَا ثَلاثًا» أخرجه مسلم (٢).

فالاستقامة على أوامر الله عبادة، وترك الغلو في الدين عبادة، والله سبحانه يعطي الأجر على هذا وهذا: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[هود:١١٢-١١٣].

السابع: ترك سوء الظن:

فحسن الظن عبادة، وترك سوء الظن عبادة، والعبد يثاب من ربه على حسن الظن، وعلى ترك سوء الظن، وسوء الظن بالله من أعظم الذنوب، بل هو كفر بالله ﷻ، وسبب لغضبه ولعنه وعقابه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾[الفتح: ٦].

الثامن: ترك البدع بأنواعها:

---

(١)صحيح / خرجهالنسائي برقم (٣٠٥٧) وابن ماجة برقم (٣٠٢٩).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٠).

فالبدعة خلاف السنة، والعمل بالسنة عبادة، وترك البدعة عبادة، والعبد يثاب من ربه على العمل بالسنة، وعلى ترك البدعة، وقد ذمَّ الله البدع بأنواعها بقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ: «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ» متفق عليه[1].

التاسع: ترك الاستعانة بغير الله عَزَّ وَجَلَّ فيما لا يقدر عليه إلا الله.

فالاستعانة بالله عبادة، وترك الاستعانة بغير الله عبادة، والعبد يثاب من ربه على هذه وهذه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٢-٥].

فإذا سألت فاسأل الله وحده، وإذا استعنت فاستعن بالله وحده، لأنه هو القادر على كل شيء الغني الذي خزائنه وسعت كل شيء: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

العاشر: ترك التعظيم لغير الله:

فالتعظيم لله عبادة، وترك التعظيم لغير الله عبادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ [المدثر: ١-٧].

فالله عز وجلهو العظيم الذي يستحق التعظيم، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وكل ما سوى الله عبيد له، أذلة بين يديه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ

---

(١) متفق عليه، أخرجهالبخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

والعبد يثاب من ربه على تعظيمه لربه، وتكبيره وتمجيده له، ويثاب على ترك التعظيم لغير الله من المخاليق: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

الحادي عشر: ترك الحب لغير الله:

فحب الله هو روح العبودية، وحب غير الله حبًا يستلزم الذل له، والخضوع له، شركٌ بالله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥].

والعبد يثاب من ربه على حب الله ﷻ، وعلى ترك الحب لغير الله ﷻمن المخاليق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة:٥٤-٥٦].

الثاني عشر: ترك الخوف من غير الله عز وجل:

فالخوف من الله عز وجلعبادة من أعظم العبادات، وترك الخوف من غير الله عبادة، والعبد يثاب على هذا وهذا من ربه الكريم: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥].

الثالث عشر: ترك التوكل على غير الله:

فالتوكل على الله ﷻ عبادة، وترك التوكل على غير الله عبادة، والله يعطي الأجر لمن توكل عليه، واجتنب التوكل على غيره: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن:١٣].

ومن توكل على الله كفاه وأغناه عما سواه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[الطلاق:٢-٣].

الرابع عشر: ترك الخشية من غير الله:

فخشية الله عبادة، وترك الخشية من غير الله عبادة: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾[المائدة:٤٤].

وقال ﷻ: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾[التوبة:١٣].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

الخامس عشر: ترك دعاء غير الله ﷻ:

فدعاء الله ﷻ عبادة من العبادات، وترك دعاء غير الله عبادة، والمسلم يثاب على دعاء الله، وعلى ترك دعاء غير الله: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

وكل من دعا غير الله خاب وخسر: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾[الشعراء:٢١٣].

ومن دعا الله وحده أجابه، وفاز برضوانه وجنته: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة:١٨٦].

السادس عشر: ترك الاستغاثة بغير الله:

فالاستغاثة بالله عبادة، وترك الاستغاثة بغير الله عبادة، ومن استغاث بالله وحده أغاثه، ومن استغاث بغير الله خذله الله من جهته: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال:٩].

وقال ﷻ: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء:٢٢].

السابع عشر: ترك الذل لغير الله ﷻ:

فالذل لله ﷻ عبادة، وترك الذل لغير الله عبادة.

فالله هو العزيز الذي يجب على العباد الذل له، وكل ما سواه عبيد له، أذلة بينيديه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة:١].

فالله وحده هو العزيز، وكل ما سواه ذليل لعزته، متصاغر لكبريائه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء:١١١].

هو سبحانه العزيز الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

الثامن عشر: ترك الاستعاذة بغير الله:

فالاستعاذة بالله عبادة مأمورٌ بها كما قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف:٢٠٠].

وترك الاستعاذة بغير الله عبادة، لأن كل ما سوى الله ليس بيده شيء، وإنما الأمر كله لله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾[الجن:٦].

فكل من تعلق بغير الله عُذِّب به: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾[الشعراء:٢١٣].

التاسع عشر: ترك الحلف بغير الله ﷻ:

فالحلف بالله عبادة، وترك الحلف بغير الله عبادة، لأن الحلف بالله تعظيم لله، وهو مستحق لذلك لعظمته وجلاله، وجماله وكماله، وكل ما سواه سبحانه عبيد له، فقراء إليه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

فمن حلف بالله فله ثوابٌ من ربه، ومن ترك الحلف بغير الله فله ثوابٌ من ربه، ومن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.

قال النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ» أخرجه أحمد والترمذي(١)

ومن حلف بغير الله كالأصنام فكفارته أن يأت بعده بكلمة التوحيد بصدق وإخلاص (لا إله إلا الله).

قال النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى. فَلْيَقُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» متفق عليه (٢)

العشرون: ترك الاستهزاء بالله، أو رسله، أو كتبه، أو شعائره:

فالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر كل ذلك من أركان الإيمان، ومن استهزأ بشيء من ذلك فقد كفر، كما قال سبحانه عن المنافقين: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ

---

(١) صحيح/ أخرجهأحمد برقم (٦٠٧٢) والترمذي برقم (١٥٣٥) .

(٢) متفق عليه، أخرجهالبخاري برقم (٦٢٧٤) ومسلم برقم (١٦٤٧) .

وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[التوبة:٦٥-٦٦].

والمؤمن يثاب على الإيمان بالله وتعظيمه، ويثاب على ترك الاستهزاء بالله ورسوله ودينه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

الحادي والعشرون: ترك تعلم السحر وتعليمه، وترك الذهاب إلى السحرة والكهان والعرافين، لأن ذلك كفر لما فيه من ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾[البقرة:١٠٢].

وقال النبي ﷺ: «مَن أتى كاهنًا فصَدَّقَه بما يقولُ، فقد كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمَّدٍ ﷺ» أخرجه أبو داود (١).

فالفقه في الدين عبادةٌ فيها ثوابٌ من الله، وترك تعلم السحر وتعليمه عبادةٌ فيها ثوابٌ من الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

الثاني والعشرون: ترك الطواف على القبور:

فالطواف بالكعبة عبادة، وترك الطواف على القبور أو الأشجار أو الأصنام عبادة، والطواف على القبور شرك بالله، فالطواف عبادة شرعها الله بالكعبة فقط كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾[الحج:٢٩].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٩٠٤).

وكل طوافٍ بما سوى الكعبة فهو شركٌ و باطلٌ ومردودٌ على صاحبه :﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ: «مَن أحْدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليسَ منه فَهو رَدٌّ» متفق عليه(١).

الثالث والعشرون: ترك اتباع الهوى :

فاتباع هدى الله ﷻ عبادة، وترك اتباع الهوى عبادة، وهوى النفس أعظم صنم معبود من دون الله ﷻ : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ [النازعات: ٣٧ – ٤١].

وكل من أعرض عن اتباع هدى الله فقد اتبع هواه، وعبده من دون الله :﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾[القصص: ٥٠].

وصاحب الهوى عبدٌ لهواه لا لربه، حيثما سارت به مراكبه سار، وحيثما توجهت به ركائبه توجه، فمن أضل ممن ترك هدى ربه واتبع هوى نفسه: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾[الجاثية: ٢٣].

الرابع والعشرون: من تروك الاعتقاد: ترك الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، وترك الاستسقاء بالنجوم، وترك النياحة على الميت .

فهذه كلها من أمر الجاهلية التي حرمها الإسلام :﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾[المائدة: ٤٩-٥٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

وقال النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ في أُمَّتي مِن أمْرِ الجاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأحْسابِ، والطَّعْنُ في الأنْسابِ، والاسْتِسْقاءُ بالنُّجُومِ، والنِّياحَةُ» أخرجه مسلم(1).

فترك كل ذلك عبادةٌ يتقرب بها العبد إلى ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

الخامس والعشون: ترك سب الله ورسوله ودينه:

فمن أثنى على الله ورسوله ودينه فهو في عبادة، ومن ترك سب الله ورسوله ودينه فهو في عبادة، وسب الله أو رسوله أو دينه من أعظم الكبائر، وأشد المنكرات، ومن أعظم نواقض الإسلام، ومن أسباب الردة عن الإسلام، وذلك كله من الكفر بالله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

السادس والعشرون: ترك عبادة الأصنام والأوثان:

فعبادة الله وحده لا شريك له هي روح العبودية، ومقصود الرب من خلقه إخلاص العبادة له وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

وترك عبادة الأصنام والأوثان عبادة، وهي من لوازم إخلاص العبادة لله وحده: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٣٤).

فللمسلم ثواب على عبادة الله وحده، وله ثواب على اجتناب عبادة الأصنام والأوثان: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: ٣٠ – ٣٢].

السابع والعشرون: ترك الحكم بغير شريعة الله :

فالحكم بشريعة الله عز وجل عبادة، وترك الحكم بغير شريعة الله عبادة، والمسلم يثاب على الحكم بما أنزل الله، ويثاب على ترك الحكم بغير ما أنزل الله: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: ٤٩ – ٥٠].

والحكم بغير ما أنزل الله كفر، وظلم، وفسق، فمن عرف حكم الله، وحكم بغير ما أنزل الله، واتبع هواه، فقد كفر: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

وحكم الله أحسن الأحكام وأعدلها: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٢٠﴾ [الجاثية: ١٨ – ٢٠].

الثامن والعشرون: ترك مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين:

فمعاونة الكفار على المسلمين ردة، كما قال سبحانه: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة: ٥١].

فتعاون المسلمين مع المسلمين على البر والتقوى عبادة،وترك مظاهرة المشركين وإعانتهم على المسلمين عبادة،ومظاهرة المسلمين للكفار كفر وردة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[آل عمران:١٠٠-١٠١].

التاسع والعشرون: ترك النظر في البروج لمعرفة ما سيقع في المستقبل

فمن ترك ذلك ولم يعبأ به فهو في عبادة، لأن الاستدلال بالأبراج على أمور غيبية ستحصل للإنسان من ادعاء علم الغيب، وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله وحده: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾[النمل:٦٥-٦٦].

وقال الله ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام:٥٩].

وقال النبي ﷺ: «مِنِ اقتبسَ عِلمًا منَ النُّجوم، اقتبسَ شعبةً منَ السِّحرِ زادَ ما زادَ» أخرجه احمد وأبو داود [١]

الثلاثون: ترك الذبح لغير الله:

فمن ذبح وذكر اسم الله عند الذبح فهو في عبادة، ومن ترك الذبح لغير الله فهو في عبادة، ومن ذبح لغير الله فقد أشرك بالله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فالذبح لغير الله شرك، سواء كان عند القبور، أو عند غيرها، إذا نوى التقرب به إلى المخلوق، أو الجن، أو الأصنام، أو الأولياء، لأن نسك الذبح عبادة لا

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٤٠) وأبو دادو برقم (٣٩٠٥).

تصرف إلا لله وحده :﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ١-٢].

فالذي يذبح لغير الله كالذي يصلي لغير الله، كالذي يسجد لغير الله ،هذا كله من الشرك :﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الزمر: ٦٥ – ٦٦].

الحادي والثلاثون: ترك الكبر والاستكبار عن الحق:

فكما أن التواضع عبادة لله ﷻ، فكذلك ترك الكبر والاستكبار عن الحق عبادة، وقد ذم الله المستكبرين عن عبادته بقوله :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

والله سبحانه هو وحده الذي تكبر عن صفات النقص والعيب، وما لا يليق به من صفات المخلوقين، وتمجد بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

والله ﷻ هو الكبير المتكبر، وهو لا يحب المستكبرين من خلقه :﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[النحل:٢٣].

وكل من استكبر عن قبول الحق لم ينفعه إيمانه، كما فعل إبليس، بل هو كافر كما قال سبحانه :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[البقرة: ٣٤].

ومن استكبر عن قبول الحق فمصيره إلى النار: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: قال الله ﷻ: «العظمةُ إزاري، والكبرياءُ ردائي، فمَن نازعَني واحدًا منهما، ألقيته في النَّارِ» أخرجه مسلم وابن ماجة [١].

والمستكبر لا يدخل الجنة.

قال النبي ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ من كانَ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ مِن كِبرٍ» أخرجه مسلم [٢].

الثاني والثلاثون: من تروك الاعتقاد: ترك العجب والفخر والخيلاء.

فمن ترك ذلك امتثالًا لأمر الله فهو في عبادة، والله يحبه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

وقال النبي ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» متفق عليه [٣].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أَحَد» أخرجه مسلم [٤].

الثالث والثلاثون: ترك اليأس من روح الله:

واليأس هو قطع الرجاء والأمل بالله، وذلك من الكفر بالله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) وأبن ماجة برقم (٤١٧٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٩) ومسلم برقم (٢٠٨٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥٦).

وإذا ضعف إيمان العبد بالله، أعرض عن الطاعة عند النعمة، وأصابه اليأس من الفرج عند المصيبة: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء:٨٣].

وهذه حال الكافر كما قال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾ [هود:٩].

وسبب اليأس هو الشيطان الذي يزين للعبد المعصية، ثم يئيسه من رحمة الله بعد وقوعه فيها، فيزداد إثمًا بعد إثم، وإساءةً بعد إساءة.

الرابع والثلاثون: من تروك الاعتقاد: ترك القنوط من رحمة الله:

والقنوط من رحمة الله هو اليأس من قدرة الله على تفريج الكربات، وهذا من أعظم الضلال والجهل بأسماء الله وصفاته وقدرته: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر:٥٦].

فالكافر والجاهل إذا أصابه الضر من مصيبة أو مرض ييأس من فرج الله، ويقنط من رحمة الله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت:٤٩].

وسبب القنوط من رحمة الله هو الشيطان الذي يوقع العبد في أنواع المعاصي، ثم يقنطه من رحمة الله بعد فعلها: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم: ٣٦].

وعلاج القنوط من رحمة الله هو التوبة إلى الله مهما كانت الذنوب: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

الخامس والثلاثون: ترك موالاة الكفار:

فتجب البراءة من الكفار والمشركين، وتجب عداوتهم وبغضهم، لكفرهم بالله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾[المائدة:٥١].

فمن تولى الكفار والمشركين أخذ حكمهم، وأصبح مثلهم في كفرهم وشركهم

السادس والثلاثون: ترك التشاؤم والتطير :

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه فهو في عبادة يؤجر عليها .

قال النبي ﷺ: «لا عَدوى ولا طِيَرةَ وأُحِبُّ الفألَ ، قالوا يا رَسولَ اللهِ: وما الفَألُ ؟ قالَ : الكلِمةُ الطَّيِّبةُ» أخرجه أبو داود(١).

السابع والثلاثون: ترك الأمن من مكر الله :

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها :﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾[الأعراف:٩٩].

الثامن والثلاثون: ترك بغض الإسلام والمسلمين، أو بغض شيء من الدين:

فمن ترك ذلك فهو في عبادة يؤجر عليها من ربه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[النساء: ٦٥].

التاسع والثلاثون: ترك حسد الخلق على النعم الدنيوية والأخروية :

والحسد تمني زوال نعمة الله عن المحسود، والحسد كفر، لما فيه من الاعتراض على قدر الله وقسمته :﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ٥٥﴾[النساء: ٥٤-٥٥].

---

(١) أخرجه ابو داود برقم (٣٩١٦) وأصله في الصحيحين.

وقد أمر الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ أن يستعيذ بالله من الحسد، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق:١ -٥].

فمن رضي بقسمة الله على عباده فهو في عبادة، ومن ترك الحسد، لأن الله ﷻ نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها.

الأربعون: ترك طول الأمل في الدنيا:

فمن ترك ذلك ،لأن الله نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[فاطر:٥-٦].

ومن تروك الاعتقاد :

ترك وصف الله بغير ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، وترك تعليق التمائم على الرقاب والسيارات، وترك التبرك بالأحجار والأشجار، وترك الذهاب إلى الكهان والعرافين... وغير ذلك من عبادات التروك القلبية.

فمن ترك ذلك، ابتغاء مرضاة الله ﷻ، فهو في عبادة يؤجر عليها :﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

اللهم آت نفوسنا تقواها،وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الثاني : عبادات التروك

العبادة الثانية

تروك الأقوال

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

١ - ترك القول على الله بلا علم

٢ - ترك التألّي على الله عز وجل

٣ - ترك شهادة الزور

٤ - ترك السَّب والشتم واللعن

٥ - ترك اللغو في الكلام

٦ - ترك القذف

٧ - ترك إشاعة الفاحشة

٨- ترك السخرية والاستهزاء بالناس

٩- ترك الغيبة والنميمة

١٠- ترك الكذب

١١- ترك القيل والقال في المجالس

١٢- ترك الإحداث في الدين

١٣- ترك كثرة السؤال عما لا يعني ولا ينفع

١٤- ترك الدعوة إلى الضلال

١٥- ترك المراء والجدال

١٦- ترك سبِّ الدهر

١٧- : ترك إفشاء السرّ

١٨- ترك الخوض في الباطل

١٩- ترك فضول الكلام

٢٠- ترك الغناء

٢١- ترك الافتراء والبهتان

٢٢- ترك الشماتة بالناس

القسم الثاني من عبادات التروك

تروك الأقوال

العبادات الشرعية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: عبادات الأفعال؛ وهي نوعان:

الأول: عبادات قلبية:

كتوحيد الله، والإيمان به، وحبِّ الله، والتوكل عليه، وغيرها من العبادات القلبية.

الثاني: عبادات بدنية:

كالوضوء والصلاة، والصوم، والحج، وغيرها من أنواع العبادات، وقد جمع الله هذه وهذه في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

القسم الثاني: عبادات التروك:

وهي التعبد لله بترك كل شيءٍ نهى الله عنه؛ كترك الكفر والشرك، والكبر والحسد، وترك الزنا والربا،... ونحو ذلك، كما قال سبحانه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وعبادات التروك تنقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: تروك الاعتقاد: كترك الكفر والشرك، والنفاق والرياء.

الثاني: تروك الأقوال: كترك السَّبِ واللعن، وشهادة الزور، ونحو ذلك.

الثالث: تروك الأفعال: كترك الزنا، وترك شرب الخمر، ونحو ذلك.

الرابع: تروك الأخلاق: كترك الكِبر والحسد، والظلم والبغي، ونحو ذلك.

فكما يُؤجر العبد ويُثاب على عبادات الأفعال، كذلك يُؤجر ويُثاب على عبادات التروك، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

فالأعمال بالنيات؛ فمن فعل شيئًا ابتغاء مرضات الله، فله أجره عند ربه على فعل تلك العبادات، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

ومن ترك المناهي والمحرمات ابتغاء مرضاة الله، فله أجره عند ربه على ذلك الترك: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

ولقبول العمل في الأفعال والتروك لا بد من النّية؛ بأن يكون الفعل أو الترك ابتغاء مرضاة الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وقال النبي ﷺ: " إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ ما نوَى ". متفق عليه(١).

والقلوب محل الإيمان والكفر، ومحل الحب والبغض، ومحل التصديق والتكذيب، وقلب المؤمن يُصدِّق ويتيقَّن، ويأمر وينهى، واللسان والجوارح عبيدٌ له، منقادةٌ له، تنفذ ما أمرها به القلب من خيرٍ أو شرٍّ، من قولٍ أو فعلٍ، من

(١) متفق عليه، أخرجهالبخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧) .

طاعةٍ أو معصيةٍ، فإن كان القلب صالحًا صلحت معه الجوارح، وإن كان القلب فاسدًا فسدت معه الجوارح: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال النبي ﷺ:" ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ ". متفق عليه[1].

وعبادات الأقوال في الشريعة كثيرةٌ جدًا، فكل ذكرٍ أو قولٍ أمر الله به فهو من عبادات الأقوال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وتروكات الأقوال في الشريعة كثيرةٌ جدًا، فكل قولٍ نهى الله عنه فتركه عبادة لله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

ومن تروكات الأقوال التي نهى الله ورسوله عنها مايلي:

الأول: ترك القول على الله بلا علم:

فمن ترك القول على الله بلا علم فهو في عبادة، لأن القول على الله بلا علم من أعظم الذنوب التي حرّمها الله، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف:٣٣].

والقول على الله بغير علم هو أعظم الكذب؛ الذي توعَّد الله صاحبه بالعذاب الأليم، لما فيه من الجرأة على الله بالكذب والافتراء:﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[النحل:١١٦-١١٧].

والعبد إذا قال على الله الحق الذي أنزله فهو مأجور؛ لأنه بلّغ عن الله الحق الذي أمره بإبلاغه، وإذا ترك القول على الله بغير علم فهو مأجور؛ لأنه سكت عن الباطل الذي يجب السكوت عنه.

والقول على الله بغير علم ذنبٌ عظيمٌ كالشرك بالله؛ بل هو أعظم من الشرك، لما فيه من الشرك، والعلّو، والافتراء، والكذب:﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[الزمر:٣٢].

الثاني: ترك التألّي على الله عز وجل:

فالإقسام على الله أن يفعل كذا أو كذا جرأةٌ على الله، ونقصٌ في التوحيد، وضعفٌ في الإيمان، لأن ذلك مما لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له، فلا يجوز للمسلم أن يقول لأخيه المسلم العاصي: والله لن يغفر الله لك، أو لن يُدخلك الجنة أبدًا، أو والله إنك ستدخل النار لما في ذلك من القول على الله بغير علم، ولما فيه من حجر رحمة الله الواسعة .

قال النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا قالَ: واللهَّ لا يَغْفِرُ اللهُّ لِفُلانٍ، وإنَّ اللهَّ تَعالَى قالَ: مَن ذا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أخرجه مسلم (١).

فمن ترك التألّي على الله لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادة يؤجر عليها.

الثالث: ترك شهادة الزور:

فشهادة الزور من أعظم الكبائر، لما فيها من ظلم للمشهود عليه بالزور، فالواجب على المسلم الحذر من شهادة الزور، ومن ترك شهادة الزور امتثالًا لأمر الله، فهو في عبادة، ومن أطاع الله في أمره ونهيه فهو في عبادة، والله يقول: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

وقال النبي ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللهَّ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيتَهُ سَكَتَ» متفق عليه (٢).

فعلى المسلم أن يترك شهادة الزور ولا يشهد إلا بالحق فقط: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦].

الرابع: ترك السَّب والشتم واللعن:

فمن ترك ذلك امتثالًا لأمر الله ورسوله، فهو في عبادة، فالسَّب والشتم واللعن من منكرات الأقوال التي حرمها الله ورسوله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤) ومسلم برقم (٨٧).

يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب:٥٨].

وقال النبيّ ﷺ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» متفق عليه(١).

والسَّب والشتم واللعن يورث الأحقاد والضغائن، والعداوة والبغضاء، وذلك من كبائر الذنوب، والمسلم مأمور بالقول الحسَن الذي يؤلّف القلوب، ويجمع الشمل: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣].

ومن أعظم السَّب أن يلعن الرجل والديه، واللعن أشد حُرمةً من السَّب .

قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ..فيسبأمه» متفق عليه(٢).

ولعن المسلم كقتله في الإثم .

قال النبي ﷺ: «ومن لعن مؤمنا فهو كقتله» متفق عليه(٣).

فليس المؤمن بالطَّعَّان ولا باللعَّان، ولا بالفاحش ولا بالبذيء، ومن ترك ذلك ابتغاء مرضاة الله فله أجرٌ من ربه، كما أن له أجر على إحسان القول والعمل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال ﷻ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣].

الخامس: ترك اللغو في الكلام:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨) ومسلم برقم (٦٤) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧٣) ومسلم برقم (٩٠) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٧) ومسلم برقم (١١٠) .

واللغو ما لا فائدة فيه من الكلام، واللغو كله من الكلام الباطل الذي أمرنا الله بالابتعاد عنه، ومن صفات المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون:١-٣].

ومن صفات عباد الله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان:٧٢].

والواجب على المسلم حفظ أوقاته بذكر الله، وتعلم العلم الإلهي، والعمل بموجب ذلك، والبعد عن اللغو وما لا فائدة منه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال النبي ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقومونَ منْ مجْلسٍ لاَ يَذكُرُون الله تَعالَى فِيهِ إِلاَّ قَاموا عَنْ مِثلِ جيفَةِ حِمَارٍ وكانَ لَهُمْ حَسْرَةً» أخرجه أبو داود والنسائي(١).

السادس: ترك القذف:

والقذف بالزنا ذنبٌ عظيم، بل هو إحدى السبع الموبقات المهلكات .

قال النبي ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قيل يا رَسولَ اللهَّ: وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللهَّ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهَّ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، وأَكْلُ الرِّبَا، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤْمِناتِ» متفق عليه(٢)

ومن قذف امرأة محصنة حرة عفيفة فهو ملعون في الدنيا والآخرة، وله عذابٌ عظيم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور:٢٣-٢٤].

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود برقم (٤٨٥٥) والنسائي برقم (١٠٢٤١) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦) ومسلم برقم (٨٩) .

وعلى القاذف حد القذف في الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾[النور: ٤-٥].

فمن قذف امرأة بالزنا؛ إن أتى ببيّنة وهي أربعة شهود، أقيم على المرأة حد الزنا، وإن لم يأت ببيّنة أقيم على القاذف حد القذف وهو ثمانون جلدة.

والقذف بالزنا: كبيرة من كبائر الذنوب، فيجب على المسلم أن يطهر لسانه منها، وأن يحترم أعراض المسلمين، ولا يخوض فيها.

قال النبي ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيرًا، أو لِيَصْمُتْ» متفق عليه(١).

السابع: ترك إشاعة الفاحشة:

والفاحشة ما عَظُمَ قُبْحُه من الأقوال والأفعال، وقد توعَّد الله من أحب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين بالعذاب الأليم، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾[النور: ١٩].

وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا يكون بنشر الأفلام الخبيثة، والصور الداعرة، وإغراء الرجال بالنساء، لإيقاعهم في الرذيلة، فمن فعل ذلك فهو آثم، ومن أحب ذلك فهو آثم، ومن ترك إشاعة الفاحشة، لأن ربه نهاه عن ذلك، فهو مثابٌ ومأجور، والواجب على المسلم أن يحفظ لسانه عن الخَنا والفواحش، وأن يسعى لنشر الفضائل بين الناس، وأن يكُفّ لسانه عن الوقوع في أعراض

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٧).

المسلمين، ويشغل لسانه بذكر الله، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

وقال النبي ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيرًا، أوليَصْمُتْ» متفق عليه(١).

الثامن: ترك السخرية والاستهزاء بالناس:

فالسخرية والاستهزاء بالناس ظلم قبيح من الإنسان لأخيه، وعدوان على كرامته، وإيذاء لنفسه وقلبه، وقد نهى الله المسلمين عن ذلك، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾ [الحجرات:١١].

فيحرُم على المسلم الاستهزاء والسخرية بإخوانه المؤمنين، سواء في خَلقهم أو خُلقهم، أو بسبب تمسُّكهم بدينهم، وذلك من صفات المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [التوبة:٧٩].

وأعظم أنواع السخرية والاستهزاء الاستهزاء بالله ورسله ودينه، وذلك كفرٌ بالله ﷻ، كما قال الله عز وجل عن المنافقين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٦٦﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٧).

فالاستهزاء والسخرية بالناس من كبائر الذنوب، وترك الاستهزاء والسخرية بالناس امتثالًا لنهي الله عن ذلك عبادة من العبادات، يُؤجَر عليها العبد: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ١-٤].

التاسع: ترك الغيبة والنميمة:

فالغيبة ذِكرُ مساوئ الإنسان التي فيه في غيبته، والبُهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه، والنميمة نقل الكلام السيئ بين الناس، فهي غيبة ونميمة، وقد نهى الله عباده عن الغيبة والنميمة لما فيهما من تمزيق أواصر الأخوّة والمحبة بين المؤمنينفقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٢-١٣].

وقد حذّر النبي ﷺ من الغيبة بقوله: «أَتَدْرُونَ مَا الغِيبةُ؟ قَالُوا: اللهَّ ورسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِما يكْرَهُ،قِيل: أَفرأَيْتَ إِنْ كَانَ في أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ:إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تقُولُ فَقَدِ اغْتَبْته، وإِنْ لَمْ يكُن فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بهتَّهُ» أخرجه مسلم [١].

وحذّر النبي ﷺ من النميمة بعدة أحاديث منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ رَسُولُ اللهَّ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَالَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ اثْنَيْنِ فَغَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مالم ييبسا» متفق عليه [٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١٦) ومسلم برقم (٢٩٢).

فمن ترك الغيبة والنميمة، لأن الشرع نهى عنهما، فقد أطاع الله ورسوله، وتعبّد لله بهذا الترك: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾[الأحزاب:٧١].

العاشر: ترك الكذب:

فكما أن الصدق يهدي إلى البِرّ، والبِرّ يهدي إلى الجنة، فكذلك الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» متفق عليه[(١)].

الكذب من كبائر الذنوب وأقبح القبائح، وأعظم الكذب الكذب على الله،ثم الكذب على رسوله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ۝١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١٧﴾[النحل:١١٦-١١٧].

والكذب من صفات المنافقين.

وقال النبي ﷺ: «آيةُ المُنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا ائْتُمِنَ خان» متفق عليه[(٢)].

فيجب على المسلم أن يحفظ لسانه، ولا يقول إلا صدقاً، لينال من ربه الأجر على الصدق، ويحذر الكذب، لما فيه من عظيم الإثم .

قال النبي ﷺ: «كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» أخرجه مسلم[(٣)].

الحادي عشر: ترك القيل والقال في المجالس:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٣) ومسلم برقم (٢٦٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣) ومسلم برقم (٥٩) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤) .

فالمجالس فرصة للازدياد من الخير، وتعلّم العلم، والانتفاع بالمواعظ، ومن اشتغل في المجالس بالقيل والقال، والأحاديث النبي لا زِمام لها ولا خِطام فهو آثم؛ لأن ذلك من إضاعة الأوقات فيما يضرّ ولا ينفع، ولهذا نهى الله عن القيل والقال في المجالس بقوله: ﴿ **لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴿١١٤﴾ ﴾[النساء: ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» متفق عليه(١).

والقيل والقال: هو الكلام فيما لا يعني، وإذاعة أخبار الناس بلا تثبُّت ولا تحفُّظ، فمن ترك ذلك ابتغاء مرضاة الله، فهو في عبادة، وإن شغل وقته بذكرٍ أو موعظةٍ فهو في عبادة أخرى.

قال النبي ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيْرًا، أو لِيَصْمُتْ» متفق عليه(٢).

الثاني عشر: ترك الإحداث بالدين.

فالعمل بالدين كما جاء عن الله ورسوله عبادة، والإحداث في الدين مما لم يشرعه الله ورسوله بدعةٌ مردودةٌ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» أخرجه مسلم(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٧٧) ومسلم برقم (٥٩٣) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٧) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨) .

وقال النبي ﷺ: «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ منهُ، فَهو رَدٌّ» متفق عليه[1].

فمن ترك الإحداثَ في الدين، امتثالًا لنهي الله ورسوله عنه، فله أجر وثواب على هذا الترك، كما أن له أجر وثواب على العمل بالدين .

فسبحان الله الكريم الذي يعطي الأجور العظيمة على فعل الأوامر الشرعية، ويعطي الأجر العظيم على ترك المناهي الشرعية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

الثالث عشر: ترك كثرة السؤال عما لا يعني ولا ينفع

مثل السؤال عن المسائل التي يندر وقوعها، والسؤال عن المسائل العويصة التي لاتنفع المسلمين، وكثرة السؤال عن أخبار الناس، وأحداث الزمان، والسؤال عن خصوصيات الإنسان التي يكره أن يطَّلِع الناس عليها، والسؤال عما لا يعنيه ولا شأن له به، وسؤال الناس أموالهم تكثّرًا، فكل ذلك من الأمور المذمومة التي نهى الإسلام عنها.

قال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قيلَ وَقالَ، وإضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» متفق عليه[2].

وقال ﷺ: «مَن سَأَلَ النَّاسَ أمْوالَهُمْ تَكَثُّرًا، فإنَّما يَسْأَلُ جمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ، أوْ لِيَسْتَكْثِرْ» أخرجه مسلم[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٧٧) ومسلم برقم (٥٩٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٠٤١).

والعبد إذا ترك كل ذلك امتثالًا لأمر الله، فهو في عبادة يؤجر عليها، والله سبحانه يعطي الأجر على فعل الأوامر، وعلى ترك المناهي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

الرابع عشر: ترك الدعوة إلى الضلال:

فالدعوة إلى الهدى عبادة مأمور بها، وفيها ثواب عظيم، وترك الدعوة إلى الضلال عبادة فيها ثواب عظيم، والدعوة إلى الضلال جريمة فيها إثم عظيم؛ لما فيها من مضادة الله ورسوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: «فو الله لأنْ يهْدِيَ اللهُ بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إلى هُدًى كان لهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أجورِ مَنْ تَبِعهُ لا يَنقُصُ ذلك مِنْ أجُورِهم شيئًا، ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كان عليه مِنَ الإثمِ مثلُ آثامِ مَنْ تَبِعهُ لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ آثامِهم شيئًا» أخرجه مسلم(٢).

وكل مسلم مأمور بالدعوة إلى الحق، وترك الدعوة إلى الباطل، وله أجر على فعل هذا، وترك هذا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الخامس عشر: ترك المراء والجدال:

وقد ذمّ الله المراء والجدال، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠) ومسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

والجدل: هو المِراء والمُلاحات حتى تغضب أخاك أو صاحبك، والمراء والجدل من فضول الكلام الذي قد يؤدي إلى التكفير والتفسيق، والتشَّفي من الآخرين، ويؤدي إلى إنكار الحق ورده، ويؤدي إلى الكذب والتطاول والتراشق بالألسنة بين الأصحاب، ولهذا نهى الله ورسوله عنه، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾[البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إلى اللهَّ الأَلَدُّ الخَصِمُ» متفق عليه(١).

فمن ترك المراء والجدل والخصومة امتثالًا لأمر الله، أثابه الله على تركه، وشغل أوقاته بما ينفعه ويسعده في دنياه وأخراه.

والجدال من صفات الكفار فعلى المسلم الحذر منه: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾[غافر: ٤].

السادس عشر: ترك سبِّ الدهر:

فسبُّ الدهر أذية لله، وإغضاب لله، لأن الدهر بأيامه ولياليه مخلوقٌ ليس بيده شيء، فالأمر كله بيد الله وحده؛ فمن سَبَّ الدهر فقد سَبَّ الله الذي خلقه ودبَّره، فالأيام والليالي ليس في يدهما عطاء ولا منع، ولا شدة ولا رخاء، ولا خير ولا شر، بل هما آيتان من آيات الله سخرهما الله لعباده: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾[القصص:٧٣].

فمن سبَّ الدهرَ فهو آثم، ومن ترك سبَّ الدهرِ فهو مثاب من ربه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٧) ومسلم برقم (٢٦٦٨).

قال النبي ﷺ: «قال الله ﷻ: يُؤذيني ابن آدم؛ يسبُّ الدهر، وأنا الدهر، أُقلِّب الليل والنَّهار» متفق عليه[1].

فالواجب على المسلم عند المصائب ألا يسبَّ الدهر، بل يقول: قدّر الله وما شاء فعل، وإنا لله وإنا إليه راجعون كما قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

السابع عشر: ترك إفشاء السرّ:

فإفشاء الأسرار محرم، لأن الأسرار من الأمانات والعهود التي يجب المحافظة عليها، ومن أفشى السر فقد خان الأمانة، ونقص العهد، سواء أفشى أسرار المسلمين إلى الكفار، أو أفشى الأسرار التي بينه وبين زوجته، أو غير ذلك مما أؤتمن عليه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34)﴾ [الإسراء: ٣٤].

وإذا كان الحفاظ على السِّرّ أمرًا واجبًا، فإن إفشاء السِّرّ حرامٌ يجب على العبد التوبة منه فورًا: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (4)﴾ [التحريم: ٣-٤].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وتُفْضِي إِلَيْهِ، ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا» أخرجه مسلم[2].

وإفشاء الأسرار من علامات المنافقين.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٩١) ومسلم برقم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٤٣٧).

قال النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتمِنَ خَانَ، وإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» متفق عليه(١).

الثامن عشر: ترك الخوض في الباطل:

فالعمل بالحق عبادة، وترك الخوض في الباطل عبادة؛ لما فيه من صيانة العبد عن الآثام، ولهذا حذرنا الله ﷻ من مجالسة من يخوضون في الباطل بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨﴾ [الأنعام:٦٨].

فالخوض في الباطل من أعظم آفات اللسان، والخوض في الباطل محرم، وهو كل كلامٍ ينشأ عنه تحريك الشهوات، وإثارة الغرائز، أو الغيبة والنميمة، أو الطعن في الناس، وحكايات البدع، والمذاهب الفاسدة، وترديد الشائعات، وإثارة الشبهات ونحو ذلك من صور الباطل التي نهى الله عنها بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾ [النساء:١٤٠].

فالكلام في نشر الحق عبادة، وترك الخوض في الباطل عبادة .

فعلى المسلم أن يحفظ لسانه، ولا يتكلم إلا بميزان الشرع، وما فيه مصلحة، وإلّا فليسكت فهو أسلم له .

قال النبي ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيرًا، أو لِيَصْمُتْ» متفق عليه(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٩) ومسلم برقم (٥٨) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٨) .

وقال النبي ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم» أخرجه البخاري (1).

التاسع عشر: ترك فضول الكلام:

وفضول الكلام: هو الكلام فيما لايعني ولا ينفع، كإهدار الأوقات في حكايات وأحوال لا فائدة فيها، ولا حاجة إليها، فالخوض فيما لايعني العبد مذموم، وكذا إضاعة الأوقات فيما لا يعني مذموم، فالواجب على العبد حفظ الأوقات بالكلام عما فيه مصلحة للناس، وترك فضول الكلام: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والاشتغال بما ينفعه من الكلام الطيب، والقول الحسن من ذكر الله، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤٢].

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

العشرون: ترك الغناء:

فالغناء وسماع الأغاني كل ذلك محرم ومنكر، وذلك من أسباب مرض القلوب وقسوتها، وصدها عن ذكر الله، وعن الصلاة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٨).

ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧﴾[لقمان:٦-٧].

وإذا اقترن الغناء بآلات اللهو كالمعازف والعود والموسيقى، صار التحريم أشد، والذنب أعظم، والعقاب أكبر .

قال النبي ﷺ:«لَيَكونَنَّ مِن أُمَّتي أقْوامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ والحَرِيرَ، والخَمْرَ والمَعازِفَ» أخرجه البخاري معلقاً(١).

ومن ترك الغناء وسماعه فهو في عبادة، كما أن من قرأ القرآن وسمعه فهو في عبادة، ومن اشتغل بالغناء أو سماعه فهو آثم .

فاللهم أرنا الحق حقًا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، وارزقنا اجتنابه.

الحادي والعشرون: ترك الفخر بالأحساب، وترك الطعن في الأنساب، وترك الاستسقاء بالنجوم، وترك النياحة على الميت.

فمن ترك ذلك كله ابتغاء مرضاة الله، وخوفًا من عقابه، ورغبةً في ثوابه، فهو في عبادة يؤجر عليها:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[الحشر:٧].

وقال النبي ﷺ:«أَرْبَعٌ في أُمَّتي مِن أمْرِ الجاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأحْسابِ، والطَّعْنُ في الأنْسابِ، والاسْتِسْقاءُ بالنُّجُومِ، والنِّياحَةُ» أخرجه مسلم(٢).

الثاني والعشرون: ترك الافتراء والبهتان:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها، كما أن من افترى أو بهَتَ أحدًا فهو آثم مستحقٌ للعقوبة: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ

---

(١) أخرجه البخاري معلقا برقم (٥٥٩٠) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٣٤) .

﴿هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾[النحل:١١٦-١١٧].

الثالث والعشرون: ترك الشماتة بالناس:

فمن ترك الشماتة بالناس، لأن الدين نهى عن ذلك، فهو في عبادة، كما أن من اشتغل بالشماتة والسخرية والاستهزاء، فهو آثم مستحق للعقوبة:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾[الحجرات:١١].

ومن تروك الأقوال التي يتعبّد المسلم لربه بتركها:

ترك الثرثرة، والتّشدُّق في الكلام، وترك الكلام فيما يُسخط الله، ونحو ذلك من تروك الأقوال التي نهى الله عنها، فمن ترك ذلك كله تعبُّدًا لله، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها، كما وصف الله أولياءه بقوله:﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾[الشورى:٣٦-٣٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾[الممتحنة:٤].

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥﴾[الممتحنة:٥].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الثاني : عبادات التروك

العبادة الثالثة

تروك الأفعال

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأولى : ترك دعاء غير الله ﷻ.

الثانية: ترك قتل النفس بغير حق.

الثالثة: ترك الزنا.

الرابعة: وترك اللواط.

الخامسة : ترك الانتحار

السادسة : ترك الظلم والعدوان

السابعة : ترك الفواحش والمنكرات

الثامنة : ترك الربا

التاسعة : من تروك الأفعال ترك السرقة والاختلاس، والانتهاب والغصب

العاشرة : ترك الغش

الحادية عشرة : ترك الرشوة

الثانية عشرة : ترك قطع الطريق

الثالثة عشرة : ترك الحكم بغير ما أنزل الله:

الرابعة عشرة : ترك كتمان العلم:

الخامسة عشرة : ترك عبادة الأصنام

السادسة عشرة : ترك نقض العهد

السابعة عشرة : ترك الذبح لغير الله

الثامنة عشرة : ترك الاستغاثة بغير الله

التاسعة عشرة : ترك الاستعاذة بغير الله

العشرون : ترك أكل المحرمات

الحادية والعشرون : ترك سوء الظن، وترك التجسس، وترك الغيبة والنميمة

الثانية والعشرون: ترك التبرك بالمخلوقين من الأشجار، والأحجار، والأشخاص

الثالثة والعشرون : ترك الإفراط والتفريط، والغلو في الدين

الرابعة والعشرون : ترك عقوق الوالدين

الخامسة والعشرون : ترك قطع صلة الأرحام

السادسة والعشرون : ترك الغلول

السابعة والعشرون : ترك شرب الخمر، وترك الميسر والقمار

الثامنة والعشرون : ترك تغيير منار الأرض ومعالمها

التاسعة والعشرون : ترك إسبال الثياب، وترك لبس الحرير والذهب للرجال

الثلاثون : ترك الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة

الحادية والثلاثون : ترك التطفيف في الكيل والوزن

الثانية والثلاثون : ترك تصوير ذوات الأرواح

الثالثة والثلاثون : ترك الإلحاد في الحرم
الرابعة والثلاثون : ترك أذى الناس:
الخامسة والثلاثون : ترك الغدر بالناس
السادسة والثلاثون : ترك الإسراف
السابعة والثلاثون : ترك التبذير
الثامنة والثلاثون : ترك إطلاق البصر في المحرمات
التاسعة والثلاثون : ترك سماع الغناء
الأربعون : ترك التعسير والتنفير
الحادية والأربعون: ترك الخبائث من الأقوال والأفعال، والنجاسات والمحرمات
الثانية والأربعون: ترك بيع وشراء المحرمات .
الثالثة والأربعون : ترك أكل أموال الناس بالباطل .
الرابعة والأربعون : ترك أكل أموال اليتامى .
الخامسة والأربعون : ترك الفسق والفجور والفساد .
السادسة والأربعون : ترك الطغيان والعدوان والعلو في الأرض .
السابعة والأربعون : ترك التولي يوم الزحف .
الثامنة والأربعون : ترك الاحتكار.
التاسعة والأربعون :ترك اليأس والقنوط .
الخمسون : ترك القسوة والغلظة .
الحادية والخمسون : ترك كفران النعم .
الثانية والخمسون : ترك نشر الشائعات .
الثالثة والخمسون : من تروك الأفعال ترك تعذيب الحيوان .
الرابعة والخمسون : ترك الأكل بالشمال، وترك الأخذ والعطاء بالشمال .
الخامسة والخمسون : ترك نكاح المتعة، ونكاح الشغار، وغيرهما من الأنكحة المحرمة .

القسم الثالث من عبادات التروك

تروك الأفعال

وعبادات التروك هي أن يتعبد المسلم لربه بترك كل ما نهى الله ورسوله عنه من الاعتقادات الباطلة، والأقوال السيئة، والأفعال المحرمة، والأخلاق المذمومة، تعبدًا لله ﷻ، لأن الله نهى عنها، وحذّر منها، فيأخذ الأجر من ربه على الترك، كما يأخذ الأجر على فعل العبادات المأمور بها شرعًا، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال النبي ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه(١).

ففعل الأوامر عبادةٌ لله ﷻ، وترك المناهي عبادةٌ لله ﷻ، والله سبحانه يحب الخير لعباده، فيعطيهم الأجور العظيمة على فعل الأوامر التي تنفعهم في دينهم ودنياهم وأخراهم، كالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، وصلة الرحم، والتحلي بمكارم الأخلاق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) و مسلم برقم (١٣٣٧).

ويعطيهم كذلك الأجر والثواب على ترك الكبائر والمحرمات، والفواحش والمعاصي، كما قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء:٣١].

فكل مسلم يأخذ من ربه الأجر والثواب من جهتين:

الأولى: يأخذ الأجر على فعل الأوامر التي أمر الله ورسوله بها.

الثانية: يأخذ الأجر على ترك المناهي التي نهى الله ورسوله عنها.

فلله الحمد والشكر على عطاء الكريم ﷻ، وإحسان الرب إلى خلقه بأنواع الإحسان، حتى يوصلهم بذلك إلى أعالي الجنان: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة:٢٤٣].

والأعمال بالنيات فمن فعل شيئًا من العبادات، ابتغاء مرضاة الله ﷻ، فله أجره عند ربه على فعل تلك العبادات كالصلاة والصوم والزكاة ونحو ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

ومن ترك المناهي والمحرمات، ابتغاء مرضاة الله، فله أجره عند ربه على ذلك الترك: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦].

ولقبول العمل في الأفعال والتروك لا بد من النية، بأن يكون الفعل أو الترك ابتغاء مرضاة الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّما الأعمالُ بالنِّيَّةِ، وإِنَّما لِكُلِّ امرئٍ ما نوَى» متفق عليه(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

وتروك الأفعال في الشريعة كثيرة، وأعظم تروك الأفعال التي يتعبد المؤمن لربه بتركها، وينال الثواب على تركها ما يلي :

الأولى : ترك دعاء غير الله ﷻ.

الثانية: وترك قتل النفس بغير حق.

الثالثة: وترك الزنا.

الرابعة: وترك اللواط.

كما قال سبحانه في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

فمن ترك هذه الأمور الأربعة، ابتغاء مرضاة الله، لأن الله نهى عنها، فهو مأجور، كما أن من فعلها فهو آثم: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

الخامسة : ترك الانتحار :

فقتل النفوس بغير حق من الكبائر، ومن ترك الانتحار خوفًا من الله، وابتغاء مرضاته، فهو مأجوٌر على تركه، كما أنه آثمٌ لو فعله .

قال النبي ﷺ: «مَن تَرَدَّى مِن جبَلٍ فَقتَلَ نَفسَهُ، فَهو في نارِ جهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن تحَسَّى سُمًّا فَقتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نارِ جهَنَّمَ

خَالِدًا مخُلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يجَأُ بِهَا في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مخُلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» متفق عليه[1].

السادسة : ترك الظلم والعدوان:

فمن ترك ذلك خوفًا من الله، واجتنابًا لنهيه، وابتغاء مرضاته، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، لأن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.

وقال النبي ﷺ: «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّةِ، وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ ما نوَى» متفق عليه[2].

فالظلم جناية كبيرة، وعقوبته كبيرة كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ١٩﴾ [الفرقان:١٩].

ومن أعظم الظلم الشرك بالله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان:١٣].

السابعة : ترك الفواحش والمنكرات خوفًا من الله، واجتنابًا لنهيه، وابتغاء مرضاته، وطلبًا لثوابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما قال سبحانه في وصف أوليائه: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ٣٧﴾ [الشورى:٣٧].

الثامنة : ترك الربا:

فلا يأخذه ولا يدفعه خوفًا من الله، واجتنابًا لنهيه، ورغبة في ثوابه، وابتغاء مرضاته، فمن ترك ذاك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ٢٧٩﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٧٨) ومسلم برقم (١٠٩) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧) .

التاسعة: من تروك الأفعال ترك السرقة والاختلاس، والانتهاب والغصب:

فمن ترك ذلك امتثالًا لأمر الله، واجتنابًا لنهيه، وطلبًا لمرضاته، وابتغاءً لثوابه، فهو في عبادةٍ، وله أجرٌ من ربه، كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾[المائدة:٣٨].

العاشرة: ترك الغش:

فمن تركه لأن الإسلام نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من غش الخلق فهو آثم، ومن غش فقد نفى عنه رسول الله ﷺالإيمان بقوله: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا» أخرجه مسلم(١).

الحادية عشرة: ترك الرشوة:

ترك أخذ الرشوة، وترك إعطاء الرشوة، عبادة يؤجر عليها العبد، كما أن أخذ الرشوة، وإعطاء الرشوة، ذنب عظيم، صاحبه ملعون على لسان نبي اللهمحمدﷺ.

عن أبي هرير رضي الله عنه: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِي وَالمُرْتَشِي» أخرجه أبو داود والترمذي(٢).

الثانية عشرة: ترك قطع الطريق:

وقطع الطريق على الناس كبيرةٌ من كبائر الذنوب، ومن ترك قطع الطريق، لأن الله نهى عن ذلك، ورغبةً في ثواب الله، وخوفًا من عقابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن قاطع الطريق مرتكبٌ لجريمةٍ سوف يحاسب عليها في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٥٨٠) والترمذي برقم (١٣٣٧).

فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة:٣٣-٣٤].

الثالثة عشرة : ترك الحكم بغير ما أنزل الله:

فمن ترك الحكم بغير ما أنزل الله، لأن الله نهى عن الحكم بغير ما أنزل، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافرٌ أو ظالمٌ أو فاسقٌ،بحسب نيته كما قال سبحانه :﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[المائدة:٤٤].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾[المائدة:٤٧].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة:٤٥].

الرابعة عشرة : ترك كتمان العلم:

فكاتم العلم عن الناس ملعون، وناشر العلم بين الناس مأجور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠].

فكما أن نشر العلم عبادة، فكذلك ترك كتمان العلم عبادة .

الخامسة عشرة : ترك عبادة الأصنام :

فمن ترك عبادة الأصنام، وعبد الله وحده، لأن الله أمر بعبادته وحده، ونهى عن عبادة ما سواه فهو مأجور :﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ

﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر:١٧-١٨].

السادسة عشرة: ترك نقض العهد:

فمن وفّى بالعقود والعهود فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، ومن نقض العهود والعقود فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة، ومن ترك نقض العهد، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾[الرعد:٢٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾[الإسراء:٣٤].

السابعة عشرة: ترك الذبح لغير الله:

فمن ذبح لغير الله فهو مشرك، ومن ذبح لله فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، ومن ترك الذبح لغير الله، فهو في عبادةٍ ينال عليها الأجر من ربه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

الثامنة عشرة: ترك الاستغاثة بغير الله:

فمن استغاث بالله فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، ومن استغاث بغير الله فهو مشرك، ومن ترك الاستغاثة بغير الله فهو في عبادة: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾[الأنفال:٩].

التاسعة عشرة: ترك الاستعاذة بغير الله:

فالاستعاذة بالله ﷻ من كل شر عبادة من العبادات، والاستعاذة بغير الله شرك، وترك الاستعاذة بغير الله عبادةٌ لله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾[الأعراف:٢٠٠].

وكل من استغاث بغير الله خذل من جهته :﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾[الجن:٦].

العشرون : ترك أكل المحرمات .

كالميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما لم يذكر اسم الله عليه ،فمن ترك أكل هذه المحرمات وأمثالها، لأن الله نهى عنها، وخوفًا من عقابه ورغبة في ثوابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من أكلها فهو آثمٌ مخالفٌ لأمر الله ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٧٣﴾[البقرة:١٧٢-١٧٣].

الحادية والعشرون : ترك سوء الظن، وترك التجسس، وترك الغيبة والنميمة

فمن ترك ذلك تعبدًا لله ﷻ، واجتنب ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾[الحجرات:١٢-١٣].

الثانية والعشرون : ترك التبرك بالمخلوقين من الأشجار والأحجار والأشخاص:

فمن ترك ذلك تعبدًا لله لأن الله، نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها :﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

الثالثة والعشرون من تروك الأفعال: ترك الإفراط والتفريط، والغلو في الدين:

فمن امتثل أوامر الله كما جاءت من غير إفراط ولا تفريط، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، ومن زاد فيها، أو نقص منها، ففعله مردودٌ عليه، ومن ترك الإفراط

والتفريط ابتغاء مرضاة الله، وخوفًا من عقابه، وإجلالًا لعظمته، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان:٦٧].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة:٧٧].

الرابعة والعشرون: ترك عقوق الوالدين:

فبر الوالدين والإحسان إليهما من أعظم عبادات القلوب، وعقوق الوالدين والإساءة إليهما من أعظم الذنوب والكبائر، وترك عقوق الوالدين، لأن الله أمر ببرهما، ونهى عن عقوقهما، عبادةٌ يؤجر عليها العبد من ربه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

الخامسة والعشرون: ترك قطع صلة الأرحام:

والأرحام هم الأقارب من جهة الأب، ومن جهة الأم،وهم أصول، وفروع، وحواشي، كالآباء والأمهات، والأبناء والبنات، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأبناؤهم.

فصلة الأرحام عبادةٌ يتقرب بها العبد إلى ربه،لأن الله ﷻ أمر بها، وقطع صلة الأرحام ذنب عظيم يعاقب عليه العبد، وترك قطع صلة الأرحام عبادةٌ يؤجر عليها العبد من ربه: ﴿۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرعد:١٩-٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٤].

السادسة والعشرون: ترك الغلول

سواء كان من الغنائم، أو بيت المال، أو أموال الأمة، فالغلول من ذلك ذنبٌ يعاقب عليه العبد، وترك الغلول عبادةٌ يؤجر عليها العبد: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران: ١٦١].

فسبحان الرب الكريم الذي يعطي على فعل الخير أجرًا، ويعطي على ترك الشر أجرًا: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

السابعة والعشرون: ترك شرب الخمر، وترك الميسر والقمار:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه رغبةً في ثوابه، وخوفًا من عقابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٠-٩٢].

الثامنة والعشرون: ترك تغيير منار الأرض ومعالمها:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو مأجور، كما أن من غيّر منار الأرض فهو ملعون.

قال النبي ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَن لَعَنَ وَالِدَيهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَن

آوَى مُحْدِثًا، ولعنَ اللهُ من غيَّرَ مَنارَ الأرضِ» متفق عليه[1].

التاسعة والعشرون : ترك إسبال الثياب، وترك لبس الحرير والذهب للرجال:

ومن لبس ذلك فهو آثم، ومن ترك لبس ذلك، لأن الله نهى عنه، وتركه ابتغاء مرضاة الله، وطمعًا في ثوابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها.

قال النبي ﷺ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزارِ فَفِي النَّارِ» أخرجه البخاري[2].

وقال النبي ﷺ: «لا تلْبَسوا الحريرَ ، فإِنَّ مَنْ لَبِسَهُ في الدنيا لم يلبسْهُ في الآخرَةِ» متفق عليه[3].

وعن علي رضي الله عنه قال :«أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخذَ حريرًا فجعلَهُ في يمينِهِ، وأخذَ ذَهَبًا فجعلَهُ في شِمالِهِ، ثمَّ قالَ : إنَّ هذينِ حرامٌ على ذُكورِ أمَّتي» أخرجه أبو داود والنسائي[4].

الثلاثون : ترك الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة:

فمن ترك ذلك لأن الله نهى عنه فهو في عبادةٍ يؤجر عليها.

قال النبي ﷺ: «لا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ ولَا الدِّيبَاجَ، ولَا تَشْرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولَا تَأْكُلُوا في صِحَافِهَا، فإنَّهَا لهمْ في الدُّنْيَا، ولَنَا في الآخِرَةِ» متفق عليه[5].

الحادية والثلاثون : ترك التطفيف في الكيل والوزن :

فمن ترك ذلك ابتغاء مرضاة الله، وامتثالًا لأمره، واجتنابًا لنهيه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من طفف في الكيل والوزن فهو آثمٌ، مستحقٌ للعقوبة :﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٧٨) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٧) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٨٣٤) ومسلم برقم (٢٠٦٩) .

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٠٥٧) والنسائي برقم (٥١٤٤) .

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤٢٦) ومسلم برقم (٢٠٦٧) .

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ١-٦].

الثانية والثلاثون: ترك تصوير ذوات الأرواح:

فمن ترك ذلك، لأن الشرع نهى عنه، فهو مأجور، كما أن من فعل ذلك، فهو آثمٌ وملعون.

قال النبي ﷺ: «إنَّ أشدَّ النَّاسِ عذابًا عندَ اللهِ المصوِّرونَ» متفق عليه(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قَدِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ مِن سَفَرٍ، وقدْ سَتَرْتُ بقِرَامٍ لي على سَهْوَةٍ لي فِيهَا تمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسولُ اللهِ ﷺ هَتَكَهُ وقالَ: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يومَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بخَلْقِ اللهِ، قالَتْ: فَجَعَلْنَاهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ» متفق عليه(٢).

وقال النبي ﷺ: «إنَّ الَّذينَ يصنَعونَ هذهِ الصُّوَرَ يُعذَّبونَ يومَ القيامةِ فيُقالُ لهُم: أحيوا ما خَلَقتُمْ» متفق عليه(٣).

الثالثة والثلاثون: ترك الإلحاد في الحرم:

فمن ألحد في الحرم فهو ظالمٌ وآثم، والإلحاد الميل عن الحق بالكفر أو ارتكاب المناهي، ومن ترك الإلحاد في الحرم، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾ [الحج: ٢٥].

الرابعة والثلاثون: ترك أذى الناس:

فالإحسان إلى المؤمنين عبادة، والإساءة إليهم جناية، وترك أذاهم، لأن الله نهى عن ذلك عبادةٌ يؤجر عليها العبد، كما أن من آذاهم فهو مذنبٌ ذنبًا يعاقب عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠) ومسلم برقم (٢١٠٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٤) ومسلم برقم (٢١٠٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١٠٥) ومسلم برقم (٢١٠٨).

﴿بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[الأحزاب:٥٨].

الخامسة والثلاثون: ترك الغدر بالناس:

فالغدر بالناس جنايةٌ وجريمة،والغدر أخس الجرائم، وهو ضد الوفاء بالعهد الذي أمر الله بالوفاء به، والغدر نقض العهد في لحظةٍ لم تكن متوقعة ولا منتظرة، وترك الغدر، لأن الله نهى عنه عبادةٌ يؤجر عليها العبد، كما أن الغدر جناية يعاقب عليها العبد: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[الإسراء:٣٤].

وقال النبي ﷺ: «لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يومَ القِيامَةِ، يُقالُ: هذِه غَدْرَةُ فُلانٍ» متفق عليه[1].

السادسة والثلاثون: ترك الإسراف

الإسراف هو صرف الشيء فيما ينبغي، زائداً على ما ينبغي.

سواء كان في الأكل،أوالشرب، أو اللباس، أو السكن، أو المركب ونحو ذلك.

فالإسراف محرم، وترك الإسراف امتثالًا لأمر الله،لأنه الله نهى عنه، عبادةٌ يؤجر عليها العبد، كما أن الإسراف ذنبٌ يعاقب عليه العبد: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[الأعراف:٣١].

السابعة والثلاثون: ترك التبذير:

التبذير هو صرف الشيء فيما لا ينبغي.

فالتبذير محرم، ومن ترك التبذير لأن نهى الله عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن التبذير جناية يعاقب عليها العبد: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[الإسراء:٢٦-٢٧].

الثامنة والثلاثون: ترك إطلاق البصر في المحرمات

كالنساء الأجنبيات بالنسبة للرجل، والرجال الأجانب بالنسبة للمرأة:

فمن غضّ بصره عما حرّم الله عليه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها ،كما أن من أطلق

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٨٦) ومسلم برقم (١٧٣٦).

بصره فيما حرّم الله عليه فهو آثم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[النور: ٣٠-٣١].

التاسعة والثلاثون: ترك سماع الغناء:

فمن ترك ذلك، ابتغاء مرضاة الله، وخوفًا من عقابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من سمع الغناء والمزامير فهو آثمٌ، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾[لقمان: ٦-٧].

وقال النبي ﷺ: «لَيَكونَنَّ مِن أُمَّتي أقْوامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ والحَرِيرَ، والخَمْرَ والمَعازِفَ» أخرجه البخاري معلقاً[١].

الأربعون: ترك التعسير والتنفير:

فمن ترك ذلك، لأن الرسول ﷺ نهى عنهما، فهو في عبادةٍ يثاب عليها، كما أن من عسّر أو نفّر فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة.

قال النبي ﷺ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا» متفق عليه[٢].

الحادية والأربعون: ترك الخبائث من الأقوال والأفعال، والنجاسات والمحرمات:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٥٩٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩) ومسلم برقم (١٧٣٤).

بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة:٢٦٧].

وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الخلَاءَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الخبُثِ وَالخبَائِثِ» متفق عليه[1].

الثانية والأربعون: ترك بيع وشراء المحرمات:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها ،كما ان من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

الثالثة والأربعون : ترك أكل أموال الناس بالباطل :

فمن ترك ذلك لأن الله نهى عن ذلك فهو في عبادةٍ يؤجر عليها ،كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة : ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة:١٨٨].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ دِماءَكُم، وأمْوالَكم وأعراضَكُم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمة يومِكُم هَذَا، في شهرِكُمْ هَذَا، في بلَدِكُم هَذَا» متفق عليه[2].

الرابعة والأربعون : ترك أكل أموال اليتامى:

فمن ترك أكل أموال اليتامى، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من أكل أموالهم آثمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًاۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء:١٠].

الخامسة والأربعون : ترك الفسق والفجور والفساد:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك، فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٢) ومسلم برقم (٣٧٥) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤٠٦) ومسلم برقم (١٦٧٩) .

ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[القصص:٧٧].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف:٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾[البقرة: ٥٩].

السادسة والأربعون : ترك الطغيان والعدوان، والعلو في الأرض :

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك فهو مجرمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[هود:١١٢ -١١٣].

السابعة والأربعون : ترك التولي يوم الزحف:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من تولى يوم الزحف، فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾[الأنفال:١٥ -١٦]

الثامنة والأربعون : ترك الاحتكار:

والاحتكار هو احتكار السلع وحبسها حتى يرتفع سعرها ثم يبيعها على الناس بغلاء، فمن ترك ذلك، لأن النبي ﷺ نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من احتكر فهو آثمٌ ومخطئٌ ومستحقٌ للعقوبة .

قال النبي ﷺ: «مَنِ احْتَكَرَ فَهو خاطِئٌ» أخرجه مسلم(١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٠٥) .

التاسعة والأربعون :ترك اليأس والقنوط:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن اليأس والقنوط، فهو في عبادةٍ يثاب عليها، كما أن اليأس والقنوط صاحبه آثم :﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

واليأس والقنوط من صفات الكفار، كما قال سبحانه عن يعقوب أنه قال لأولاده:﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف:٨٧].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[الحجر:٥٦].

الخمسون : ترك القسوة والغلظة :

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب القسوة والغلظة آثمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[الزمر:٢٢].

الحادية والخمسون : ترك كفران النعم:

فشكر النعم واجب، وكفران النعم محرم، وترك كفران النعم، لأن الله نهى عنه عبادةٌ يؤجر عليها العبد، كما أن كفران النعم ذنب عظيم يعاقب عليه العبد :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾[إبراهيم:٢٨-٢٩].

الثانية والخمسون : ترك نشر الشائعات والفواحش:

فنشر الشائعات فتنةٌ عظيمةٌ تفتك بالأمة، وتفرق الجمع، ومن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن إشاعة أسرار المسلمين، وإشاعة الأكاذيب من أخطر الفتن على الأمة، وصاحبها آثمٌ مستحقٌ للعقوبة، فالفتنة أشد من القتل، وأكبر من القتل، لعظيم خطرها وعموم ضررها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا

تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور:١٩].

الثالثة والخمسون : من تروك الأفعال ترك تعذيب الحيوان

سواءً كان بالضرب أو الجوع أو الإحراق أو الإغراق أو سوء الذبح ونحو ذلك:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ [البقرة:١٩٠].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» أخرجه مسلم(١).

الرابعة والخمسون : ترك الأكل بالشمال، وترك الأخذ والعطاء بالشمال:

فمن ترك ذلك، لأن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك، فهو عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ متشبهٌ بالشيطان.

قالت عائشة رضي الله عنها: «كانَ النبيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، في تَنَعُّلِهِ، وتَرَجُّلِهِ، وطُهُورِهِ، وفي شَأْنِهِ كُلِّهِ» متفق عليه(٢).

وقال النبي ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» أخرجه مسلم(٣).

الخامسة والخمسون : ترك نكاح المتعة، ونكاح الشغار وغيرهما من الأنكحة المحرمة:

ونكاح المتعة هو أن يتزوج المرأة إلى مدةٍ محدودة،وترك نكاح الشغار، وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته،وترك نكاح المحلل، وهو أن يتزوج الرجل المطلقة ليحللها لزوجها الذي طلقها ثلاثاً، ثم يطلقها.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦٨) ومسلم برقم (٢٦٨).

(٣)أخرجه مسلم برقم (٢٠٢٠).

وقد «لعنَ رسولُ اللهِ ﷺ المحلِّلَ، والمحلَّلَ لَهُ» أخرجه الترمذي وأبو داود(١).

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نهى عنِ الشِّغَارِ. قال مالِكٌ: والشِّغارُ أنْ يَقولَ: «أَنكِحْني ابنتَكَ، وأُنكِحُكَ ابنَتي» متفق عليه(٢).

فمن ترك ذلك كله، لأن الشرع حرمه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٢٩].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

وتروك الأفعال عبادةٌ عظيمةٌ تدخل في جميع أبواب الفقه من العبادات، والمعاملات، والمعاشرات، والآداب، والأخلاق.

فهذه بعض تروك الأفعال التي نهى الله ورسوله عنها، فمن تركها تعبدًا لله، لأن الله نهى عنها، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٣-١٤].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١١١٩) وأبو داود برقم (٢٠٧٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١١٢) ومسلم برقم (١٤١٥).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الثاني : عبادات التروك

العبادة الرابعة

تروك الأخلاق

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأولى : ترك الإساءة إلى النفس أو الخلق.

الثانية : ترك الإسراف والتبذير.

الثالثة : ترك الافتراء، والإفك، والبهتان.

الرابعة :ترك إفشاء الأسرار العامة والخاصة

الخامسة : ترك الانتقام.

السادسة : ترك البخل، والشح.

السابعة : ترك البغض والكراهية.

الثامنة :ترك الجبن.

التاسعة :ترك الجزع والحزن.

العاشرة :ترك الجفاء.

الحادية عشرة : ترك الحسد.

الثانية عشرةمن تروك الأخلاق : ترك الحقد، والغل.

الثالثة عشرة :ترك الخبث.

الرابعة عشرة : ترك الخداع.

الخامسة عشرة : ترك الخذلان.

السادسة عشرة :ترك الخيانة.

السابعة عشرة :ترك الذُّل للخلق.

الثامنة عشرة: ترك السخرية والاستهزاء بالناس.

التاسعة عشرة : ترك السفه والحُمق.

العشرون : ترك سوء الظن.

الحادية والعشرون: ترك الشماتة بالناس.

الثانية والعشرون: ترك الطمع.

الثالثة والعشرون : ترك الظلم.

الرابعة والعشرون : ترك العجب.

الخامسة والعشرون : ترك العدوان.

السادسة والعشرون: ترك الغدر.

السابعة والعشرون : ترك الغش.

الثامنة والعشرون :ترك الغضب.

التاسعة والعشرون: ترك الغيبة والنميمة.

الثلاثون : ترك الفتور والكسل والوهن.

الحادية والثلاثون : ترك الفجور.

الثانية والثلاثون : ترك الفحش والبذاء.

الثالثة والثلاثون : ترك القسوة والغِلْظَة والفظاظة.

الرابعة والثلاثون: ترك الكبر.

الخامسة والثلاثون: ترك الكذب.

السادسة والثلاثون : ترك المكر والكيد.

السابعة والثلاثون :تركنقض العهد.

الثامنة والثلاثون: ترك اليأس والقنوط.

التاسعة والثلاثون : ترك اللعن والسب والشتم.

الأربعون: ترك الفخر والغرور.

القسم الرابع من عبادات التروك

تروك الأخلاق

عبادات التروك هي أن يترك العبد كل ما نهى الله ورسوله عنه، من الاعتقادات الباطلة، والأقوال السيئة، والأفعال المحرمة، والأخلاق المذمومة؛ تعبدًا لله ﷻ، لأن الله نهى عنها، وحذر منها.

فيأخذ المسلم الأجر من ربه على الترك، كما يأخذ الأجر على فعل العبادات المأمور بها شرعًا، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)﴾ [الحشر: ٧].

وقال النبي ﷺ: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» متفق عليه(١).

وتنقسم عبادات التروك إلى أربعة أقسام:

الأول: تروك الاعتقاد: كترك الكفر، والشرك، وترك النفاق، والرياء ونحو ذلك.

الثاني: تروك الأقوال: كترك السب، واللعن، وشهادة الزور، ونحو ذلك.

الثالث: تروك الأفعال: كترك الزنى، وترك شرب الخمر، ونحو ذلك.

الرابع: تروك الأخلاق: كترك الكبر، والظلم، وترك الحسد والبغي، ونحو ذلك.

وتنقسم الأخلاق في الإسلام إلى قسمين:

الأول: الأخلاق المحمودة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

وهي كل خُلقٍ حسن أمر الله به أو رغب فيه أو أثنى على أهله، كما قال سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثاني: الأخلاق المذمومة.

وهى كل خلق سيئ نهى الله عنه أو حذر منه أو ذم أهله، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[النحل:٩٠].

والله عَزَّ وَجَلَّ كريمٌ، يعطى الأجر على التعبد لله بالأخلاق المحمودة. ويُعطى كذلك الأجر، على التعبد لله بترك الأخلاق المذمومة.

ومدار ذلك كله على النية فى الفعل والترك: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾[الزمر:١٧-١٨].

وقال النبى ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى». متفق عليه(١).

وتروك الأخلاق التى يتعبد المسلم لله بتركها، كثيرة ومنها :

الأولى : ترك الإساءة إلى النفس أو الخلق.

والإساءة ضد الإحسان، فمن ترك الإساءة تعبدًا لله، لأن الله نهى عن الإساءة، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن الإساءة ذنب عظيم، يعاقب عليه المسىء : ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ﴾[الإسراء:٧].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦ ﴾[فصلت:٤٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧) .

الثانية : ترك الإسرافوالتبذير، والترف.
والإسراف صرف الشىء فيما ينبغى، زائدًا على ما ينبغى.
والتبذير : صرف الشىء فيما لا ينبغى، والترف هوالتوسع فى التنعم بشهوات الدنيا وملذاتها، وكل ذلك محرمٌ نهى الله ورسوله عنه.
فمن ترك الإسراف، والتبذير، والترف لأن الله نهى عن ذلك، فهو فى عبادةٌ يؤجر عليها، كما أن صاحب الإسراف، والتبذير، والترف آثمٌ مستحقٌ للعقوبة: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[الأعراف:٣١].
وقال ﷻ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧ ﴾[الإسراء:٢٦-٢٧].
وقال ﷻ: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦ ﴾[هود:١١٦].
الثالثة : ترك الافتراء، والإفك، والبهتان.
والافتراء هو أعظم الكذب، وهو اختراع أمرِ لا أصل له.
والبهتان هو أفحش الكذب. وهو أن تقذف أحدًا بذنب هو منه برىء.
والإفك أشد الكذب. وهو أن ترمى أخاك بذنب هو منه برىء.
وقد نهى الله عن ذلك كله. فمن ترك الافتراء، والإفك، والبهتان تعبدًا لله لأن الله نهى عن جميع ذلك، فهو فى عبادة يؤجر عليها. كما أن صاحب الافتراء، والإفك، والبهتان آثمٌ مستحقٌ للعقوبة : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ ﴾[العنكبوت:٦٨].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[النحل:١١٦-١١٧].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[الأحزاب:٥٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾[النور:١١-١٢].

الرابعة: ترك إفشاء الأسرار العامة والخاصة كالأسرار الزوجية وغيرها.

وإفشاء السر هو تعمد الإخبار بسر شخص ائتمنك عليه.

فمن ترك إفشاء السر الذى أئتمن عليه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها. كما أن من أفشى هذا السر، فهو آثمٌ، قد خان الأمانة: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾[النساء:٨٣].

وقال النبى ﷺ: « إن من أشر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها » أخرجه مسلم (١).

الخامسة : ترك الانتقام.

والانتقام هو إنزال العقوبة بالغير مع الاعتداء، وشدة الكراهية.

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادةٍ، يؤجر عليها، كما أن من انتقم، ولم يغفر لمن آذاه، خسر صفة الكرام، كما قال سبحانه عن أوليائه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[الشورى:٣٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٣٧) .

وعن عائشة رضى الله عنها، أنَّها قالت : « ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلَّا أختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تُنتَهك حُرْمَة الله فينتقم لله بها» متفق عليه(١).

السادسة : ترك البخل، والشح.

والبخل هو منع الواجب والمستحب من ماله، وحبسه عن أهله.

والشح هو البخل بما يملك، والحرص على ما ليس له، فهو بخلٌ وزيادة.

فمن ترك البخل والشح، لأن الله نهى عنهما، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن صاحب البخل والشح مذمومٌ، مستحقٌ للعقوبة :﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾[آل عمران: ١٨٠].

وقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحشر: ٩].

السابعة : ترك البغض والكراهية.

فالمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

فمن ترك البغض والكراهية لإخوانه المؤمنين، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن من أحبهم فهو فى عبادة، ومن أبغضهم وكرههم فهو آثم، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.

والبغض والكراهية من صفات إبليس التى يُفرق بها شمل الأمة :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[المائدة: ٩١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٠) ومسلم برقم (٢٣٢٧) .

وقال النبى ﷺ: «إياكم والظنَّ فإنَّ الظن أكذَبُ الحديثِ ولا تحَسَّسُوا ولا تجَسَّسُوا ولا تحَاسَدُوا ولا تباغَضُوا ولا تَدابَرُوا وكونوا عبادَ الله إخوانًا» متفق عليه(1).

الثامنة : ترك الجبن.

والجبن ضد الشجاعة، والجبن هو الخوف مما لا ينبغي أن يُخاف منه.

فمن ترك الجبن، ووثب على الأعداء فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن الجبن آفةٌ توجب الفرار من مواجهة العدو، والفرار من الكبائر :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[الأنفال:١٥-١٦].

التاسعة :ترك الجزع والخوف.

والجزع حزنٌ يصرف الإنسان عما هو بصدده.

فمن ترك الجزع، لأنه منهيٌ عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب الجزع مذموم :﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المعارج:١٩-٢٣].

وقال الله تعالى:﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] .

العاشرة : ترك الجفاء.

والجفاء هو الغِلظة للعشرة، وسوء المعاملة، وترك الرفق فى الأمور.

فمن ترك الجفاء تعبدًا لله، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها. والجفاء مذموم لأنه يقطع أواصر المودة والمحبة بين الناس، ويُوَلِّد التنافر بينهم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣) ومسلم برقم (٢٥٦٣) .

قال النبى ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار» أخرجه أحمد والترمذي(١).

الحادية عشرة : ترك الحسد.

والحسد تمنى زوال النعمة عن غيره إليه.

والحسد مذموم لما فيه من الاعتراض على قسمة الله، فمن ترك الحسد، لأن الله ﷻ نهى عنه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها ؛ كما أن الحسد ذنبٌ عظيمٌ، حذر الله ورسوله منه. وهو من صفات الكفار، كما قال سبحانه :﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[البقرة:١٠٩].

وقال الله ﷻ:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق:١ -٥].

وقال النبى ﷺ : « لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» متفق عليه(٢).

الثانية عشرة من تروك الأخلاق : ترك الحقد، والغل.

والحقد هو إضمار الشر للجانى إذا لم يتمكن من الانتقام منه حتى يقدر عليه. فمن ترك الحقد، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب الحقد مذموم، لأن الحقد أصل الشر. وهو حملٌ ثقيلٌ يُتْعِبُ حامله، ويَشقى به صاحبه، ويفسد وقته عليه.

والحقد هو الغل. ولهذا، طهر الله منه صدور أهل الجنة، كما قال سبحانه :

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٠٥١٩) والترمذي برقم (٢٠٠٩) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٥) ومسلم برقم (٢٥٥٩) .

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾[الحجر:٤٧].

الثالثة عشرة :ترك الخُبث.

والخبث هو إضمار الشر للغير، وإظهار الخير له.

فمن ترك الخُبث تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب الخبث مذموم، لأن الخبث سببٌ لبذاءة اللسان والفُحش، وسببٌ للحسد، وسببٌ للشر والأذى والعداوة بين الناس :﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾ [المائدة:١٠٠].

وقال النبي ﷺ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : خَبُثَتْ نَفْسي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ : لَقِسَتْ نَفْسِي» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَدٍ، يضرب كل عقدة مكانها، عليك ليل طويل فارقُدْ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» متفق عليه(٢).

الرابعة عشرة : ترك الخداع.

والخداع إظهار الخير، مع إبطان الشر، حتى يحُصِّل مقصود.

فمن ترك الخداع، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب الخداع مذمومٌ وآثم، لأن الخداع صفة من صفات المنافقين، وسببٌ من أسباب الفرقة والعداوة بين المسلمين، وسببٌ لأكل أموال المسلمين بالباطل، ونزع الثقة بين المسلمين، ولأنه يُوَلِّدُ البغضاء والشحناء بين الناس :﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٨٠) ومسلم برقم (٢٢٥٠) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٢) ومسلم برقم (٧٧٦) .

قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء:١٤٢].
وقال الله ﷻ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾[الأنفال:٦٢].

الخامسة عشرة : ترك الخذلان.

والخذلان ترك نصرة أخيك وعونه .

فمن ترك الخذلان، لأنه مَنْهِيٌّ عنه، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن من خذل مظلومًا فهو آثم أشد الإثم، كمن يقدر على نصرة أخيه فلم ينصره ولم يدفع عنه عدوه، ومن يقدر على نصح أخيه عن ضلالةٍ فلم ينصحه.

قال النبى ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» متفق عليه(١).

ومن آثار الخذلان : انتشار الأنانية، وحب الذات، وانعدام الشهامة، وعدم نصرة المظلوم، وعدم إغاثة المكروب، وانقطاع عُرَى الأخوة والمحبة بين المسلمين.

والخذلان سببٌ من أسباب هزيمة الأمة، وهو عارٌ على صاحبه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

وقال النبى ﷺ: « المسلمُ أخو المسلم لا يَظْلِمْه، ولا يَخْذُلْه، ولا يَحْقِرْه ، بحَسْب امرِئ مِن الشرِّ أن يحْقِرَ أخاه المسلمَ »أخرجه مسلم(٢).

وقال النبى ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالمِاً أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالمِاً ؟ قَالَ : تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ » أخرجه البخاري (٣).

السادسة عشرة : ترك الخيانة.

والخيانة عمل مَنْ اؤتمن على شيء بضد ما اؤتمن لأجله، بدون علم صاحب

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦) ومسلم برقم (٢٥٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٤) .

الأمانة، فمن ترك الخيانة، لأن الله نهى عنها، فهو فى عبادة يؤجر عليها.
وكما أن أداء الأمانة عبادة يثاب عليها، فكذلك الخيانة ذنب عظيم يعاقب عليه الخائن، لأن الخيانة نقض للعهد. وهى من صفات المنافقين واليهود، ومن أسوء ما يبطن الإنسان، وهى سبب لفقدان الثقة بين الناس، وتفكك أواصر المحبة والتعاون بين الخلق، وسببٌ لمهانة وذل صاحبها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال:٢٧].
وقال ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨].
وقال النبى ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» متفق عليه(١).

السابعة عشرة: ترك الذُّل للخلق.

والذل العجز والضعف عن المقاومة.
فمن ترك الذُّل للخلق تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن التذلل لغير الله مذموم، لما فيه من الذلة، والهوان، والضعف.
أما الذل لله، والمؤمنين، والوالدين فمحمود: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].
وقال ﷻ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٩) ومسلم برقم (٥٨).

الثامنة عشرة: ترك السخرية والاستهزاء بالناس.

والسخرية هى الاستهانة، والتحقير، وذكر العيوب، والنقائص، على وجه يُضْحَكُ منه بالقول أو الفعل.

والاستهزاء هو السخرية بالإنسان من غير أن يسبق منه فعل يستهزئ به من أجله، وكل ذلك محرم.

فمن ترك السخرية والاستهزاء تعبدًا لله، لأن الله نهى عنهما، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من سَخِرَ واستهزأ بالناس، فهو آثمٌ، مستحق للعقوبة، لأن السخرية والاستهزاء بالناس تولد الرغبة فى الانتقام، وتَبْذُر بذور العداوة والبغضاء بين الناس، وتأكل حسنات العبد، وتسبب غضب الرب.

وهى من صفات الكفار والمنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات:١١].

وقال ﷻ: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦].

وقال اللهﷻعن المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ [التوبة:٧٩].

التاسعة عشرة: ترك السفه والحُمق.

والسفه هو سرعة الغضب، والطيش من أيسر الأمور، وإظهار السب الفاحش،

وسرعة البطش بالمخالف، وهو ضد الحِلم، وغاية الجهل.
أما الحمق فهو وضع الشيء فى غير موضعه، مع العلم بقبحه.
والأحمق من يعمل ما يضره مع علمه بقبحه، وكلاهما محرم.
فمن ترك السفه والحمق، لأن الله نهى عنهما، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن السفه والحمق صفتان مذمومتان، لأنهما من خوارم المروءة. والسفيه بذىء اللسان، يقع دائمًا فى الغيبة وأعراض الناس، والسفيه سريع الانفعال، كثير التدخل فى شؤن الناس.
والأحمق عدو نفسه، لما يسببه من الضرر على نفسه، والأحمق غير مَرضى العمل، ولا محمود الأمر: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠].
وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [النساء: ٥].
العشرون: ترك سوء الظن.
وسوء الظن هو عدم الثقة بمن هو لها أهل، وامتلاءُ القلب بالظنون السيئة بالناس حتى يَطْفَح على اللسان والجوارح في كل مناسبة.
فمن ترك سوء الظن تعبدًا لله ﷻ، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها.
وسوء الظن بالله أعظم الذنوب، بعد الشرك بالله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ٢٢-٢٤].
وسوء الظن بالله، وبالمؤمنين، من صفات الكفار والمنافقين، وعقوبته أشد العقوبات، كما قال سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ

﴿وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾[الفتح:٦].

وقال النبى ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »متفق عليه(١).

وسوء الظن آفةٌ عظيمة، فهى سببٌ للوقوع فى الشرك والبدع والظلال، وسببٌ للخسارة، والوقوع فى غضب الله ولعنته، وسببٌ فى كثرة الأحقاد والتهم والعداوة والفرقة بين الناس، ومن أساء الظن أساء العمل :﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[فصلت:٢٣].

الحادية والعشرونمن تروك الأخلاق : ترك الشماتة بالناس.

والشماتة هى الفرح والسرور بالشر الواصل إلى من تُعاديه ويعاديك، كما قال هارون لأخيه موسى :﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾[الأعراف:١٥٠].

وكان النبى ﷺ«يتعوَّذُ بالله مِنْ سُوء الْقَضَاءِ، وَمن دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِن شَماتَةِ الأَعْدَاءِ، و مِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ» متفق عليه(٢).

والشماتة بالتعيير بالذنب، أعظم من الذنب، لما فيها من تزكية النفس، وذم الغير.

والشماتة تؤدي إلى قساوة القلب. وتثمر الحسد والعداوة والبغضاء بين الناس.

فمن ترك الشماتة بالمؤمنين، لأن الله نهى عنها فهو فى عبادة، يؤجر عليها. كما أن الشامت بهم آثم، ومستحق للعقوبة.

الثانية والعشرون: ترك الطمع.

والطمعنزوع النفس إلى الشىء شهوةً له.

والطمع ذلٌ ينشأ من الحرص والبطالة، والجهل بحكمة البارى فى قسمة الأرزاق.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣) ومسلم برقم (٢٥٦٣) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٧) ومسلم برقم (٢٧٠٧) .

قال النبي ﷺ : «ما ذِئبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غنَم، بأفسدَ لهَا من حِرص المَرءِ علَى المالِ والشَّرَفِ لدينِهِ» أخرجه أحمد والترمذي (١)

ومن ترك الطمع في الأموال والأشياء والمناصب تعبدًا لله، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن الطمع في مغفرة الله، وكرم الله، ودخول الجنة طمعٌ محمود.

أما الطمع في شهوات الدنيا وملذاتها فهو مذموم، لأنه يشغل عن عبادة الله، ويؤدي إلى غياب فضيلة البذل والإيثار والإحسان بين الناس، وهو دليلٌ على ضعف الثقة بالله، وسوء الظن بالله، ويمحق البركة في المال.

وهو سبب خسران العبد في الدنيا والآخرة، وسبب للعداوة والكراهية بين الناس ولهذا نهى الله عنه بقولة: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الحجر: ٨٨] .

والطمع من صفات الكفار واليهود :﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[البقرة:٩٦].

الثالثة والعشرون : ترك الظلم.

والظلم هو التعدي من الحق إلى الباطل، ومجاوزة الحد المشروع، والتصرف في مُلْك الغير بغير إذنه، وأعظم الظلم الشرك بالله ﷻ، لأنه وضعٌ للعبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها :﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[لقمان:١٣].

فمن ترك الظلم، لأن الله ﷻ نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها :﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

(١) صحيح/ أخرجه احمد برقم (١٥٧٩٤) والترمذي برقم (٢٣٧٦) .

﴿أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

وقد نزه الله نفسه عن الظلم، وحرمه على نفسه، وحذر عباده منه :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[النساء:٤٠].

وقال ﷻفى الحديث القدسى : «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » أخرجه مسلم (١).

وقال النبى ﷺ: «مَن ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِن الأرض طُوِّقَهُ مِن سَبْع أَرَاضِينَ»متفق عليه (٢).

والظلم ذنب عظيم، وصاحبه محرومٌ من الهداية والفلاح، ومستحقٌ للعنة، والظلم سببٌ لزوال الأمن، وسببٌ للبلاء والعقوبة، ودخول النار يوم القيامة.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾[غافر:٥٢].

الرابعة والعشرون : ترك العجب.

والعجب هو رؤية النفس، والاغترار بما يملك الإنسان، والتطاول به على الناس، والاستكبار به عليهم.

والعجب بالنفس كبيرة من كبائر الذنوب التى توجب غضب الله ومقته وعذابه فى الدنيا والآخرة، سواء كان العجب للعلم، أو الذكاء، أو القوة، أو الشجاعة، أو الجمال، أو الرئاسة، أو العبادة، أو أعمال الخير، أو كان العجب بالمال، أو بكثرة الأولاد، والأتباع، وغير ذلك مما يدخل العجب فى النفس، فكل ذلك محرمٌ نهى الله عنه بقوله :﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[التوبة:٥٥].

والعجب آفة ينشأ عنها أفة أعظم منها، وهى الكبر والاستكبار .

فمن ترك هذا العجب تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، وحذر منه، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن العجب كبيرةٌ يعاقب الله عليها :﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٩٥) ومسلم برقم (١٦١٢) .

﴿ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨﴾[لقمان:١٨].

وقال النبي ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» متفق عليه(١).

العجب ذنب عظيم يدعو العبد إلى الكبر والتيه، وازدراء الناس، ويدعو إلى استعظام أعماله، والمن على الله بفعلها، والفتور عن العبادة، لظنه أنه قد فاز واستغنى، وهو سبب لخدلان الأمة إذا أعجبوا بأنفسهم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٦﴾[التوبة:٢٥-٢٦].

الخامسة والعشرون: ترك العدوان.

والعدوان هو مجاوزة الحد بقولٍ أو فعل أو حالٍ بإيذاء الغير، والإضرار بهم. وقد نهى الله عن العدوان بأنواعه، فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٢﴾[المائدة:٢].

والعُدْوان جناية عظيمة، وهو من كبائر الذنوب، سواء كان قتلًا للنفوس، أو إيذاءً لها، أو أكلًا لأموال الناس بالباطل، أو سبًا أو شتمًا للناس، أو عدوانًا على الأعراض بقذفٍ أو زنى، أو عُدوانًا في الدعاء ونحو ذلك.

والعدوان ذنب عظيم، وسببٌ للعقوبة في الدنيا والآخرة، وسببٌ لدخول النار. والمعتدي بعيدٌ عن محبة الله، والقرب منه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ٥٥﴾[الأعراف:٥٥].

فمن ترك العدوان بأنواعه تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٩) ومسلم برقم (٢٠٨٨).

كما أن من اعتدى، فهو مجرم يستحق للعقوبة فى الدنيا والآخرة :﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾[النساء: ١٤].

السادسة والعشرون: ترك الغدر.

والغدر نقض العهد، وترك الوفاء به، فى لحظةٍ لم تكن متوقعة ولا منتظرة. والغدر من صفات المنافقين والكفار :﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾[الرعد: ٢٥].

فالوفاء بالعهود عبادة، وترك الغدر، لأن الله نهى عنه عبادة، كما أن الغدر جنايةٌ يعاقب الله عليها الغادر:﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾[الإسراء: ٣٤].

وقال النبى ﷺ: « لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال هذه غدرة فلان » متفق عليه[1].

وقال النبى ﷺ: «قَالَ اللهُ : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِى ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ» أخرجه البخاري[2].

وأعظم الغدر نقض العهد الذي أخذه الله على بنى آدم حين استخرجهم من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم، كما قال سبحانه:﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣﴾[الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣] .

ونقض العهد المأخوذ على بني آدم من النظر في أدلة وحدانية الله المبسوطة في الكون :﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٨٦) ومسلم برقم (١٧٣٦) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٢٢٧) .

﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق:٦-٨].

ونقض العهد الذي وصى الله به خلقه من فعل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال، والأخلاق، وترك ما لا يحبه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والأخلاق: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر:٧].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾[الأحزاب: ٧٢-٧٣].

السابعة والعشرون: ترك الغش.

والغش هو خلط الرديء بالجيد، وخداع المشتري ليأخذ السلعة.

قال النبي ﷺ: «مَنْ غَشَّ، فَلَيْسَ مِنِّي» أخرجه مسلم(١).

والغش سواء كان في الأقوال، أو الأفعال، أو المعاملات، كله محرم لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل، وإيغار الصدور، والفرقة بين الناس، والظلم لهم، سواء كان في البيع والشراء، أو في المعاملات والعقود.

وأعظم الغش، غش الراعي للرعيه، وغش الرعية للراعي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[النساء: ٥٨].

وقال النبي ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٥١) ومسلم برقم (١٤٢).

ومن الغش ترك تعليم الناس أمور دينهم، وعدم النصيحة لهم، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعدم الوفاء بالعهود: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾[المائدة:٧٨-٨٠].

فمن ترك الغش بأنواعه، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن من غش فهو ظالم، وآثم، ومستحق للعقوبة.

قال النبى ﷺ: «مَنْ غَشَّ، فَلَيْسَ مِنِّى» أخرجه مسلم (١).

الثامنة والعشرون: ترك الغضب.

والغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام.

والغضب محرم، لما يؤول إليه من الانتقام، والإساءة، والظلم، والعدوان.

فمن ترك الغضب تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادةٌ يؤجر عليها، كما أن الغضب صفةٌ سيئة، يستحق صاحبها العقوبة.

قال النبى ﷺ لرجل سأله الوصية، فقال: «لا تغضب»، فردد مرارًا، قال: «لا تغضب». أخرجه البخاري (٢).

وقد مدح الله المؤمنين بأنهم إذا غضبوا فإنهم يغفرون: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾[الشورى:٣٧].

التاسعة والعشرون: ترك الغيبة والنميمة.

والغيبة هى ذكرك أخاك فى غيبته بما يكره.

والنميمة نقل الكلام بين الناس للإيقاع بينهم. وكلاهما محرم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٥).

فالغيبة تزيد فى سيئات العبد، وتأكل حسناته، وهى أربى الربا، لما فيها من كثرة الآثام. ولهذا، نهى الله ﷻ عنها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾[الحجرات:١٢].

وقال النبى ﷺ: «أتدرون ما الغِيبة؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهَتَّه» أخرجه مسلم (١).

وقال النبى ﷺ بمنى يوم النحر: «إنَّ دِماءَكُم، وأمْوالَكم وأعْراضَكُم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمة يومِكُم هَذَا، فى شهرِكُمْ هَذَا، فى بلَدِكُم هَذَا، ألا هَلْ بلَّغْت» متفق عليه (٢).

فمن ترك الغيبة والنميمة تعبدًا لله، لأن الله حرم ذلك، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن المغتاب آثمٌ، مستحق للعقوبة، مفلس من الحسنات يوم القيامة.

قال النبى ﷺ: «أتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: «إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتى يَأْتى يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيام، وزَكاةٍ، ويَأْتى قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ فى النَّارِ» أخرجه مسلم (٣).

الثلاثون: ترك الفتور والكسل والوهن.

والوهن ضعف العمل الصالح بسبب حب الدنيا، وكراهية الموت.

والفتور هو الكسل والتراخى والتباطؤ عن فعل الطاعات، وهو من صفات المنافقين، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤٠٦) ومسلم برقم (١٦٧٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١).

ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوٓاْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء:١٤٢].
وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن الكَسل والهَرَم، والمَأثم والمَغرم» متفق عليه(١).
فالفتور، والكسل، والوهن، صفاتٌ مذمومة، لأنها تؤدي إلى التثاقل عن أداء العبادات، وتؤدي إلى ترك بعض الفرائض، وكثير من المستحبات، وتفوت كثيرًا من المصالح الدينية والدنيوية، وصاحبها يكون قدوة لغيره في الفتور والكسل.
فمن ترك الفتور والكسل والوهن تعبدًا لله، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فتر وكسل عن الطاعات، فهو آثمٌ مستحق للعقوبة، كما قال الله عز وجل لموسى ﷺ: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه:٤٢-٤٦].

الحادية والثلاثون: ترك الفجور.

والفجور هو الميل عن الحق إلى الباطل، والانبعاث إلى التوسع في المعاصي.
وقد ذم الله أهل الفجور بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾[عبس: ٣٨ – ٤٢].
وتوعد الله ﷻ الفجار بالنار، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[الانفطار:١٣-١٤].
فالفجور من الصفات السيئة الموصلة إلى النار، والفجور دليلٌ على خسة النفس، وعلامة من علامات الدناءة والانحطاط الأخلاقي، وهو سببٌ لحصول العداوة، والشحناء، والبغضاء، بين الناس.
فمن ترك الفجور وتعبد لله بتركه، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها،كما

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٥) ومسلم برقم (٥٨٩).

أن الفاجر مذنب مستحق للعقوبة.

قال النبى ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلى البرِّ، وإِنَّ البرَّ يَهْدِي إِلى الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يَكونَ صِدِّيقًا. وإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلى الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلى النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ كَذّابًا» متفق عليه(١).

الثانية والثلاثون : ترك الفحش والبذاء.

والفحش ما عَظُمَ قُبْحُهَ من الأقوال، والأعمال، والأفعال، والأخلاق.

والبذاء هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة.

والفحش والبذاءة كلاهما محرم، فليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش ولا البذيء.

والفاحش والبذيء يتحاشاه الناس، خوفًا من شر لسانه.

والفحش والبذاءة من علامات النفاق، وصاحبه مكروه عند الناس، مبغوض عند الله، وعند الناس.

قال النبى ﷺ :«إِنَّ شَرَّ النَّاس مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تُرِك اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»متفق عليه(٢).

وعن أُمِّ المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : أنه استأذن على النَّبى ﷺ رجل فقال ﷺ: «أذنوا له، بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة فلما دخل ألان له الكلام. قلت : يا رسول الله، قلت الذى قلت، ثم ألنت له الكلام. قال : أى، قال أى عائشة إنَّ شرَّ الناس من تركه الناس أو ودعه الناس، اتقاء فحشه» متفق عليه(٣).

فمن ترك الفُحش والبذاءة لأن الله نهى عنهما، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن الفحش والبذاءة خلقٌ ذميم، وصاحبه مستحق للعقوبة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٣) ومسلم برقم (٢٦٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٢) ومسلم برقم (٢٥٩١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٤) ومسلم برقم (٢٥٩١).

الثالثة والثلاثون : ترك القسوة والغِلْظَة والفظاظة.

والقسوة هى ذهاب اللين من القلب، وعدم الرحمة، وعدم المبالاة بما يلحق الغير من الألم والأذى والضرر.

والغِلظة قسوة القلب، وقلة إشفاقه على الغير.

والفظاظة هى خشونة الكلام، وغِلْظُ الجانب.

وكل هذه الصفات مَنْهِىٌّ عنها، فمن ترك القسوة والغلظة والفظاظة تعبدًا لله، لأن الله نهى عنها، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن من تخلق بذلك فهو آثم، مستحق للعقوبة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران:١٥٩].

وقال الله ﷻ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[الزمر:٢٢].

وقال النبى ﷺ: «ألا وإنَّ فى القسوة وغلظ القلوب فى الفدادين حيث يطلع قرنا ربيعة ومضر» متفق عليه(١).

والقسوة والغِلْظَة والفظاظة صفات ذميمة، تؤدي إلى نسيان ذكر الله، وتحريف الكلم عن مواضعه، ونزول المصائب والنقم، واستحقاق لعنة الله، وسخطه، وعقابه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[المائدة:١٣].

الرابعة والثلاثونمن تروك الأخلاق: ترك الكبر.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٠٢) ومسلم برقم (٥١).

والكبر هو بطر الحق، وغمط الناس باستعظام العبد نفسه، واحتقار الناس، والترفع على من يجب التواضع له.

والكبر ذنب إبليس، كما قال سبحانه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤].

والكبر سبب للصرف عن دين الله ﷻ : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[الأعراف:١٤٦].

والكِبْر سبب للخلود في النار، كما قال سبحانه :﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأحقاف:٢٠].

والكبر سبب للحرمان من دخول الجنة.

قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟، قال : إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَر الحق وغمْط الناس » أخرجه مسلم [1].

فمن ترك الكبر تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، وحذر منه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها. كما أن المتكبر آثم، بل كافرٌ لرد الحق، واحتقار الناس. وهذه من صفات إبليس. وإبليس وجنوده وأتباعه كلهم في النار :﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

والكبر بأنواعه كله مذموم، سواء كان بالعلم، أو العمل، أو العبادة، أو التكبر بالحسب والنسب، أو التفاخر بالذكاء،أوالجمال، أو القوة، أوالشجاعة، أو كثرة المال، أو كثرة الأصحاب، أو كثرة الأنصار، كل ذلك خُلُقٌ مذموم، محرم. وصاحبه مستحق للعقوبة.

ومن علامات المتكبر، أنه يحب قِيَام الناس له، أو بين يديه، وأن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه، ولا يزور من دونه، وأن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، وأن لا يتعاطى بيده شغلًا في بيته، وأن يستنكف من زيارة المرضى والمعلولين، وأن لا يحمل متاعه إلى بيته، وغير ذلك من صفات المتكبرين: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ [الجاثية:٧-٨].

الخامسة والثلاثون من تروك الأخلاق: ترك الكذب.

والكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، سواءً كان عمدًا أو خطأً. وأعظم الكذب الكذبُ على الله، وعلى رسوله، وعلى دينه، ثم الكذب على الناس، ثم الكذب على الحيوان.

والكذب من قبائح الذنوب، وفواحش العيوب، يذهب بالمروءة، ويعرض صاحبه للإهانة.

والكذب يقلب الحق باطلًا، ويقلب الباطل حقا، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، والكذب من علامات النفاق: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّى يُكْتَبَكَ كَذَّابًا» متفق عليه(١)

وقال النبى ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» متفق عليه(٢).

فمن ترك الكذب تعبدًا لله، لأن الله حرمه، ونهى عنه، فهو فى عبادة يؤجر بها، كما أن الكذب ذنب عظيمٌ موجب للعقوبة واللعنة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ [الصف:٧].

السادسة والثلاثون: ترك المكر والكيد.

والمكر هو إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر.

والكيد إرادة مَضَرَّة الغير خُفْيَة.

والمكر منه ما هو محمود، وهو ما قُصِدَ به الخير، ومنه ما هو مذموم، وهو المكر السيئ الذي يُقْصد به الشر: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١﴾ [النمل: ٥٠-٥١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤٢ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ۝٤٣﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣].

والكيد قسمان:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤) ومسلم برقم (٢٦٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣) ومسلم برقم (٥٩).

محمود، وهو ما قصد به الخير، ومذموم، وهو ما قُصِدَ به الشر، كما قال الله عن الكفار :﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق:١٥-١٧].

فمن ترك المكر السيئ، والكيد السيئ، لأن الله نهى عن ذلك، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن صاحب المكر السيئ مذموم مستحق للعقوبة.

وأعظم من كاد البشرية هو الشيطان، ولكن كيده ضعيف، لأنه لا يتعدى الوسوسة:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾[النساء:٧٦].

السابعة والثلاثون : نقض العهد.

ونقض العهد هو عدم الوفاء بما أعلن الإنسان الالتزام به.

ونقض العهد كبيرة من كبائر الذنوب: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾[الرعد: ٢٥] .

وقد أمر الله المؤمنين بالوفاء بالعهود، وحرم عليهم نقضها :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾[المائدة:١].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ:﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[الإسراء:٣٤].

وأعظم نقض للعهود نقض العهد مع الله بالكفر به، وهو موجبٌ لخسارة العبد فى الدنيا والآخرة، وموجبٌ للعنة الله. وأعظم من نقض العهود من الخلق هم اليهود الذين قال الله عنهم :﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[المائدة:١٣].

فمن نقض العهد فقد ارتكب إثمًا عظيما، ومن ترك نقض العهد تعبدًا لله، لأن الله نهى عن ذلك، فهو فى عبادة يؤجر عليها.

الثامنة والثلاثون: ترك اليأس والقنوط.

واليأس انقطاع الطمع فى رحمة الله، والقنوط اليأس من رحمة الله. واليأس والقنوط من رحمة الله من كبائر الذنوب التى نهى الله عباده عنها بقوله: ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾** ﴾[الزمر:٥٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ **لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾** ﴾ [فصلت:٤٩].

وقال النبى ﷺ: «لو يعلمُ المؤمنُ ما عند الله من العقوبة، ما طَمِع بجَنَّتِهِ أحدٌ، ولو يَعلمُ الكافرُ ما عند الله من الرَّحمة، ما قَنَطَ من جَنَّتِهِ أحدٌ» أخرجه مسلم(١).

واليأس والقنوط من صفات الكفار، كما قالت الملائكة لإبراهيم ﷺ: ﴿ **قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾** ﴾[الحجر:٥٥-٥٦].

وقال يعقوب: ﴿ **يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾** ﴾[يوسف:٨٧].

واليأس والقنوط من رحمة الله فيهما تكذيب لله ورسوله، وسوء أدب مع الله. وهما سببٌ فى الوقوع فى الكفر والهلاك والضلال، والاستمرار فى فعل الذنوب والمعاصى، والكسل والفتور عن فعل الطاعات، وسببٌ للحرمان من رحمة الله ومغفرته.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٥).

فمن ترك اليأس والقنوط من رحمة الله، تعبدًا لله لأن الله نهى عنهما، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من أَيس وقنط من رحمة الله فهو كافرٌ، مستحقٌ للعقوبة.

وَصور اليأس والقنوط التى نهى الله عنها كثيرةٌ منها :

اليأس والقنوط من رحمة الله، ومن مغفرة الله، ومن توبة الله على العبد العاصى، واليأس والقنوط من زوال الشدائد، وتفريج الكرب، والتغيير للأفضل، واليأس من نصر الإسلام، وارتفاع الذل والمهانة عن المسلمين.

وقد نهى الله عباده عن كل ذلك بقوله :﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣].

التاسعة والثلاثون : ترك اللعن والسب والشتم.

واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله وثوابه إلى ناره وعقابه.

والسب والشتم هو قذف الإنسان غيره بالكلام السيئ الجارح.

وقد نهى الله ﷻ عباده عن السب والشتم واللعن، فقال :﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[الأنعام:١٠٨].

وقال النبى ﷺ: «من لعن مؤمنا فهو كقتله، ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله» متفق عليه[1].

وقال النبى ﷺ: «لاَ يَنْبَغِى لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا» أخرجه مسلم[2].

وقال النبي ﷺ: «لا يكونُ اللَّعّانون، شُفَعاءَ ولا شُهَدَاء يَومَ القِيامَةِ» أخرجه مسلم[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٧) ومسلم برقم (١١٠).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٧).

(٣)أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٨).

فمن ترك اللعن والسب والشتم تعبدًا لله، لأن الله نهى عن ذلك، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب اللعن والسب والشتم آثمٌ مستحق للعقوبة.

ولا يجوز للمسلم لعن الشخص بعينه، لأنه يمكن أن يتوب إلى الله، لكن يجوز اللعن بالوصف كالكفر، والكذب، والظلم، كما قال سبحانه: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾ [البقرة:٨٩].

وقال سبحانه: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود:١٨].

وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران:٦١].

وقال النبى ﷺ: « لَعَنَ الله الْواصِلَةَ وَالمُسْتوصِلَةَ، والْوَاشِمَةَ والمُستَوشِمَة» متفق عليه(١).

الأربعون من تروك الأخلاق: ترك الفخر والغرور.

والفخر هو أن يفتخر الإنسان بما يملك من علم، أو مالٍ، أو جاه، أو قدرة، مع الاحتقار لغيره، وهو درجة من درجات الكبر.

والغرور أن يغتر الإنسان بما يملك من مالٍ، أو جمالٍ، أو علم، أو جاهٍ، ورؤية نفسه فوق غيره.

والفخر صفة مذمومة، وهو من صفات أهل الجاهلية.

قال النبى ﷺ: «أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب، والطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» أخرجه مسلم(٢).

والغرور صفة مذمومة، وهو من صفات أهل الجاهلية: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات:١٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٣٣) ومسلم برقم (٢١٢٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٣٤).

فمن ترك الفخر والغرور تعبدًا لله، لأن الله نهى عِبادهُ عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن الفخر والغرور من الصفات المذمومة التي نهى الله عنها.

ومن صفات المؤمنين التواضع، والخوف، والوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

اللهم اهدنا لأحسن الأقوال، والأعمال، والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، ولا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكاها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

فهرس الموضوعات

٣٧- عبادة العفو: وتشتمل على ما يلي:.. ٧٢٢
الأول : فقه العفو.. ٧٢٢
الثاني : منزلة العفو.. ٧٢٦
الثالث : أنواع العفو. ٧٢٨
الرابع : صور من عفو النبي ﷺ. ٧٣٠
الخامس : الأسباب المعينة على العفو. ٧٣٢
السادس : ثمرات العفو عن الناس.. ٧٣٤
٣٨- عبادة الاستغفار: وتشتمل على ما يلي:.. ٧٣٨
الأوَّل: فقه الاستغفار.. ٧٣٨
الثَّاني: فضائل الاستغفار.. ٧٤٤
الثَّالث: استغفار الأنبياء والرُّسل.. ٧٤٨
الرَّابع: صيغ الاستغفار في القرآن والسُّنَّة.. ٧٥٠
الخامس: الأسباب المعينة على التَّوبة والاستغفار.. ٧٥٣
السَّادس: ثمرات الاستغفار.. ٧٥٧
٣٩- عبادة الاستعاذة بالله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:.. ٧٦٠
الأول: فقه الاستعاذة بالله عز وجل.. ٧٦٠
الثاني: أقسام الاستعاذة. ٧٦٦
الثالث: صيغ الاستعاذة. ٧٦٧
الرابع: الأمور التي يستعاذ بالله منها. ٧٦٨

الموضوع	الصفحة

الخامس: ما يُستعاذ به. ٧٧٢

السادس: الأسباب المعينة على الاستعاذة بالله.................................. ٧٧٣

٤٠ - عبادة الطمأنينة: وتشتمل على ما يلي:.. ٧٧٦

الأول: فقه الطمأنينة. ٧٧٦

الثاني: درجات الطمأنينة. ٧٨٣

الثالث: الأسباب المعينة على الطمأنينة. ٧٨٦

الرابع: ثمرات الطمأنينة.. ٧٩٠

٤١ - عبادة الحكمة: وتشتمل على ما يلي:.. ٧٩٤

الأول: فقه الحكمة. ٧٩٤

الثاني:فقه حكمة الله عز وجل.. ٨٠١

الثالث:أنواع الحكمة.. ٨٠٤

الرابع:درجات الحكمة. ٨٠٦

الخامس: الأسباب المعينة على الحكمة. ٨٠٨

السادس:ثمرات الحكمة.. ٨١١

٤٢ - عبادة اللطف: وتشتمل على ما يلي:.. ٨١٦

الأول: فقه اللطف بالخلق ٨١٦

الثاني: فقه لطف الله ﷻبالخلق ٨٢٢

الموضوع	الصفحة

الثالث : الأسباب المعينة على اللطف ٨٢٧

الرابع : التعبد لله ﷻ بصفة اللطف.. ٨٢٩

٤٣ - عبادة الرفق بالخلق: وتشتمل على ما يلي:.. ٨٣٦

الأول : فقه الرفق بالخلق. ٨٣٦

الثاني : فقه رفق الله ﷻ. ٨٤٠

الثالث : ميادين الرفق. ٨٤٤

الرابع : الأسباب الباعثة على الرفق. ٨٥٠

الخامس : التعبد لله ﷻ بصفة الرفق.. ٨٥٢

٤٤ - عبادة جبر الخواطر: وتشتمل على ما يلي:.. ٨٥٦

الأول : فقه جبر الخواطر.. ٨٥٦

الثاني : صورٌ من جبر الخواطر في القرآن والسنة.. ٨٦١

الثالث : الأسباب المُعينة على جبر الخواطر.. ٨٧٢

الرابع : التعبد لله بجبر خواطر الخلق.. ٨٧٤

٤٥ - عبادة محاسبة النفس: وتشتمل على ما يلي:.. ٨٨٠

الأول: فقه محاسبة النفس. ٨٨٠

الثاني: منزلة المحاسبة. ٨٨٤

الثالث: أقسام المحاسبة. ٨٨٥

الموضوع **الصفحة**

الرابع: الأسباب المعينة على محاسبة النفس ٨٨٨
الخامس: كيفية محاسبة النفس في الدنيا. ٨٩١
السادس: أوقات محاسبة النفس. ٨٩٦
السابع: ثمرات محاسبة النفس........................ ٨٩٧
٤٦ - **عبادة المجاهدة: وتشتمل على ما يلي:**........................ ٩٠٠
الأول: فقه مجاهدة النفس........................ ٩٠٠
الثاني: أنواع المجاهدة. ٩٠٢
الثالث: تفاوت الناس في المجاهدة. ٩١٣
الرابع: الأسباب المعينة على مجاهدة النفس. ٩١٧
الخامس: ثمرات المجاهدة........................ ٩٢١
٤٧ - **عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:**............ ٩٢٤
الأول : فقه التفكر في مخلوقات الله ﷻ........................ ٩٢٤
الثاني : أنواع التفكر في مخلوقات الله ﷻ. ٩٣٤
الثالث : ثمرات التفكر ٩٤٢
الرابع : تفاوت الناس في التفكر........................ ٩٤٧
٤٨ - **عبادة تدبر القرآن الكريم: وتشتمل على ما يلي:**........................ ٩٥٠
الأول: منزلة تدبر القرآن الكريم. ٩٥٠

الموضوع	الصفحة
الثاني: فقه تدبر القرآن الكريم.	٩٥٢
الثالث: أنواع تدبر القرآن الكريم.	٩٥٦
الرابع: دلائل التوحيد والإيمان في القرآن.	٩٥٨
الخامس: الأسباب المعينة على تدبر القرآنالكريم.	٩٦١
السادس: ثمرات تدبر القرآن الكريم	٩٦٥
٤٩ - عبادة ذكر الله ﷻ: **وتشتمل على ما يلي:**	٩٧٢
الأول: فقه ذكر الله ﷻ	٩٧٢
الثاني: أنواع الذكر.	٩٧٥
الثالث: الأسباب المعينة على ذكر الله ﷻ	٩٨١
الرابع: ثمرات ذكر الله ﷻ	٩٨٣
الخامس: أسباب الإعراض عن ذكر الله ﷻ	٩٨٧
السادس: عقوبات الإعراض عن ذكر الله ﷻ	٩٨٩
٥٠ - عبادة دعاء الله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:	٩٩٢
الأول : فقه الدعاء.	٩٩٢
الثاني : أنواع الدعاء.	٩٩٥
الثالث : شروط الدعاء.	٩٩٧
الرابع: آداب الدعاء.	٩٩٩

الموضوع **الصفحة**

الخامس : الأسباب المعينة على إجابة الدعاء. ١٠٠١

السادس : دعاء الأنبياء في القرآن الكريم. ١٠٠٥

السابع : ثمرات الدعاء.. ١٠٠٧

الثامن : موانع إجابة الدعاء.. ١٠١١

٥١ - عبادة الأَوْبَةِ إلى الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:..................... ١٠١٤

الأول: فقه الأوبة إلى الله ﷻ. ١٠١٤

الثاني: صفات الأوابين. ١٠١٧

الثالث: الأسباب المعينة على الأوبة إلى الله ﷻ.......................... ١٠١٩

الرابع: جزاء الأوابين.. ١٠٢٢

٥٢ - عبادة حسن الخلق: وتشتمل على ما يلي:........................ ١٠٢٤

الأول: فقه حسن الخلق. ١٠٢٤

الثاني: فضائل الأخلاق الحسنة. ١٠٢٨

الثالث: أقسام الأخلاق. ١٠٣٠

الرابع: الأسباب المعينة على تحصيل الأخلاق الحسنة. ١٠٣٣

الخامس: كيفية التعبد لله بالأخلاق الحسنة. ١٠٣٥

السادس: أسباب سوء الخلق.. ١٠٣٧

٥٣ - عبادة سلامة الصدر: وتشتمل على ما يلي:........................ ١٠٤٠

الموضوع	الصفحة

الأول : فِقهُ سَلامةِ الصَّدرِ. ١٠٤٠
الثاني : مَنْزِلةُ سَلامةِ الصدرِ. ١٠٤٣
الثالث: فَضَائِلُ سلامةِ الصدر. ١٠٤٧
الرابع: الأسبابُ المعينةُ على سلامةِ الصدرِ.......... ١٠٤٩
الخامس : جزاءُ أهل سَلامةِ الَّصدرِ.......... ١٠٥٢
٥٤ - عبادة المروءة: وتشتمل على ما يلي:.......... ١٠٥٤
الأول : فقه المروءة ١٠٥٤
الثاني :أقسام المروءة ١٠٥٧
الثالث : مراتب المروءة ١٠٥٩
الرابع : شروط المروءة ١٠٦١
الخامس :علامات أهل المروءة ١٠٦٢
السادس : الأسباب المعينة على تحصيل خلق المروءة ١٠٦٤
السابع : ثمرات المروءة ١٠٦٦
الثامن :خوارم المروءة.......... ١٠٦٨
٥٥ - عبادة الإيثـــار: وتشتمل على ما يلي:.......... ١٠٧٢
الأول: فقه الإيثار. ١٠٧٢
الثاني: فضائل الإيثار. ١٠٧٥

الموضوع	الصفحة

الثالث: أقسام الإيثار. ١٠٧٦
الرابع: درجات الإيثار. ١٠٧٨
الخامس: الأسباب المعينة على الإيثار. ١٠٧٩
السادس: ثمرات الإيثار.. ١٠٨١
٥٦ - عِبَادة الإنفاق في سبيل الله: وتشتمل على ما يلي:.. ١٠٨٤
الأول: فقه الإنفاق في سبيل الله. ١٠٨٤
الثاني: أنواع الإنفاق في سبيل الله. ١٠٩٠
الثالث: آداب الإنفاق في سبيل الله. ١٠٩٤
الرابع: الأسباب المعينة على الإنفاق في سبيل الله. ١٠٩٧
الخامس: ثمرات الإنفاق في سبيل الله.. ١١٠٠
٥٧ - عِبَادة الإصلاح بين الناس: وتشتمل على ما يلي:.. ١١٠٤
الأول: فقه الإصلاح بين الناس. ١١٠٤
الثاني: فضائل الإصلاح بين الناس. ١١١٠
الثالث: صور الإصلاح بين الناس. ١١١١
الرابع: شروط الإصلاح بين الناس. ١١١٤
الخامس: الأسباب المعينة على الإصلاح بين الناس. ١١١٧
السادس: ثمرات الإصلاح بين الناس.. ١١١٩

الموضوع	الصفحة

٥٨ - عِبَادة الأدب مع الله.......... ١١٢٢

الأول : فقه الأدب مع الله ﷻ.......... ١١٢٢

الثاني : كيفية الأدب مع الله ﷻ.......... ١١٢٩

الثالث : صور الأدب مع الله ﷻ.......... ١١٣٠

الرابع : الأسباب المعينة على حُسن الأدب مع الله ﷻ.......... ١١٣٥

الخامس: ثمرات حُسن الأدب مع الله ﷻ.......... ١١٣٧

٥٩ - عِبَادة الأدب مع رسول الله ﷺ: وتشتمل على ما يلي:.......... ١١٤٠

الأول : حسن أدب الأنبياء والمرسلين.......... ١١٤٠

الثاني : دعاء الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم.......... ١١٤٢

الثالث : فقه الأدب مع رسول الله ﷺ.......... ١١٤٥

الرابع : أنواع الأدب مع رسول الله ﷺ.......... ١١٤٨

الخامس : أصول الأدب الكامل مع الرسول ﷺ.......... ١١٥٤

٦٠ - عِبَادة الأدب مع الخلق: وتشتمل على ما يلي:.......... ١١٥٨

الأول: أنواع الأدب.......... ١١٥٨

الثاني: فقه الأدب مع الخلق.......... ١١٦٣

الثالث: مظاهر الأدب مع الخلق.......... ١١٦٦

الرابع: الأسباب المعينة على حُسن الأدب مع الخلق.......... ١١٧١

الموضوع	الصفحة

الخامس: ثمرات الأدب مع الخلق.................................... ١١٧٤

٦١ - **عِبَادة العــدل: وتشتمل على ما يلي:**................................ ١١٧٦

الأول: فقه العدل. ١١٧٦

الثاني: أقسام العدل. ١١٨٢

الثالث: صور العدل بين الناس. ١١٨٥

الرابع: الأسباب المعينة على العدل ١١٨٩

الخامس: ثمرات العدل.. ١١٩١

٦٢ - **عِبَادة صلة الأرحــام: وتشتمل على ما يلي:**.......................... ١١٩٤

الأول: فقه صلة الأرحام ١١٩٤

الثاني : درجات صلة الأرحام. ١١٩٨

الثالث: كيفية صلة الأرحام. ١٢٠٠

الرابع : الوسائل المعينة على صلة الأرحام. ١٢٠١

الخامس : ثمرات صلة الأرحام. ١٢٠٤

السادس : أسباب قطيعة الأرحام. ١٢٠٦

السابع : عقوبات قطع صلة الأرحام.................................... ١٢٠٨

٦٣ - **عبادة العلم: وتشتمل على ما يلي:**.................................. ١٢١٠

الأول: فقه العلم الإلهي. ١٢١٠

الموضوع	الصفحة

الثاني : أمهات العلم الإلهي. ١٢١٥

الثالث: فضائل العلم الإلهي. ١٢١٨

الرابع : أقسام العلوم الشرعية. ١٢٢٠

الخامس: أقسام العلماء. ١٢٢٥

السادس : الأسباب المعينة على تعلم العِلم وتعليمه. ١٢٣٠

السابع : ثمرات العلم الشرعي.................................... ١٢٣٢

٦٤ - عِبَادة الدعوة إلى الله: وتشتمل على ما يلي:.................... ١٢٣٦

الأول: فقه الدعوة إلى الله. ١٢٣٦

الثاني : القرآن الكريم كتاب الدعوة إلى الله. ١٢٤٣

الثالث: فضائل الدعوة إلى الله. ١٢٤٥

الرابع : حكم الدعوة إلى الله. ١٢٤٦

الخامس : وظيفة هذه الأمة الدعوة إلى الله. ١٢٥١

السادس : عقوبة ترك الدعوة إلى الله.................................... ١٢٥٤

٦٥ - عِبَادة الإحسان: وتشتمل على ما يلي:.................... ١٢٥٨

الأول: فقه الإحسان. ١٢٥٨

الثاني : منزلة الإحسان. ١٢٦٣

الثالث: فضائل الإحسان ١٢٦٦

الموضوع	الصفحة

الرابع : أقسام الإحسان. ١٢٦٨

الخامس : كيفية الإحسان. ١٢٧٣

السادس : صور الإحسان. ١٢٧٥

السابع : الأسباب المعينة على الإحسان.. ١٢٧٨

القسم الثاني

عبادات التروك

أقسام العبادات.. ١٢٨٢

الأول : أقسام العبادات.. ١٢٨٢

الثاني : فقه عبادات التروك.. ١٢٨٣

الثالث :أقسام عبادات التروك.. ١٢٨٥

الرابع : أنواع عبادات التروك.. ١٢٨٧

الخامس : الأسباب المعينة على ترك المنهيات والمحرمات.. ١٢٩٦

١ - تروك الإعتقاد.. ١٣٠٢

٢ - تروك الأقوال.. ١٣٢٥

٣ - تروك الأفعال.. ١٣٤٨

٤ - تروك الأخلاق.. ١٣٧٠

فهرس الموضوعات.. ١٤٠١